

بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية السودان



جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا – كلية اللغة العربية

بحث بعنوان :

حاتم الطائي والنمر بن تولب العُكْلِيَّ

دراسة أدبية نقدية موازنة

لنيل درجة الماجستير

المشرف :

د. محمد زروق الحسن

الباحثة :

معزة ساري إلياس الزبير

العام الدراسي

١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م

الآية

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

لمن قال فيهم ربي : (ولا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهما وقل
لهما قولا كريما) .

لوديعتي في هذه الدنيا " أهلي " .

لروح أبتني د. بابكر البدوي دشين - رحمه الله - .

الشكر والعرفان

الشكر أولاً وأخيراً لله سبحانه وتعالى الذي أنعم علي بنعمة الصحة والعافية ، وجعلني من أمة محمد " صلى الله عليه وسلم " ورزقني اتباعه .

ثم من بعد الجامعة أم درمان الإسلامية التي وهبتنا الكثير ، وأخص كلية اللغة العربية وكل أساتذتي ، وأستاذاتي وزميلاتي داخل الوطن الحبيب ، وبأرض الحرمين الشريفين راجية لهم التوفيق والعافية .

وأجزل الشكر لأستاذي الذي أشار علي بهذا البحث ، وتابعه ، وأشرف عليه ، وصححه منذ البدء إلى أن صار بهذه الطريقة التي بين أيديكم الدكتور محمد زرّوق الحسن .

ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، وأسرة مكتبة مركز الطالبات ومجمع اللغة العربية .
لوالديّ " رجاء و سليمان إلياس الزبير " جعلني الله عند حسن ظنهما .
ولصديقتي رفيقات دربي ، وزميلاتي في كل المراحل ، وكل من شاركوني سؤالاً ، واستفساراً ، وتشجيعاً .

وأولاً ليس آخراً لأناس لا تعلمونهم الله يعلمهم ويجزّهم عني العطاء ..
وأخيراً أقول : " ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين " .

ملخص البحث

تتناول هذا البحث شاعرين من أهم شعراء الأدب القديم ألا وهما (حاتم الطائي والنمر بن تولب العكلي - رضي الله عنه -) . مبينة تلك البيئة وأحوالها الخاصة والعامة وتحليل الديوانيين ومن ثم الموازنة بينهما في أخلافهما ومادتهما الشعرية عامة ، فهما من الشعراء اللذين تنادوا بمكارم الأخلاق ولذلك أشرت إلى أهمية دراسة شعراء كهؤلاء حتى نُعلم الجميع أننا اهتدينا إلى ذلك بالفطرة السليمة الناضجة وشهد لنا بذلك الإسلام العظيم .

Abstract

This research reflects light on two poets who are considered the best in their time they relate to the poets of the ancient Arabic literature and our motive for this effort is to analyze their social life from different sides as well as their poetical production which we believe contains a distinguished quality of Nobel concepts.

Those two poets

Are: Hatim Al.tae and Al.namir bin Tawlab Al.ukli

Let us get near to know some think about them.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ذي النعم التي لا ترد ، حمد أمة لا تسع إلا أن تحمده ، وتأتذر بأوامره ، وتجتنب نواهيه ، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد بعد الرضى .

وبعد :

تهيأت للعرب كل سبل التعلم ، وتيسرت لهم أسبابه ، فامتلكوا الوسائل المختلفة لثقافة اللسان والفكر ، وتمتعوا بقدر عالٍ من الفضائل والأخلاق السمحة التي صوروها لنا في خطبهم ، وأشعارهم فكان أدبهم نتاجاً لتلك البيئة بما فيها من عادات وتقاليد . وإذا نظرنا إلى موقعهم بين البلدان ، وإلى لغتهم ، وتمسكهم وتماسكهم ببعضهم وبخصالهم وأخلاقهم لقلنا إنها لتهيئة وتمهيد لرسالة الإسلام الشريفة - والله أعلم - .

وخلاصة القول إن تلك الفترة ومع فسادها العقدي والديني إلا أنها مليئة بالأخلاق والفضائل السمحة ، وفي هذا البحث نتناول أنموذجين من شعرائها أولهما عاش في العصر الجاهلي ولم يدرك الإسلام ، ولم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا أن الإسلام شهد له بفضائله وأقرها ، وهما ذا رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) يطلق ابنته " سفانة " إكراماً له ألا وهو " حاتم الطائي " ، فلم يكن كريماً فحسب بل كان شاعراً يصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، كما جاءنا بذلك ابن الأعرابي .

وثانيهما : " النمر بن تولب العُكَلِيّ " رضي الله عنه - " شاعر مخضرم ، أسلم فحسن إسلامه ، وسافر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فوصف رحلته إليه ، ومدحه ببعض الأبيات قائلاً :

إننا	أتيناك	وقد	طال
السف			
نقود	خيلاً	ضمراً	فيها
عس			
نطعمها الشحم إذا عز الشج			

والخيل في إطعامها اللحم ضرر

يا قوم إني رجل عندي خبر

الله من آياته هذا

القمر

والشمس والشعري وآيات أخ

ومن يتسام بالهدى فالخبث شر

فالنمر صاحب شخصية قوية ، يتمتع بصفات السيادة في مجتمع تسوده عادات وتقاليد هي نظامه القائم . كان سخيّاً معطاءً . ومنزلته الشعرية في الطبقة الثامنة من فحول الشعراء الجاهليين الذين صنّفهم محمد بن سلّام الجمحي . وهناك أوجه تشابه كثيرة بين هذين الشاعرين كما يقول أبو عمرو بن العلاء ، مما دفعني لأن أدرسهما وأوازن بينهما في دراسة بعنوان " حاتم الطائي والنمر بن تولب العكلي - رضي الله عنه - دراسة أدبية نقدية موازنة " ، وبدراستي لهما أقف على الفترتين ، وأعرف جوانب مختلفة في حياتهما ، وما اشتركا واتفقا عليه ، وما امتاز به كل منهما على الآخر وصفاً وتحليلاً . اعتمدت فيها على ديوان النمر - تحقيق : محمد نبيل طريفي - ، أما ديوان حاتم الطائي طبعة دار صادر ، وطبعة دار الفكر العربي - تحقيق : عباس إبراهيم - ، وطبعة المكتبة العصرية - لدرويش الجويدي، فطبعااته متطابقة تقريباً من حيث المادة المجموعة ، وهناك اختلاف طفيف في تفسير بعض المفردات ، كما أنّ هناك مقطوعتين فقط انفردت بهما دار الفكر العربي - تحقيق : د. عباس إبراهيم - ، لذلك اعتمدتُ على طبعة دار صادر التي تحصلت عليها أولاً ، ثم رجعت لمقطوعات حاتم في طبعة دار الفكر العربي ، وبهذا أكون قد اعتمدت على ديوان حاتم بطبعاته المختلفة " دار صادر ، ودار الفكر العربي " تحرياً للدقّة ، وحرصاً على المادة .

بدأت بتمهيد تحدثت فيه عن جوانبهما التاريخية ، والاجتماعية مع ذكر آراء النقاد القدامى ، والمحدثين ، والعرب ، والمستشرقين ، ثم انتقلت إلى الباب الأول وكان الحديث فيه عن الأغراض الشعرية ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول " الفخر " ، وفيه مبحثان ، المبحث الأول " الفخر الذاتي " ، وحوى تفصيلاً ، وشرحاً ، وموازنة بين هذا الغرض عند كليهما . والمبحث الثاني " الفخر القبلي " ، وبدأت باب الأغراض بالفخر لأنه الغالب على أشعارهما ولاسيما حاتم ، ثم الفصل الثاني وهو " المدح " لاشتراكه والفخر في تعريف واحد " عند ابن رشيق " ، ثم الفصل الثالث " الحكمة " لقربها في المعنى من الفصلين السابقين ولأنَّ جلَّ أبياتهما فيها ممزوج بالفخر ، ولاتفاقهما عليها ، ثم الفصل الرابع درجت تحته " الأغراض الأخرى " حصراً للأغراض المتبقية في فصل واحد ، فكان المبحث الأول " الغزل " لأنه الأكثر ما خلا الوصف - مع أنه لا يتعدى مطالعهم - ، ثم المبحث الثاني " الهجاء " والمبحث الثالث " الرثاء " ثم المبحث الرابع " الاعتذار والاستعطاف والشكر " ، ثم المبحث الخامس " الوصف " لأنَّ الشاعر يفخر ، ويمدح ، ويتغزل ، ويرثي مستخدماً هذا الباب ، مستعيناً به فهو بمكان العمدة للأبواب السابقة، ولأنَّ الوصف من أوسع الأغراض معنىً ، وأشملها للأغراض السابقة ، ويحتمل أن يمثل أي غرض مما سبق لذلك أخرته تجنباً للتكرار ، وحصراً لما لم يذكر فيما سبق من أغراض .

أما الباب الثاني فكانت فيه " الدراسة الفنية " ؛ وقسمته إلى أربعة فصول ، فالفصل الأول " الموسيقى " ، وقسمته إلى مبحثين ؛ المبحث الأول " الموسيقى الخارجية " وعرضت فيه مقدمة عن علم العروض ، وتحدثت فيه عن البحور التي تناولها الشعراء ، وأوردت آخره جدولاً أوضحت فيه نسب استخدامات كل منهما حتى تتضح الموازنة ، ويظهر الفرق . ثم تحدثت فيه عن القوافي ، وأنواعها ، وعيوبها ، وما استخدماه منها ، وما انفرد به كلٌّ منهما عن الآخر . والمبحث الثاني " الموسيقى الداخلية " وتناولت فيه بعض الألوان البديعية التي أَلَمَّ بها الشعراء ، والتي أٌكسبت أبياتهما جرساً ونغماً ، وأشاعت الطرب والهزة فيها . وفي الفصل الثاني تحدثت عن " الصورة الشعرية " مبينة الألوان البيانية والصور الفنية المختلفة عند شاعرينا ، فكان المبحث الأول هو " التشبيه " ، والمبحث الثاني " الاستعارة " ، والمبحث الثالث " الكناية " .

والفصل الثالث " بناء القصيدة " عرفت فيه بمفهوم البناء في القصيدة العربية ، وتحدثت عن الوحدة الموضوعية في القصيدة تطبيقاً على مادة الشاعرين ، فكان

المبحث الأول " المطلع " ، والمبحث الثاني " التلخيص " ، والمبحث الثالث " الخاتمة " ،
والمبحث الرابع " وحدة القصيدة " .

الفصل الرابع " اللغة والمعجم الشعري " ، قسمته إلى مبحثين ؛ أولهما " الظواهر
اللغوية " وقسمته إلى مطلبين ، الأول تحدثت فيه عن الظواهر اللغوية عند الشعراء ،
والمطلب الثاني أوردت فيه عدداً من أبيات الشعراء التي تم الاستشهاد بها من قبل
النحاة واللغويين ، وفي هذا دلالة على سلامة لغتهما وفصاحتها . والمبحث الثاني "
المعجم الشعري " ، وتحدثت فيه عن المفردات التي تناولها فعددت منها نماذج
وأشرت إلى الأخرى .

وأخيراً أتيت بأهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها من هذه الدراسة ، ثم
أوردت فهرساً للآيات ، وفهرساً للمصادر والمراجع ، وفهرساً للموضوعات ، وبهذا
أكون قد أكملت متطلبات البحث مادةً ومنهجاً ، راجية من الله أن ينفع به كل طالب ،
ويتقبله خالصاً لوجهه تعالى ، ويجعله مفتتحة لدراسات أخرى مفيدة وشائقة .

والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً

الباحثة

الإثنين ٢٤/١٢/٢٠١٢م

التمهيد

التعريف بالشاعرين

أولاً: حاتم الطائي :

حاتم الطائي شاعر جاهلي صاحب فطرة سليمة شكرتها الجاهلية وأقرها الإسلام ، حظي بالذكر الطيب ، والسيرة المثلى ، فكان نعم الابن والأخ ، والصاحب ، والجار ، ينصر الضعيف ، ويفك العاني والأسير ، ويرحم الفقير ، ويحفظ الذمار ، ويرعى الجار . صاغ لنا تلك الآداب في صور شتى وضروب عدة ، وقوالب بلاغية متعددة نراها من خلال ديوانه ، ولكن لنقف برهة نتعرفه عن قرب " نسبه ، بيئته ، أخباره ، زوجه ، أغراض شعره ، وصاياه ثم وفاته " .

أ: نسبه :

هو عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي ينتهي نسبه إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^١ .

وقيل هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أكرم ابن أبي أكرم واسمه هزيمة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء ويكنى بـ (أباسفانة ، وأباعدي) كني بابنته سفانة وهي أكبر ولده وبابنه عدي بن حاتم .

وأمه عنبة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أكرم^٢ . ومن هنا يتضح أن هنالك صلة قرابة بين أمه عنبة وأبيه عبد الله ، فهو عمها ابن عم أبيها .

^١ تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ابن عساكر، متوفي ٥٧١هـ هذبه ورتبه : الشيخ عبد القادر بدران ١٣٤٦هـ ، ط ٣ ، ج ٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٤٢٤ .

^٢ الأغاني ، أبو الفرج الاصفهاني ، دار صعب عن طبعة بولاق الدكرور الأصلية ، بيروت - لبنان ، ج ١٥ - ١٦ ، ص ٩٦ .

وتتميز تلك السلسلة بفطورها الجبلية التي تحيط بالساحل - البحر الأحمر - وهي فطور متعارضة ظاهرة في بعض نواحيها أحدثتها البراكين التي كانت في وقت مضى .

والنتوءان اللذان يتجهان نحو الشرق وينفذان إلى السهول الواقعة شمالي المدينة هما " أجا وسلمى " ويعرفان بجبلي " شمّر " ويمتدان إلى نجد^١ .

والمناطق الجبلية الجنوبية - جنوب المملكة ، شمال اليمن - حيث تفرغ الرياح الموسمية أمطارها على سفوح السلسلة الجبلية - السراة - وهي المنطقة الوحيدة التي يمكن أن تقوم فيها تجارة رابحة ، أو بستنة ناجحة عن طريق توفير المياه ، وحسن تصريفها ، أما البوادي الشمالية فيما عدا الواحات فلا تقدم غير الهزيل الذي لايسمن ولا يغني من جوع^٢ .

إذن هواء الجزيرة يختلف باختلاف إرتفاعها وانبساطها ، ففي الجبال وعلى شاطئ البحر جنوبي يهب معتدلاً ، وفي السهول يلفح حاراً ، والأقاليم الشمالية قليلة المطر قليلة المياه لا تنبت العشب ولا الشجر إلا في بعض الأماكن .

ومن هذا الوصف الجغرافي لتلك المناطق نصل إلى أن الطائيين عاشوا في نعيم وخصب سواء في دارهم الأولى " اليمن " ، أو الثانية " أجا وسلمى " فطبيعة تلك المناطق ساعدت في إخصاب ذويها مادياً ومعنوياً - وهذا على جهة العموم - وحاتم نموذج ذلك الخصب ، وهو كغيره متيسر الحال أوقات ، وضائقها أوقات أخرى ، فهو يقول^٣ :

^١ تاريخ الشعوب الإسلامية نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ١٩٦٨م ، ص ١٣ " بتصرف " .

^٢ أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، بيروت - لبنان ، طبعة جديدة منقحة ، عام ١٩٧٩ ، ص ٧ " بتصرف " .

^٣ ديوان حاتم الطائي ، ص ٥١ .

كسينا صروف الدهر ليناً وغلظةً وكلاً سقناه بكأسهما
الدهر _____ رُ

وقوله^١ :

وعشت مع الأقوام في الفقر والغنى سقاني بكأسي ذاك كلتيهما دهري
وهذا في " اليسر والعسر " من الجانب المادي ، أما الجانب المعنوي فنراه فيما
وصل إلينا من أشعار .. عبارات تنبئ عنه فتوفي وتكفي دلالة على ذلك الخصب .
وبحكم موقعهم الجغرافي صاروا المقصد والمتجه لكل طاعن وضائق حيث الجو
الرائق ، والزرع السامق ، وزاد عن ذلك اشتهارهم بالإكرام والمعاملة ، وفاقهم حاتم
شهرة ليس على المستوى القبلي بل يتعداه إلى القبائلي ، ونراه يقول مفتخراً^٢ :

أسود سادات العشيرة
ع _____ ارف _____ أ ومن دون قومي
في الشدائد مزودا

وألقي لأعراض العشيرة حافظ _____ أ وحققهم حتى
أكون المس _____ ودا

يقولون لي: أهلك مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون
سي _____ دا

ت: بعض أخبارهم (أمه ، أبوه ، حاتم) :

وكانت أمه " عنبه " لا تليق شيئاً سخاءً وجوداً ، وكان إخوانها يمنعونها من ذلك
فتأبى عليهم ، وكانت موسرةً ، فحبسوها في بيت سنة يرزقونها قوتاً لعلها تكف عمًا
كانت عليه إذا ذقت طعم البؤس وعرفت فضل الغنى ثم أخرجوها ودفعوا إليها صرمة

^١ السابق نفسه ، ص ٤٦ .

^٢ ديوان حاتم الطائي ، ص ٤١ .

من مالها فأنتها امرأة من " هوازن " فسألتها فقالت لها : دونك الصرمة فقد والله مسني
من الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلاً شيئاً ، وأنشأت تقول ^١ :

لعمري لقد ما عضني الجوع عضه فآليت ألا أمنع
الدهر ر جائعاً
فقولاً لهذا اللائي

اع فني
وإن أنت لم تفعل فعض الأصابع

ولا ماترون اليوم إلا
طبيع
ابن أمي الطبائع
فكيف بتركي يا

أما أبوه فبعكسه وأمه إذ جعله في إبل له وهو غلام فمرّ به عبيد بن الأبرص ،
وبشر بن أبي خازم ، والنابعة الذبياني فنحر لهم ثلاثة من الإبل وهو لا يعرفهم ثم سألهم
عن أسمائهم فتسموا له ففرق فيهم الإبل كلها ، وبلغ أباه ما فعل فأثاه فقال له : ما فعلت
الإبل ؟ فقال يا أبة طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة ، وأخبره بما صنع ، فقال له أبوه
: إذا لا أساكنك أبداً ولا أوويك . قال حاتم : إذا لا أبالي . فاعتزله ^٢ .

وكان حاتم جواداً يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، وكان حينما نزل عرف
منزله ، وكان مظفراً إذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سئل وهب ، وإذا ضرب
بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أسر أطلق ، وكان يقسم بالله أن لا يقتل واحد أمه ،

^١ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة - مصر
، ج ١ ، ط ٢ ، عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

^٢ الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

تبضُّ بقطرة وحلقت السنة المال وأيقنا بالهلاك فوالله إنَّا في ليلة صنبَّر بعيدة ما بين الطرفين إذ تضاعى صبيتنا جوعاً - عبد الله ، وعدي ، وسفانة - ، فقام حاتم إلى الصبيين ، وقمت أنا إلى الصبية ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ، وأقبل يعلنني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت ، فلما تهورت النجوم إذا شيء رفع كسر البيت ثم عاد، فقال حاتم : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، أتيت من عند صبية يتعاونون عواء الذئاب فما وجدت معولاً إلا عليك يا أبا عدي . فقال : أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم . فأقبلت المرأة تحمل اثنتين ويمشى بجانبها أربعة - كأنها نعامة حولها رئالها - فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخرَّ ثم كشطة عن جلده ودفع المدية إلى المرأة فقال لها : شأنك ، فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ثم جعل يمشي في الحيِّ يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول : هبُّوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا فلا والله إن ذاق منه مزعة وإنه لأحوج إليه منا فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر ، فعذلته على ذلك فأنشأ يقول^١ :

مهلاً نوار أقلي اللوم والعوم والذلا ولا
تقولي لشيء فات ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه مهلاً وإن كنت أعطي الإنس والخبلا
يرى البخيل سبيل المال واحداً وإن الجواد يرى في
ماله سبباً

ورئي حاتم يضرب ولده لما رآه يضرب كلبه كانت تدل عليه أضيافه وهو يقول^٢

:

^١ ديوان حاتم ، ص ٧٣ .

^٢ العقد الفريد ، ص ٢٤٣ .

*حذب : دابة حذباء بدت عظام ظهرها ، وأمر حذب : شاق صعب ، وسنة حذباء : شديدة .

أقول لابني وقد سطت يديه بكلبة لايزال

يجل_____دها

أوصيك خيراً فإن لها يداً عليّ لا أزال

أحم_____دها

تدل ضيفي عليّ في غلس الليل إذا النار نام موقدها

ث: زوجه :

تزوج حاتم " النوار " أولاً ، ثم " ماوية بنت عفرز " - من بنات ملوك اليمن - ،
ويقال : إن عدي بن حاتم منها ، ويقال : بل عدي ، وعبد الله ، وسفانة من النوار ،
وعقب حاتم من ولد عبد الله وليس لعدي عقب من الذكور^١ .

وقيل^٢ إنه حينما أتى ماوية بنت عفرز يخطبها وجد عندها النابغة الذبياني ،
ورجلاً من النبيت يخطبونها ، فقالت لهم : انقلبوا إلى رحاكم ، وليقل كل واحد منكم
شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإني متزوجة أكرمكم وأشعركم . فانطلقوا ، ونحر كل
رجل منهم جزوراً ، ولبست ماوية ثياباً لأمة لها وتبعتهن ، فأنت النبيت فاستطعمته ،
فأطعمها ذنب جزوره ، فأخذته ، وأنت النابغة فأطعمها مثل ذلك ، فأخذته ، وأنت
حاتماً - وقد نصب قدوره - فاستطعمته ، فقال : انتظري حتى تبلغ القدر إنها* ،
فانتظرت حتى بلغت فأطعمها أعظماً من العجز ، وقطعة من السنام ، وقطعة من
الحارك* ، ثم انصرفت . وأنشدوها ثلاثتهم . فقال حاتم - بعد أن إستشده - :

أماوي إن المال غاد ورائ_____ح

ويبقى من المال الأحاديث والذك_____ر

^١ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ (بتصرف) .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٤٧ .

* إنها : منتهاها .

* الحارك : أعلى الكاهل .

أماوي إني لا أقول لسائ_____ل
إذا جاء يوما حل في مالنا ن_____زر

أماوي إما مانع

فمبي

ن وإما عطاء لا ينهنهه

الزج_____ر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر

أماوي إن يصبح صداي بقف_____رة من الأرض لا ماء لدي
ولا خم_____ر

ترى أن ما أنفقت لم يك ضرني وأن يدي مما بخلت به

صف_____ر

فلما فرغ من إنشاده دعت ماوية بالغداء ، فقدّم إلى كل رجل ما كان أطعمها ،
فنكس الآخران رأسيهما ، وتزوجت حاتماً ، فقال فيها^١ :

وإني لمزجاء المطي على

الوج_____ى

وما أنا من خلانك ابنة عف_____زرا

فلا تسأليني واسألني أي

ف

_____ارس إذا الخيل جالت في قنا قد تكس_____را

وإني لوهاب قطوعي

وناقت

^١ ديوان حاتم ، ص ٤٧ .

_____ ي إذا ما انتشيت والكميت

المص_____درا

وإني كأشلاء اللجام ولن

ت

_____رى أخوا الحرب إلا ساهم الوجه أغب_____را

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمّرت عن ساقها الحرب
شمر

فيقول : (إِنِّي لَوْهَّابٌ ..) فخر بعطائه وسخائه الفياض فاستخدم أسلوب فعَّال
ويقوله : (أخو الحرب ..) إشارة لفروسيته ، وشجاعته ، وحذقه ، فهو الذي يقول : (
إن شمّرت عن ساقها الحرب شمرا) .

وإن اختلفت المصادر وكتب الأدب والتاريخ في ارجاع " سفانة ، وعبد الله ،
وعدي " للنوار أو ملاوية إلا أنها اتفقت على أن حاتمًا لم يتزوج إلا النوار ثم ملاوية "
ولم ينجب سوى " سفانة ، وعبد الله ، وعدي " .

ومن أصدقائه " ملْحان بن حارثة بن سعد بن الحشْرَج الطائِي " ^١ وهو ابن عمه .

^١ جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر
الطبري ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، عام ٢٠٠٠م ، الباب ٨٨ ،
ج ١٦ ، ص ٢٣٥ .

ج: أغراض شعره :

من أكثر أغراض حاتم الفخر بالكرم والعفة ثم الحماسة ونثر في قصائده شيئاً من الحكمة^١ وقرأت عنه أبياتاً في المدح ولكنها قليلة ، ومقطوعة في الهجاء ، والذم عنده لصفات ليس لأشخاص بعينهم .

ومن الفخر :

فخره بكرمه ، وعفته ، وشجاعته ، قال حاتم^٢ : لمّا تحول عنه جده سعد بن الحشرج فخرج بأهله وخلف حاتماً في داره :

إني لعفُّ الفقـر مشترك

الغنـى _____ وودّك شكل

لايوافقه

شك

لي

وشكلي شكل لايقوم

لمّا

_____ من الناس إلا كل ذي نيقة

مثلاً _____ ي

ولي نيقة* في المجد والبذل لم تكـ _____ تأنقها فيما مضى أحد

قبلاً _____ ي

^١ ديوان حاتم ، ص ٧٥ .

^٢ تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ط ٧ ، ج ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧م ، ص ١٨٧ .

وأجعل مالي دون عرضي

جن _____ لنفسي فأستغنى بما

كان من فضلي

ولي مع بذل المال والبأس صول _____ إذا

الحرب أبدت عن نواجذها العصل

وما ضرَّ بي أن سار سعد بأهل _____

وأفردني في الدار ليس معي أهل _____

سيكفيني ابتتاي المجد سعد بن حشرج وأحمل عنكم كل ما حل من

أزل _____

ومامن لنئيم عاله الدهر

م _____ رة

فيذكرها إلا استمال إلى

بخ _____ ل

ومن الحماسة^١ :

اغزو بني ثعل فالغزو حظك _____ م

عدو الروابي ولا تبكوا لمن نك _____ لا

وبها فداؤكم أُمي وما ول _____ دت حاموا

على مجدكم واكفوا من اتك _____ لا

ومن الحكمة^٢ :

فنفسك أكرمها فإنك إن ته _____ ن

عليك فلن تُلقي لك الدهر مكرم _____ لا

^١ ديوان حاتم ، ص ٧٤ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٨٠ .

ومن المدح^١ قوله - يمدح بني بدر* - :

إن كنت كارهة معيشة _____
هاتي فحلّي في بني _____
درِ _____

جاورتهم زمن الفساد فنعم _____
العوصاء واليسر _____
رِ _____

الخالطين نحيثهم بنضارهم _____
وذوي الغنى منهم _____
بذي الفقه _____
رِ _____

ومن الهجاء ، يقول^٢ :

أبا الخيبري وأنت امرؤ _____
حسود العشيرة شتامتها _____
فماذا أردت إلى رممة _____
بدوية صخب _____
هامه _____
ا _____

تبغى أذاها وإعسارها _____
وحولك غوث وأنعامها _____
ا _____

الذم^٣ - يذم الصفات السيئة وأصحابها - قائلاً :

^١ السابق نفسه ، ص ٥٤ .

*بدر بن عمرو بطن من فزارة . - ديوان حاتم ، ص ٧٤ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٨٩ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٨٢ .

لحي الله صعلوكاً مناه

وهم _____ من العيش ه

أن يلقى لبوساً ومطعماً

ينام الضحى حتى إذا ليله استوى _____ تنبه مثلوج الفؤاد

_____ ورماً

وفي قوله : " لحي الله " ، دعا عليه بعدم الحياة أي " لا أحيا الله صعلوكاً "

ح: وصاياہ :

قال حاتم لابنه عدي : (أي بني أعهدك من نفسي ثلاث خلال : والله ما خاتلت جارة لي بريية قط ، ولا أوعيت على أمانة إلا أديتها ، ولا أتى أحد قط من قبلي بسوء^١).

وكان يقول : " إذا كان الشيء يكفيكه الترك فاتركه^٢ " .

^١ تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ابن عساكر " ، ج ٣ ، ص ٤٣١ .

^٢ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص ٢٣٦ .

خ: وفاته :

كان من أهل نجد ومات في " عوارض " جبل في بلاد طيء^١ ، وقيل إن قبره فيها ، وأرخوا وفاته في السنة الثامنة من مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) عام ٤٦ م^٢.

وقيل كانت وفاته عام ٦٠٥ م^٣.

وقيل يبدو أن حاتم عاش نحو ستين سنة وتوفي عام ٦٠٧ م^٤.

^١ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتاب ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ - ج ٤ ، ص ٩٧٩ .

^٢ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، يناير ١٩٧٩م ، حرف الحاء ، ص ١٥١ .

^٣ شعراء النصرانية قبل الإسلام ، لويس شيخو ، ص ١٣٤ .

^٤ تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

د: آراء النقاد في حاتم الطائي :

وإذا ما نظرنا إلى آراء النقاد نجد أغلبها يدور حول خلقه ، وما اشتهر به من بذل وعطاء ، وهنا سنتناول بعض تلك الآراء :

١- ابن قتيبة : كان جواداً شاعراً جيد الشعر .

٢- ابن عبد ربه الأندلسي : الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر هم :
حاتم الطائي ، هرم بن سنان المري* ، وكعب بن أمامة الإيادي* ولكن المضروب به
المثل حاتم الطائي وحده^٢ .

٣- كارل بروكلمان : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي اشتهر مثلاً للكرم
والجود^١ .

^١ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص ٢٤٢ .

*هرم بن سنان المري : الرجل الذي أصلح بين عبس وذبيان هو والحارث بن عوف سيد بني مرة ، فقال فيهما زهير بن أبي سلمى :

يَمِيناً لَنَعْمَ السَّيِّدَانِ وَجَدْتُمْ _____ * عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمَبْرَمٍ
تَدَارَكْتُمَا عِبَساً وَذُبْيَانٍ بَعْدَ _____ * تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عَطَرَ مَنْشَى _____ م
وَمَدَحِهِ وَقَوْمَهُ كَثِيراً وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لأولهم يوما إذا

قعا _____ دوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبه م * طابوا

وطاب من الأولاد ما ولدوا

- ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح: حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٨ - ٢١ - ٢٦ .

* كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ، وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار : " اسق أخاك النمرى ... " .

- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، الناشر: دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ٢٠٠٢م ، الباب : الفوارس ، ج ٥ ، ص ٢٢٩ .

^٢ العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، ص ٢٤٢-٢٤٣ .

٤- لويس شيخو : كان حاتم جواداً يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، كان حيثما نزل عرف منزله^٢ . وهذا أورده غيره كثير من القدامى والمحدثين وهو هنا له فضل الذكر.

٥- أحمد حسن الزيات^٣ تحدث عن أخلاقه وشعره قائلاً :
أخلاقه :

كان حاتم على خُلُق عظيم قلَّ من أوتيه في الجاهلية ، كان طويل الصمت ، رقيق القلب ، جمُّ المروءة ، لم يقتل قط واحد أمّه ، ولم يزل ضعيفاً من بني عمّه ، وقال :
فإنِّي ربّ واحد

أمره أجرت فلا قتل عليه ولا أسـ

ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي شهوداً وقد أودى بإخوته الدهر

شعره :

لا جرم أن اللسان ترجمان القلب ، والشعر مرآة الشعور وما قدمناه من أخلاق حاتم نجده متمثلاً في شعره ، مؤثراً في قرضه ، فلفظه سهل رقيق ، وأسلوبه محكم وثيق وغرضه سامٍ شريف على غير ما نعهد من شعراء البادية .

٦- عمر فروخ : شعر حاتم فصيح الألفاظ سهل التراكيب جداً^٤ .

٧- د. يحيى شامي - في مقدمة شرح ديوان حاتم - :

^١ تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، توزيع دار القومية الغربية للثقافة والنشر ، ج ١ ، نقله إلى المكتبة العربية عبد الحليم النجار ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، عام ١٩٥٩ .

^٢ شعراء النصرانية في الجاهلية ، لويس شيخو ، ص ٩٩ .

^٣ تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص ٥٧ .

^٤ تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

لنا فيه - ديوان حاتم الطائي - ما يظهر نفسية الرجل ، وجود الرجل ، وسخاءه وكرمه وهو غير معقد ، ولا فيه الحوشي من الكلام أو غريبه .. هو كصاحبه يمتاز بالعفوية ، والبساطة ، والصدق ، ويمثل صاحبه ونفسيته أصدق تمثيل ، كما أنه يمثل واقع عصره ، وبيئته بكل أمانة وبساطة تلك البيئة القاسية الجافة حيث الضنك وشظف العيش وحيث كان الكرم سجية من أنبل السجاي ، ومنقبة من أعظم المناقب تماماً كالشجاعة ، والنجدة ، والمروءة .. يُتَغْنى بالكرم وتتناقل الناس أخبار أصحابه وليس بالقليل أن وجود المرء بماله في زمن قلّ فيه المال وكان الفقر سمته ، والجذب ، والقحط شارته ، والغزو والقتل والنهب والإغارة سنة من سنن الجاهلية فرضتها الحاجة والفقر والخصاصة .

كما نجد الدكتور يحيى شامي معلقاً على مسألة القلة والنضوب الذي يعتري شعر حاتم الطائي قائلاً : (وما كان هذا عن نضوب في الشاعرية ولا شحّ من الرجل أو ضنّ منه به وكيف يضمن به وهو الذي جاد بالفرس والإبل وطريف المال وتآلده ، لكن المسألة هي أن شعر حاتم كغيره من الشعر الجاهلي ضاع منه الكثير وما بقي إلا القليل^١) .

ولا نستطيع أن نضيف نقداً " خُلُقياً " لحاتم بل إننا ندرج ونحصى - فقط - ما قالوه عنه وما وصلهم سلفاً عن خلف من إشارات ، وإيماءات حول شخصيته .

ولكننا نحكم عليه بعمله الذي بين أيدينا والذي يدرج فيه تلخيصاً لنفسه ، وقومه وعشيرته من جميع النواحي الحياتية آنذاك بصور واضحة لا تقتصر إلى عناء الشرح ولا وعورة التحليل وهذه ميزته على أقرانه " جلاء المعاني ، وسهولة العبارات " ومن يقرأ ديوانه يجد سيرته وأخلاقه إذ إن أغلب شعره ومقاطععه لا تخرج عن وصف وفخر بنفسه وقبيلته ، ولا يخرج شعره عن الأغراض الذاتية والقبلية أحياناً قليلة .

^١ شرح ديوان حاتم الطائي ، شرح وتحقيق عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، عام ١٩٩٥م ، ص ١١ .

وإن تناول في الشعر القضايا الأخلاقية المهمة ، ونادى بالأخلاق الفاضلة الجمّة إلا أنه لا يخرج عن دائرة التنفيس الفردي التي لايتعداها إلى نطاق العموم .

ثانياً: النمر بن تولب العُكَلِيّ :

لن أتبع في تمهيدي للنمر منهجي في تفصيل حياة حاتم ، لأن الفارق بين حاتم والنمر ، أن الأول تحدثت عنه الكثير من كتب الأدب والتاريخ ، فلا يأتي باب من أبواب الكرم أو السماحة أو الخلق ولا حتى الشعر والمثل السائر إلا وأدلى بدلوه ، وشارك بقوله أو فعله .

أما الثاني فمثله في كرم الأخلاق وطيب المعشر وغيره ، إلا أن أخباره في تلك الكتب قليلة ولا نكاد نعرف حياته إلا من خلال ما قاله من شعر ، أو خبر متفرق عند الأقوام - وهذا القول الأخير أشار عليه شارح ومحقق ديوانه محمد نبيل طريفي في مقدمة الديوان - إلا أنني تحققت منه خلال قراءتي لكتب الترجمة ، والسيرة ، والأدب التي تحكي عنه أو تمرّ بسيرته .

ولهذا سنقف على نسب الصحابي الجليل " النمر بن تولب العُكَلِيّ - رضي الله عنه - " ، وأهله ، وبعض أخباره ، وبعض الآراء حوله لعل هذه الجزئية التعريفية بالشاعر تعيننا على التوصل إلى مفتاح شخصيته ومن ثمّ سبر غور شعره .

أ: نسبه :

هو النمر بن تَوَلَب بن أَقْيَش بن كَعْب بن عَوْف بن الحَرث بن عَوْف بن وائل بن قَيْس بن عُكْل واسم عُكْل " عَوْف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار " .

شاعر مقل مخضرم* أدرك الجاهلية وأسلم فحسن إسلامه ووفد إلى النبي " صلى الله عليه وسلم " ^١ .

وقيل هو عُكْلِي منسوب إلى " عُكْل " بضم العين المهملة وسكون الكاف ، وهي أُمّة كان تزوجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة فولدت له ثلاثة بنين ثم مات فحضنتهم عُكْل " فنسبوا إليها ^٢ . ويكنى بأبي قيس ، وبأبي ربيعة ^٣ .

^١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ٥٧ .

- كذلك في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، أبو زيد محمد بن أبي خطاب القرشي ، حققه : د. محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، ج ١ ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ ، ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

* قال أبو الحسن الأخفش : ماء مخضرم إذا تناهى في الكثرة والسعة فمنه سمى الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام مخضرمًا كانه استوفى الأمرين ويقال : أذن مخضرمة إذا كانت مقطوعة فكانه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، حققه وفصله وعلق على حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، ج ١ ، القاهرة - مصر ، عام ٢٠٠٩م ، ص ٩٧ .

^٢ خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، المجلد الأول ، ط ١ ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ص ١٥٦ .

^٣ شعراء إسلاميون ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، ص ٣٠٠ .

ب: أسرته :

قال صاحب الأغاني : (أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا محمد بن سلام قال : كان للنمر بن تولب أخ يقال له " الحارث بن تولب " وكان سيداً معظماً ، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأة منهم يقال لها " جمرة بنت نوفل " فوهبها لأخيه النمر بن تولب " ففركته فحبسها حتى استقرت وولدت له أولاداً ثم قالت له في بعض أيامها : أزرني أهلي فإنني قد اشتقت إليهم . فقال لها : إني أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغليبني على نفسك . فواثقته لترجعنَّ إليه .

فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بني أسد فلما أطلَّ على الحي تركته واقفاً وانصرفت إلى منزل بعلها الأول فمكثت طويلاً فلم ترجع إليه فعرف ما صنعت أنها اختدعته فانصرف وقال^١ :

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل —————
كجاء مغلٍّ بالأمانة

لهان عليها أمس موقف راكب —————
إلى جانب السرحات أخيب خائب

حزن النمر حزناً عميقاً لما يحمله لها من حبٍّ وود فرفض الطعام ، وجافى المنام وفارق الأصحاب ، ورفض العيش والشراب ، ولكن اسعفته الأيام بحب آخر أخلص له كثيراً وأعطاه كلَّ ما يملك ألا وهو حب " دعد " ، فأخلصها الحبَّ ، وبادلها الوفاء حتى قال فيها^٢ :

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت —————
أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

^١ ديوان النمر ، محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ٢٠٠٠م ، ص ٤١ .

— الأغاني أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

^٢ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .

ونراه يقول فی بعض أبياته^١ :

صحا القلب من تذكره تكتما وکان رهینا بها

مغرم

ومن هذا كله نخلص إلى أنَّ للنمر زوجتين ، صرح بذكرهما كثيراً في قصائده ، هما " جمرة ودعد " ، ويذكر - عرضاً - أسماء لنساء أخريات مثال " تكتم ، وحصن ، وسلمى ، وأم عامر " ، ولكن ذكره لهنَّ قليل فإما أن يكنَّ رمزاً للأخريات ، وإما أن يكنَّ ذوات علاقة به - والله أعلم - .

وللنمر مرثية في أخيه الحارث بن تولب العكلي - ذكر في القصة السابقة - يقول فيها^٢:

يجود على حسی العمیم

لازال صوب من ربيع

فیترب

وصیف

ولكنما أسقيك حار بن

فوالله ما أسقى البلاد

تول _____

ب

وَأَنْتَ عَلَى أَعْوَادِ نَعَشٍ

تضمنت أدواء العشرة

مقا

بیت

ب

كأن امرءاً في الناس كنت ابن أمه

على فلج من بطن دجلة

مطلب

١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق: سمير جابر ، ج ٢٢ - ص ٢٧٣ .

- والجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة - مصر ، ج ١٧ ص ٢١٩ .

^٢ ديوان النمر بن تولب العلكي ، ص ٤٦ .

بين البدي وبين برقة

غوثُ اللّٰهيف و فارس

ومقابر بين الرئيس

و عاق

ل

جزعاً جزعت عليهم

فدعوته

لا تبعدوا و غدا السلام

ح

أصبحت لا يحمل بعضى بعضا أشكو العروق الآبضات نبضا

* قال ابن دريد : إيل أرحبيه منسوبة إلى أرحب بن همدان - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، ص ١٩٨ .

كما تشكَّى الأرحبي * الغرض _____
قرض _____
كأنما كان شبابي

إذن له ابن يدعى " ربيعة " فلقَّب به ^١ ، ولربيعه عقب وثَّقت عنه كتب الأدب ^٢ .
وللنمر بن تولب أبناء أخ أشارت عليهم كتب الأمثال بلا تفصيل ^٣ .

ت: أخباره :

عاش النمر بن تولب العكلي في الجاهلية جلَّ عمره ، وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووردت عنه العديد من الأخبار سواء كان في فترته الأولى أو الثانية والتي تحلى فيهما بعطائه وإيثاره ولكن لنبدأ بقصة مجيئه لسوق المربد بالبصرة التي ذكرها صاحب الأغاني قائلاً :

أخبرني عمي عن القاسم عن محمد الأنباري عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن قرّة بن خالد عن يزيد بن عبد الله أخي مطرف قال : (بينما نحن بهذا المربد جلوس إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس فوقف علينا فقلنا : والله لكأن هذا الرجل ليس من أهل هذا البلد . قال : أجل - وإذا معه قطعة من أديم - . فقال : هذا كتاب كتبه لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب :

-
- ^١ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٦٢ .
^٢ تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، باب : " من اسمه النمر " .
^٣ أمثال العرب ، المفضل بن محمد بن علي بن سالم الضبيّ ، تحقيق : احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، الباب ١٩ .
- مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ج ١ ، الباب ١٢ فيما أوله " س " .
^٤ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٦٢ .
* الصفي : سهم النبي " ص " . - مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، عام ١٤٠٣هـ ، باب : " صيام ثلاثة أيام " .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير - هكذا قال أحمد بن عبيد وقال الباقر بن زهير بن أقيش " حي من عكل " - ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصَّفيَّ* فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله) .

النمر بن تولب (رضي الله عنه) روى عن النبي " صلى الله عليه وسلم " ، وقال له قوم : حدثنا - رحمك الله - ما سمعت من رسول الله . فقال : سمعت رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يقول^١ : " صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيراً من وحر الصدر " .

فقال له القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله " صلى الله عليه وسلم " .

فقال : أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله " صلى الله عليه وسلم " لأحدثكم حديثاً . ثم أهوى صحيفته وانصاع مدبراً .

^١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٥٨ .

- ذكر صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، باب " كتب النبي " صلى الله عليه وسلم " ، وقال شعيب الأرناؤوط : اسناده صحيح .
- ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة ، القاهرة - مصر الباب : مسند أبي هريرة - رضي الله عنه - .

ث: كرمه :

كان للنمر بن تولب صديق فأتاه في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها فلما رآهم وسألوه تبسم فقال النمر^١ :

تبسم ضاحكاً لما

رأنا

— ي وأصحابي لدي عن

التم — ام

فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيك ، ونفساً تأمرني ألا أفعل ، فقال النمر:

أما خليلي فإني غير معجل — ه حتى
يؤامر نفسه كما زعم — ا

نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

ثم قال النمر لأصحابه : لا تسألوا أحداً فالدية كلها عليّ .

وفي قوله : " .. ونفس ترضع الغنما " أراد " النفس الدنيئة الضعيفة " وهذا حسب ما هو واضح من السياق والمقابلة بين الصدر والعجز .

ج: عمره :

وعاش النمر بن تولب بن أقيش العكلي مائتي سنة حتى أنكر بعض عقله ، فقال في ذلك^٢ :

^١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٦١ .

^٢ المعمرون والوصايا من العرب وطرف من أخبارهم ومآقاله في منتهى أعمارهم ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري ، تحقيق : محمد أمين الخانجي ، ط ١ ، عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ص ٦٣ - ٦١ .

لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي وَرَابِنِي مَعَ الشَّيْبِ أَبْدَالِي الَّذِي
أَتَّبَ دَلُّ

وَتَسَمَّيْتِي شَيْخًا وَقَدْ كَانَ قَبْلَ هـ لِي اسْمُ فَلَاحٍ
أَدْعَى بِهِ وَهُوَ أَوَّلُ

وَزَهْدِي فَيَكْفِينِي الْيَسِيرَ وَإِنَّ يـ أَنَامُ إِذَا أَمْسَى
وَلَا أَتَعُ لَلْ

وِظْلَعِي وَلَمْ أَكْسِرْ وَإِنْ حَلِيلَتِ يـ تَحُوزُ
بَنِيهَا فِي الْفَرَّاشِ وَأَعْزَلُ

فَصُولُ أَرَاهَا فِي أَدِيمِي بَعْدَ مَا يَكُونُ
كَفَافُ اللَّحْمِ أَوْ هُوَ أَجْمَلُ

يَحِبُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغَنَى فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

هذا وصف لحاله في الكبر وما اعتراه من ضعف ووهن ، ولا يمكنني الفصل في
السنة التي ولد فيها أو مات ، ولكن المؤكد من مصادر الأدب أنه مخضرم أسلم وهو
شيخ كبير^١ .

ومن أخباره أنه أدرك خلافة أبي بكر وقيل خلافة عمر - رضي الله عنهما - فقد
ذكره عمر وترحم عليه .

^١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ٥٧ .

ح: آراء النقاد في شعر النمر بن تولب العكلي (رضي الله عنه) :

١- حماد الراوية^١ :

كان النمر بن تولب كثير البيت السائر ، والبيت المتمثل به ، فمن ذلك قوله :

لا تغضبين على امرئ في ماله

مالك فاغضب

وإذا تصبّك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب

فارغ

" هل تراه قالها قبل إسلامه أم بعده ، وإن كان قد قالها قبل إسلامه هل كان متحنفاً أم غير ذلك ؟! لايمكنني الجزم ولا حتى مجرد الإفادة في هذا الأمر إلا أنني أقول : إن هذا البيت الأخير فيه شيء من الالتزام العقدي ، وفيه نفح من الشذى الإسلامي ، وإن لم يكن قالها في ظل إسلام ولا حنفية فإن هذا إنما يدل على روح فطرت ، وجبلت ، وهُيئت لما صارت إليه بعد ذاك إذ أسلم النمر وحسن إسلامه - كما قيل ٢- " ، ومن أبياته السائرة قوله ٣ :

وَتَلْبَسَ الدَّهْرَ

أثواب

هـ فَلَنْ يَبْنِيَ النَّاسُ مَا هَدَمُوا

وأحبُّ حبيبك حبًّا روي_____دأ

لَيْسَ يَعْوَلُكَ أَنْ تُصْرِمَ

وَأَبْغَضَ بَغِيضَكَ بَغْضًا رَوِيدًا إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

^١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

٢ السابق نفسه ، ج ١٩ ، ص ١٥٧.

٣ ديوان النمر ، ص ١١٧ .

٤- ابن قتيبة :

قال : كان شاعراً جواداً ، وقال في ترجمته للنمر بن تولب : وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنا أتيناك وقد طال السفَر
 خيلاً ضمراً فيها عَسَرُ

نطعمها الشحم إذا عزَّ الشجرُ والخيل في إطعامها اللحم ضررُ

وقال : (تفسير الشحم باللبن شيء نادر جداً لم أجده إلا للمؤلف) .

وهذا التفسير - أنَّ الشحم هو اللبن - الذي ذهب إليه الأصمعي^١.

أَوْ لَا : قَالَ :

نُطْعِمُهَا الشَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ
وَالْخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا
اللَّحْمَ ضُرُرُ

قال في صدر البيت " الشحم " ، وفي عجزه " اللحم " ، فأظنه أرادهما بمعناهما الحقيقي وهذا الأقرب لأن العرب كانت تجفف اللحم وتطعمه الخيل إذا عزَّ الشجر - وهذا المعنى أورده ابن الأعرابي أيضاً^٢ - .

فالنمر كما عهدناه صاحب أسلوب مباشر ، ولا أظنه يقول : " الشحم وهو يريد " اللين " ، لماذا ؟ لأنه لو أرادها لقال :

نَشْرِبُهَا اللَّبَنَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ
وَالْخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرُرٌ

^١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .

^٢ السابق نفسه ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .

وقصد من الشحم " اللبن " فالفهم الظاهر أولى وأقرب - في نظري - ولا أرى لنقد ابن قتيبة مدعاة .

الصياري ف

وقد ظهرت الموازنة مبكرة في تاريخ الأدب العربي ، وبقيت تسايره على مرِّ العصور إلى اليوم^١ .

- الموازنة بين الشعراء ، محمد زكي عبد السلام مبارك ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص ٧ .

وطَبَعِيٌّ أن تدخل الموازنة باب الدراسة الأدبية نقداً ، وتاريخاً للفرق والمقابلة بين عناصر الأدب ، وفنونه وعصوره ، ورجاله بقصد الإيضاح أو الترجيح^٢.

وإن كانت الموازنة ضرباً من النقد إلا أنها تأخذ العمل الأدبي بغثة ، وثمانية وتضعه في الكفة الأولى ، وتضع الآخر في الكفة الأخرى ، وتوازن بين هذا وذاك ولماذا كان هذا جيداً ؟ ولماذا كان ذاك رديئاً ؟ ولماذا نجح هذا هنا وأخفق ذاك ؟ حسبما يمليه الذوق الخاص في ترجيح عمل أدبي على آخر ، متفقين مع الأساسيات والقواعد العامة .

وهنا نقف على أنموذجين من نماذج الشعر القديم ، أحدهما لشاعر لم يحظ بحضور الإسلام ألا وهو حاتم بن عبد الله الشهير بـ " حاتم الطائي " ، والآخر مخضرم مسلم وهو النمر بن تولب العكلي (رضي الله عنه) ، ونوازن بينهما في الأغراض التي تتاولاها، وأول تلك الأغراض :

الفخر : وهو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخصص به نفسه ، وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار^٣ . وينوه الباحثون أن هناك فارقاً واحداً متمثلاً في أن المدح إشادة بفضائل الممدوح ويكون شخصاً آخر ، وأن الفخر تفصيل هذه الإشادة على الشاعر نفسه .

والفخر إما أن يكون بصفات خلقية كطول القامة ، وامتلاء الجسم ، وصفاء اللون ، وحدة البصر أو السمع أو غيره .

^١ أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ص ٢٨٠ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٢٨٠ .

^٣ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط ٥ ، عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

- بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٤٠١ .

أو صفات خُلُقِيَّة كالشجاعة ، والهمة ، والكرم ، والعفة ، والحلم وغيره . والفخر
قسمان :

١. فخر ذاتي .

٢. فخر قبلي .

أما الفخر الذاتي فهو محور حديثنا في هذا المبحث ، وهو الاعتداد بما سبق من
صفات ، ولكن الشاعر يخصص فيه نفسه ، ولفخر غرض آخر غير الاعتداد بالذات "
جانب نفسي " فهو مذهب تخويف ، وتحذير للأعداء حتى لا يظنوا مجرد الظن غير
ذلك فيهاب ويحذر .

ولما كان غرض الفخر الأكبر حِيْزاً لدى الشعراء ، والأكثر استخداماً جعلناه في
مقدمة الأغراض التي تناولها ، فإلى ذلك الجانب .

الباب الأول

﴿ الأغراض الشعرية ﴾

- الفصل الأول : الفخر
- الفصل الثاني : المدح
- الفصل الثالث : الحكمة
- الفصل الرابع : أغراض أخرى

الفصل الأول

الفخر

المبحث الأول - الفخر الذاتي

قال حاتم بن عبد الله الطائي^١ :

كريم لا أبيت الليل جـ_____ادٍ*
أعدد بالأنامل ما
رزي_____ت*

إذا ما بت أشرب فوق ريٍّ لسكر في الشراب فلا رويت

بدأ بالإخبار دون تفصيل وإكثار فقال : " كريم " ، أي : " أنا كريم " ، يفخر
بالعطاء والنوال ، ويترفع عن رذائل الخلال مثل البخل ، والسؤال .

أما النمر بن تولب العكلي (رضي الله عنه) اتخذ أسلوباً مغايراً في قصيدة
وافريّة همزيّة فخر فيها بأنّه لا يدخر شيئاً لنفسه لبناً كان أو لحماً أو سمناً وأنه يعير
راحلته إن احتاجها جاره - وهذا ليس بالسهل في زمان لا تعار فيه راحلة ولا سلاح -
ويعير رداءه ، ويؤثر غيره على نفسه ، ويُشرب دابة صاحبه قبل دابته ، فنراه يصور
ذلك في قوله^٢ :

لعمر أبيك ما لحمي ب_____ربٍّ
ولا لبني على ولا
سلائ_____ي

ولا رحلي بمخزون علي_____ه
إذا جاري
استعار ولا ردائي

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٣١ .

* الجادي : طالب الجدا والمعروف . * رزيت : رزئت أي أصبت برزء أو هلاك .

^٢ ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٣٥ .

ولا أسقي ولا يسقى شريبي
مائي

يعل وبعض ما أسقي نهال وأشربه على إيلي
الظماء

على الرغم من أنه اشترك مع حاتم في الصفات ، إلا أنه اختلف معه في طريقة التعبير وهذا أمر بدهي ، إذ أن لكل شاعر بل لكل إنسان طريقته ، وبصمته ، فحاتم يقول^١ :

فما أنا بالساعي بفضل ذمامه
ما في الحوض قبل الركائب
وشاركه النمر مع الاختلاف قائلاً^٢ :

ولا أسقي ولا يسقى
شريبي
وأمنعه إذا أوردت
مائي

وليس الكرم وحسن الضيافة الميزة الوحيدة التي تحلّى بها الشاعران ، إلا أن لهما من الإيثار ما شغل جلّ أبياتهما ، فإذا نظرنا لحاتم فحتماً هي فضيلة أصيلة فيه - إذ أن فترته سابقة للإسلام - .

أما النمر - المخضرم - فلسنا نشك في تحليّه بها ، ولكن هل للإسلام دور في توجيه إنفاقه أم لا ؟ .

يمكننا الرد إذا ما درسنا شعره في الفترتين ، ولكننا لم نتحصل على فصل بين ما قاله في الجاهلية وما قاله في الإسلام ، رغم أنني تعرفت الكثير من الأشعار التي قالها

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٢٩ .

^٢ ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٣٥ .

في فترة إسلامه إذ أن الالتزام فيها واضح ، ولكن هذا أمر فيه شيء من الصعوبة ولا سيما عند هذا الشاعر الذي كان محوره الفضائل ، والقيم السمحة ، والأخلاق ، وهذه الصفات كانت عند الجاهليين وأقرّها الدين الحنيف ، ولو كان محوره غير هذه لما أشكل علي في شيء - والله أعلم - .

الذي يهمنّا أنه تحلى بها وهذا في الأبيات السابقة : " ولا أسقي ... " ، وقوله : " يعلُّ وبعض ما أسقى نهال .. " .

ويظهر إيثار حاتم في قوله : " وما أنا بالساعي بفضل ذمامها .. " ، وفي قوله ^١ :

وما أنا بالطاوي حقيبة رحله _____
وأترك صاحب _____

لم يقف ابن طي على هذه الصفة " الإيثار " فحسب ، بل أرانا وعلمنا ما أسميته :
بـ " أدب الصحبة " أو " أخلاقيات الصحبة " ، واصفاً ذلك إن كانت دابة ، وقس على ذلك فيما عداها يقول ^٢ :

إذا كنت رباً للقلوص فلا تدع رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فان حملتك _____ ما فذاك وإن كان
العقاب فعاقب _____

وهذه الأخلاق الفطرية الراقية - كما قلنا - جاء الإسلام وأقرها ، ونرى ذلك في قوله تعالى : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٢٩ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٢٩ .

६९

ولا ينزل المرء الكريم عياله
مالا بضرت

هو في هذه الأبيات يرينا كيف أضاف زواره إذ أنه أكرمهم غاية الإكرام .

أولاً : حينما نحر لهم ، وأوفر عليهم طعاماً وشراباً .

ثانياً : حينما نحر " أفعى " ، وما أدراك ما هي ! الناقة التي تحملت معه رمضاء الصحارى والقفار ، ووعورة الشَّباب والأسفار .. نحر أعزّ ما يقتنيه الأعراب .. الراحلة .

فبهذا الموقف يرتقي منزلة أسمى في مدارج الكرم .. بذل " أفعى " ، وبذلوا أخباره في قراهم ، وديارهم شكراً .. وبراً .

ولكننا إذا ما أخذنا أبيات حاتم السابقة ، وأبيات النمر الأربعة التي – ذكرت آنفاً – ، ويبتدريها بقوله^١ :

لعمر أبيك ما لحمي برّب
ولا لبني علي ولا
سلائ

والتي يتحدث فيها بأنه لا يختزن طعاماً ولا شراباً ، ويعير ، ويؤثر ، إذا أخذنا النصّين دونما استصحاب لمعرفتنا بالشخصيتين لوجدنا أن الشاعر الطائي هو الأقوى دلالة ، وأصدق معنى وذلك من منظور أنه يحكي في أبياته ما حدث له .

أما النمر فهو يُقسّم مؤكداً لحاله – حالة كونه كريم – ، في حين أننا كثيراً ما نجد حاتماً على حالة الأخير ، واصفاً لحاله تارةً وملبساً أبياته رداء الحكمة تاراتٍ أخر .

^١ ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٣٥ .

مثال الأول " وصف حاله " قوله^١ :

إذا كان بعض المال رباً لأهله
فإني بحمد الله مالي
معبود

يفك به العاني ويؤكل طيباً
ويعطى
إذا منّ البخيل المطرد

إذا ما البخيل الخبّ أحمَد ناره
أقول لمن يصلى بناري
أوقدوا

فهو في هذه الأبيات يصف حاله ، ويذكر ضرراً من الذين يبتهم عطاياهم دونما
منّ ولا رياء .

ومثال الثاني : " ملابسها رداء الحكمة " قوله^٢ :

إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد
بفضل الغنى ألفيت مالك حامد
وما يعدى المال عنك وجمع
كان ميرثاً وواراك لاحق

وكلاهما يزعم أن المال هو سبب السيادة والسلطة ، والمال عندهما وسيلة يرتقيان
بها أمام أقوامهما ، ويسموان بها أمام معارفهما ، فينصران الضعيف ، ويفكان الأسير
، ويدفعان المغير ، ويعطيان الأجير ، ولكن ليس غاية في حدّ ذاته . قال حاتم^١ :

^١ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٨٧ .

- تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله
حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، الناشر : الفاروق الحديثة ، الباب : الشعراء ، ج ٢ ،
ص ٢٧٤ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٣٨ .

أسود سادات العشيرة

عارف _____ أ ومن دون

قومي في الشدائد مزودا

وألفي لأعراض العشيرة حافظ _____
وحقهم حتى أكون

المس _____ ودا

يقولون لي : أهلك مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون
س _____ يدا

أما النمر - رضي الله عنه - فيقول ^٢ :

فالمال فيه تجلة

ومهاب _____ ة

والفقر فيه مذلة

وقب _____ و

ح

وإذا ما درسنا نصوصهما ، نجد أن حاتماً يرى في بذله سبيل السيادة القائمة لا
محالة ، والرئاسة المدعومة من كل الأطراف ، والريادة المؤيدة من الغريب قبل
القريب ، دون أن يأبه بفقدانه طالما الغرض أسمى وأعلى . فهو القائل ^٣ :

وإذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الضعيف عقورها

فإنني جبان الكلب بيتي موطأ _____ أ جود إذا ما
النفس شح ضم _____ يرها

^١ السابق نفسه ، ص ٤١ .

^٢ ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ٥٣ .

^٣ ديوان حاتم ، ٦٢ .

وإنّ كلابي قد أهرت وعُودت قليل

على من يعتريني

هـ _____ ريرها

وما تشتكي قدري إذا الناس أمحلت وأوثقها طوراً .. وطوراً

أميرها _____

وأبرز قدري بالفضاء

قايلاً _____ لها

يرى غير مضمون به وكثيرها _____

وإيلي رهن أن يكون

كريم _____ لها

عقيراً أمام البيت حين أثّرت _____ رها

أما منهاج النمر - في ذاك البيت - مختلف قليلاً ، فهو يرى في المال سبيل العزّ
ذاته .

ولكنّ الرجل الشجاع ، المقدام ، ذا الأخلاق الفاضلة ، السمع ، الكريم الصادق ،
ذا الحسب والنسب ، لا ينقص الفقر من مكانته بين أقوامه ولا يحطّ من قدره بين أقرانه
، لأنّ المال غاد ورائح . وإن كانت نظرة الناس نظرة مادية فهذا لا يؤثر على رجل
يحمل تلك الصفات بل يجعله هذا أكثر اعتداداً بذاته ، وأكثر دراية بمن هو معه من
غيره فتسقط الأفئدة الزائفة ، وتظهر الحقائق ، وبهذا يعود الكسب كلّ الكسب له لأنّه
لم يضع وقته وإحسانه في بناء عزّ مادته الشعر والوبر .

ولا ضير من وجود مال يعان به ضعيف ، ويصلح به حال ، ويكرم به ضيف ،
وينصر به ابن عم قريب ، أو جار غريب ، ولكن إن توافرت كلّ هذه الأشياء - قطعاً
- في شخص واحد فقد ملك ما ملك دونما كبير أو خيلاء ، ودونما ترفع أو إزدراء . ولا
أظن أن المال هو الدعامة الأساسية ولا العمدة ، ولا العماد في بناء أيّ شخصية ، إلا
أنّه فرع ذو أهمية .

ومن ناحية أخرى فإنَّ حاتماً إنَّ أثر الثراء لفعل ، ولكنه أراد أمراً أعظم من ذلك فأدركه وهو القائل ' :

وقد علم الأقباط لو أنّ حاتماً أراد ثراء المال كان له

و فــــــــــــــر

وَأَنِّي لَا آلُو بِمَالٍ صَنِيعَةٍ
وَأَخِي وَآخِرُهُ

ر _____ ذ

يُفَكُّ بِهِ الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيِّبٌ _____
أَوْ الْخَمْرُ وَمَا إِنْ تَعْرِيه الْقَدَاحُ

لا أدري ما حرفة حاتم وما مهنته التي امتنها حتى كانت له هذه الأموال ؛ ولكن أستطيع أن أبين حدود تحركاته ، ومحاور تعاملاته ، والقيم التي حملها وسار عليها وذلك من خلال أبياته فقط فهو يقول^٢:

ولا أشتري مالاً بغدر علمتهُ ألا كل مال خالط الغدرُ أنكد

وان كان المال عند الكريم منهم جعله جُنَّةً ووقايةً ، واتخذ منه ستراً وغطاءً لنفسه وأهله ، وردد هذا حاتم في أبياته قائلاً^٣ :

وأجعل مالي دون عرضي جنــــة
لنفسى فأستغنى بما
كان من فضلى

وعاوده الإحساس بالفكرة مرة أخرى فأتى بصدر كصدر بيته السابق فقال^٤ :

^۱ دیوان حاتم ، ص ۵۱ .

^٢ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٨٧ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٢٥١ . وفي ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٥ .

^٤ السابق نفسه ، ص ٧١ .

وأجعل مالي دون عرضي إنني _____
أفـيـد _____
كذلكم ما

وأنا

ف

وقال^١ :

ذريني يكن مالي لعرضي جنـة _____
_____ قبل أن يتبـدا
يقي المال عرضي

وخلاصة هذا أن المال ليس له مكان عنده .. يكسبه ويقوم تَوّاً بصرفه وبذله بذل
من لا يخش الفقر أبداً وذلك لأسباب عدة :

أولاً : إن المال غادِ ورائح ولا ينوبك منه إلا السيرة إما حسنة أو سيئة . وقال
مخاطباً زوجته^٢ :

^١ السابق نفسه ، ص ٤٠ .

- وفي معجم السفر ، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، تحقيق : عبد الله عمر البرودي ، ج ١ ،
ص ٣١١ ، يقول : " ذروني يكن مالي لعرضي وقاية ... " .

^٢ الأغاني ، ج ٥ ، ص ٣٧٧ .

- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت - لبنان ،
الباب : عذر ، ج ٤ ، ص ٥٤٥ .

- مفردات ألفاظ القرآن - نسخة محققة ، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب
الأصفهاني أبو القاسم ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، الباب : كتاب الألف ، ج ١ ، ص ٦٤ .

- رسائل ابن حزم الاندلسي ، ابن حزم ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت -
لبنان ، الباب : ٨ ، فصل في مداولة ذوي الأخلاق الفاسدة ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

أماوي ! إنَّ المالَ غادٍ ورائي _____
ويبقى من
المال الأحاديث والذكر

وقال^١ :

فلا الجود يفني المال قبل فنائه
ولا البخل في مال الشحيح
يـزـيـد

فلا تلتمس رزقاً بعيش مقـ _____
تر _____
لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جـ _____
ديـ

ألم تر أنَّ الرزقَ غادٍ ورائي _____
وأنَّ
الذي أعطاك سوف يعـ _____
يـ

ثانياً : يرى الكريم سبل المال وافرة ، وطرقه سهلة فنجدته دائماً متفائلاً ومتيقناً أنَّ
رزقه لا يفوته وأنَّ قدره ، ومقداره آتية لا محالة فقال^٢ :

كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا
فإن على الرحمن رزقكم
غـدأ

وقال النمر العكلي بيتاً في معنى أبيات حاتم - الأنفة - وأجعل مالي .. ولكنه يردُّ
على أخيه الذي يلومه على إعطاء المال - سيذكر في لوم العوائل - قائلاً^٣ :

_ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني . المحقق : إحسان عباس ،
الناشر : الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ط ١ ، ج ١ ، ٣٠٢ .

^١ المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي ، دار
النشر: دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

^٢ ديوان حاتم الطائي ، ص ٤١ .

^٣ ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ١٣٤ .

أقي حسبي به ويعز عرضي علي إذا الحفيظة
أدركتني

فالنمر ليس ميّالاً للفخر إذ أن الفخر عنده لا يتعدى أبيات قليلة ينثرها هنا وهناك
من قصائده ، بعكس حاتم الطائي ، الذي حاز الفخر على قدر كبير من قصائده
ومقطوعاته ، فيقول مفتخراً بنفسه^١ :

وإني لأقري الضيف قبل سؤاله وأطعن قدماً والأسنة
ترع

وإني لأخزي أن ترى بي بطننة وجارات بيتي طوايات
ونح

وإني لأغشى أبعد الحيّ جفنتي إذا حرك الأطناب نكباء حرجف
وإني أرمي بالعداوة

أهـ
أنتك
وإني بالأعداء لا

وإني لأعطي سائلي والربما أكلف ما
لا أستطيع فأف

وإني لمذمومٌ إذا قيل حاتم
نبا نبوة إن الكريم

يعن

سأبى وتأبى بي أصول كريمة وآباء صدق بالمودّة
شرقوا

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٠ .

ويقول :

وأغفر إن زلت بمولاي نعلــــــــــــــــــــه
ولا خير في المولى إذا كان يقرفُ

سَأُنْصِرُهُ إِنْ كَانَ لِلْحَقِّ تَابِعٌ ۖ وَإِنْ جَارٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ

وإن ظلموه قمتُ بالسيفِ دونه لأنصره إنَّ الضعيفَ

بؤنَّ ف

وإن تناول حاتم في هذه الأبيات مسلك الفخر الذاتي فأظنه لم يوفق في وصف ذاته بالكرم في قوله : " وإني لأقري الضيف قبل سؤاله .. " ، لأن الضيف بطبيعته ينزل ولا يسأل - في الأغلب - ، وإن كان يسأل يبقى وصفي له - حاتم - وتقويمي بيته كما هو. وكان أجدر به أن يقول : " وإني لأقري الضيف قبل نزوله " أو " وإني لأقري الضيف قبل حلوله " ، وما المبالغة عندئذٍ إلا دلالة على البعد في الإلتصاف بالصفة سواء كرم ، أو سماحة أو غير ذلك ، كما في قوله في أبيات أخرى^٢ :

أضاحك ضيفي قبل إنزال

رحا _____ ويخصب عذري

و المحل حبيبٌ

^١ السابق نفسه ، ص ٧١ .

^٢ السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري ، دراسة وتحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الباب : حلف الفضول ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

- شرح وتحقيق ديوان حاتم ، ص ١٥ .

وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثرَ القرى ولكنَّما وجهُ الكريمِ
خصيبٌ

وفخر في عجز البيت بطعنه النافذ ، المهرق للدماء وفي هذا دليل على شجاعته ،
وجرأته عند ملاقاته الأعداء ، والنيل منهم .

وفي البيت الذي يليه يظهر جانباً آخر فيه تصوير واضح تناول فيه البعد الجسدي
والذي يخلص فيه على وصف ذاته بالجوّد ، ويفخر بأنه يرسل جفنة طعامه بعيداً لكلِّ
سالك وضائق ، ويفخر بأنه يعادي من يعاديه ولا يمانع في ذلك أبداً .

وأنه يعطي سائله بل يتكلف ما لا يستطيع " حتى " ، ويصر على القيام به ، لأنه
في هذا كلّه يخشى الذم ، ويخاف أن يُقال : " حاتم نبا نبوة .. " أي أخطأ ، وذل ،
وقال: سآبى وتآبى بي أصول كريمة .. " أي أن أصله ، وأصل آبائه الشرفاء الميامين
يأبون عليه إلا أن يفعل ذلك كلّه .

وهناك سبب آخر وهو الذود عن عرضه ، والحفاظ عليه بأن يخرس فاه كلّ
متناول معتدٍ بإغراقه إطعاماً وإكراماً ، فلا ينطق إلا شكراً وإحساناً .

ويغفر أخطاء أهله وأقربائه ، بل ينصرهم إن احتاجوه ، وإن ظلموه يعفو ويصفح
عنهم لحكمته وقدرته . وإن ظلموه قام بالسيف دونهم حتى لا يؤنّفوا من " أنف " كناية
عن الذلّ ، أي حتى لا يُذلّوا .

ويسترسل في افتخاره بنفسه ، ويشترك مع النمر في استخدام الموت ، وربط
العطاء به . فحاتم يقول إنه وإن عاش طويلاً فمصيره الموت ، ولا يكسب إلا ما يبذل
في حياته إن خير فخير وإن شر فشر يقول^١ :

وإنّي وإن طال الثواء لميتٌ ويعطمني ماوي بيت مسقفٌ
وإنّي لمجزي بما أنا كاسبٌ وكلُّ امرئ رهن بما هو متلفٌ

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٠ .

فالنمر يقول آنفاً^١ :

أقي حسبي به ويعزُّ عرضي عليَّ إذا الحفيظة
أدركنتَ _____ ي

وأعلم أن ستدركني المنايا _____
فإن لا أتبعها _____
تتبعن _____ ي

رأيت المانعين المال يوم _____
مصيرهم لإلقاء _____
فدف _____ ن

فهو يجعل المال وسيلة يحفظ بها عرضه ، ووقاية وحصناً إذا أدركه الموت الذي لا محالة تابعه ، فيذكره الناس بالخير الذي فعله ، فهو يرى في البخل العار والخزي .
وحاتم يكني بـ " البيت المسقّف " عن الموت ، ويذكر أنه لن يعطى ويجازى إلا بما أعطى بل كلُّ إنسان لن يأخذ إلا ما وهب و " كل امرئ رهن بما هو متلف " .

ويقول^٢ :

أهن للذي تهوى الت _____ لاد فإنّه
نهباً مقسم _____

ولا تشقين فيه فيس _____ عد وارث به
حين تخشى أغبر اللون مظلماً

قليلٌ به ما يح _____ مدنك وراثتُ
إذا ساق مما كنت تجمع مغنم _____

^١ ديوان النمر بن تولب العكلي ، ص ١٣٤ .

^٢ ديوان حاتم الطائي ، ص ٨٠ .

فالوراث يقسمونه فيما بينهم ، ويشرون كرامتهم في الدنيا ، وبينوا به مناصبهم ، وأنت في " خط من الأرض " - القبر - لا حول لك ولا قوة إلا ما فعلته من عمل صالح في دنياك .. وقليل ما يقابل فضلك شكر وتقدير ، وحتى لا يكن معك مثل ذلك فتعهد الكرم ، والبذل في نفسك خصلة تعزك حياً وميتاً .

وقريبي

كان نصيبي

سقيها ودؤوب

قلاي _____ ب

٦٢

ويشترك معه حاتم في هذه المعاني فهو يقول^١ :

إذا أنا دلاني الذين

أحبه _____ م _____ لملحوة زلج
جوانبها غب _____ ر

وراحوا عجالاً ينفضون أكفهم _____ م _____ يقولون : قد
دمى أناملنا الح _____ فر

أماوي إن يصبح صداي بقف _____ رة _____ من الأرض
لاماء هناك ولا خمر

تري أن ما أهلكتم لم يك ضرني وأن يدي مما بخلت به
صف _____ ر

فالمقصد في قوله واضح جلي ، يحوي في طياته المعاني السابقة بطريقة مختلفة قليلاً ، يسلك فيه المسلك التصويري ، إذ أنه الأوقع والأبلغ في إيصال أي فكرة من الأفكار ، ويذكر الموت لمزيد من العظة والاعتبار .

فنرى الشاعرين اشتركا في المقصد ، وإن كان الأول استصحب سبيل الحكمة والاستدلال على الرأي بالمثل في قوله : وذئ إيل .. " .

وفي قوله في البيت الأول : " بعيداً نأني صاحبي وقريبي .. " فإن حاتماً يقول هنا : " إذا أنا دلاني الذين أحبهم .. " ، إذا كان هناك نفع يرجى فالحبيب أولى من الصاحب والقريب ، ولكن لا نفع بعد الموت منهم جميعاً ، فاستخدام حاتم لكلمة " أحبهم " تسهم في إيصال الاستحالة أكثر وأكثر وتقوم مقام الصاحب والقريب .

^١ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٨٣ .

- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، الباب ٧٧ ، ج ١٦ ، ص ١٩٨ . وديوان حاتم الطائي ، ص ٥٠ .

ثم إن حاتماً استخدم أسلوب التصوير ، فصور تلك الحالة تصويراً دقيقاً في قوله : " ينفضون أكفهم " ، وتذمرهم في قوله : " قد دَمَّى أناملنا الحفر " ، وحالته في القبر : " لا ماء هناك ولا خمر " .

فلكل أسلوبه ولا فضل لأسلوب على أسلوب ، ولكن الفضل كان في إنتقاء عبارات وكلمات أدق منها عبارات وكلمات أخرى .

واشتركا في بعض المعاني فقال النمر^١ :

ترى أن ما أبقيت لم أك ربَّ _____ وأن الذي
أمضيت كان نصيبي

وحاتم يقول^٢ :

ترى أن ما أهلك لم يك ضرني وأنَّ يدي مما بخلت به
_____ صفر

نجد صدر بيت " النمر " يقابل عجز بيت " حاتم " في المعنى ، وكذلك عجز بيت " النمر " مع صدر الآخر .

^١ ديوان النمر ، ص ٤٤ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة - مصر ، ط ٧ ، عام ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، مطبعة المدني - السعودية .

- باب آخر من الأسجاع في الكلام ، ج ١ ، ص ٢٨٤ . ولكن ذكر هنا بـ " وأن الذي أنفقت كان نصيبي .. " .

- وكذلك في " الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

الباب : في وصف الجود والحث على المبادرة به ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

واشتركا في كلمات البدء " ترى " ، و"ترخيم" أك ويك " ، واشتركا في المقصد العام أي أن ما يبذلونه يجدونه حتماً ، وما يتركونه أو يبخلون به يصير لغيرهم ، ولا ينتفعون منه بشيء .

فالنمر أصاب المرام هذه المرة حينما قال : " وأن الذي أمضيت " كان نصيبي " أي أن الذي صرفته ، وبذلته هو الذي عاد علي بالنفع الجزيل . بعكس حاتم الذي قال : " ترى أن ما أهلك لم يك ضرني " ، عبارة " لم يك ضرني " عبارة غير دقيقة ، لأن عدم الضرر لا يشترط فيه الفائدة ، وبمعنى آخر " عدم الضرر " تكون الفائدة فيه مجرد احتمال.

وذكر المبرد في الكامل بيت حاتم هكذا^١ :

ترى أن ما أبقيت لم أك ربّه وأن يدي مما بخلتُ به صفر

أي أنهما استخدما الصدر نفسه ، والفرق اختلاف الأعجاز ، وهذا توارد خواطر غريب للغاية ، فهما لم يقفا على ما اتفقا عليه فحسب بل اشتركا في العبارات اشتراك المرأة صاحبها الملامح نفسها ، والشبه ذاته .

وإذا وقفنا على قوله : " وأن يدي مما بخلتُ به صفر " ، أظنه يعني بـ " ما بخلتُ به " ما ذكره هنا " الفرس ، والسيف ، والرمح " ، ولا أحسبه كذلك - بخل - لأن الحفاظ عليها حفاظ على النفس ، ودفاع عن الأهل ، والعشيرة ، وهو لم يترك غيرها من مأكّل ، ومشرب ، وملبس . وهو يقول^٢ :

متى يأت يوماً وارثي يبتغي الغنى يجد جمع كف غير ملء ولا

صفر

^١ الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، ص ٢٩٢ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٤٦ .

- شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، الباب : وقال حاتم الطائي .

يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعَنَانِ وَصَارَ م_____

حَسَامًا إِذَا مَا هَزَلَ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبِ _____

وَأَسْمَرُ خَطِيئًا كَأَنَّ

كعوب

هـ نوى القسب قد أرمى ذراعاً على العشر

وإني لأستحيي من الأرض أن أرى بها الناب تمشي في عشايتها

الغبر

قوله "جمع كف" هو القدر الذي يجمع عليه الكف من المال وغيره . والصفر الخالي من الشيء . فيقول ؟ إذا جاء وارثي بعد موتي يجد قَدْرًا من المال ، لا يوصف بالكثرة ، ولا بالقلة .

كما أنه في البيت الآخر : استحي أن ترى به بطنه ، وأن تظهر عليه نعمة وجاراته في حاجة إلى مساعدة ، بالرغم من أنهم رعية غيره فهو هنا يجعل المسؤولية كلَّ المسؤولية على عاتقه ويلوم نفسه إن قصرَّ فيها .

فهو يبدي خوفاً من البطنة بطريقة أو أخرى ، لأنها مدعاة للذم ، والخزي في رأيه .

فهو يقول :

أما والذي لا يعلم الغيب

غ _____ يرہ ويحيي العظام البيض

وہی رمیم

^۱ دیوان حاتم ، ص ۸۶ .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٥م ، ج ١ ، ص ٩٦ .

لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهي مخافة يوماً أن يقال

لئيم _____ م

وما كان بي ما كان والليل مبل _____ س رواق له

فوق الإكام بهي _____ م

ألف بحلسي الزاد من دون صحبتي وقد آب نجم واستقل

نجم _____ وم

فهو يقسم بالله أنه يطوي بطنه ، ولا يَطْعَم طعام أضيافه أبداً ، وهو في زمن جذب ، وليال موغلة في الظلمة حتى لا يقال عنه لئيم يحب نفسه ، وصرح بخوفه هذا قائلاً^١ : " .. أخاف مذمات الأحاديث من بعدي " .

وتناول في فخره بنفسه ، وكرمه معاني وصوراً مختلفة ، وهنا صور لنا كبر نفسه ، وازدراءه الشهوات ، بل ذهب إلى ذمها ، واحتقارها ، وعلى المرء ألا يتبع النفس فإنها أمارة بالسوء جلابة للمهالك .

وتحدث النمر عن النفس مقسماً لها في الذم والتعريض برجل بخيل - سيذكر في الذم -^٢ :

أما خليلي فإنني غير معجل _____ ه حتى

يؤامر نفسه كما زعم _____ ا

نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

فوسم النفس التي تعطي ، وتبذل دونما حساب بـ " النفس الصالحة " ، والأخرى بالنفس " التي ترضع الغنما " أي الدنيئة الضعيفة عن قدرة العطاء ، وشجاعة الإنفاق ،

^١ ديوان النمر بن تولب ، ص ١٢٢ .

^٢ الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٢٨٣ .

أشاور نفس الجود حتى تطيعني وأترك نفس البخل لا أستشيرها

وحاتم أشار إلى أن للإنسان نفسين " نفس الجود " وتقابل عند النمر " النفس الصالحة " ، ونفس البخل وتقابل عند النمر " النفس التي ترضع الغنما " ، قال النمر (رضي الله تعالى عنه) ٢ :

كانوا يعييون التتحنح ، والارتعاش ، والحصر ، والتعثر في الكلام ، لذلك استعاذ منها النمر ، ولم يكتف بأن قسمها بل راح مستعيذاً من أمراض النفس المختلفة وقال : اعصمني من حاجاتها وشهواتها فإنّها تضرر الكثير من المطالب التي لا تنتهي ، فأنت

^٢ ديوان النمر ، ص ٥٠ .

صاحبها وبارؤها وقد برئت منها إليك ، وأنت من ترزقني بلا حساب فكيف أجعل بابي مغلقاً دون خلقك وأضيافي .. أرزقهم ما رزقتني بلا مقابل ، وأظنه قالها بعد إسلامه .

ويقول حاتم فيما يلي أبياته السابقة^١ :

وليس على ناري حجاب يَكْنِها لمستوبص ليلاً ولكن
أنيرها_____

فلا وأبيك ما يظل بن جارتِـي _____ يطوف حوالي قدرنا ما
يطورها

فهو لا يوارى ناره بل يوقدها كي يراها كلُّ ظاعن ، ويتهدى إليها كلُّ راحل ،
فهو القائل ، لغلامه - يساراً^٢ :

أوقد فإنَّ الليلَ ليلَ ق_____ رُ والريح
يا موقد ريح ص_____ رُ

عسى يرى نارك من يمرُّ فإن جلبت ضيفا فأنت حرُّ
ولا حاجة لأن يطوَّف ابن جارتَه بقدره فهو يجزيه ، ويكفيه ، ولا يطعم شيئاً ما
لم يشاركه فيه أحد ، وقال - في معنى ما سبق -^٣ :

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلاً فإنني لست آكله
وح_____ دي

أخا طارقاً ، أو جار بيت فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
وإنِّي لعبد الضيف مادام ثاوي_____اً وما في إلا تلك من شيم
العبد_____ د

^١ ديوان حاتم ، ص ٦٣ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٥٩ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٤٣ - ٤٤ .

وقال مخاطباً زوجه^١ :

لا تستري قدرى إذا ما طبختها _____
علي إذا ما تطبخ _____ين
ح _____رام

ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي بجزل إذا أوقدت لا بضرام

فهو يأمر زوجه ألا توارى طبخها عن الزوار ، بل توقد الحطب الجزل بمكان مرتفع حتى يهتدي إليه الأضياف ، ونراه مفتخراً بذلك في قوله^٢ :

قدوري بصحراء منصوبة وما ينبح الكلب أضيافيه

وإن لم أجد لنزيلي قـ _____رى قطعت له بعض أطرافيه

يفتخر بأنه يبرز قدره بالفناء ، ولا يحجب طعامه ولا ناره ، وهذه المعاني ما زال يرددها في أبياته . وقال : إنَّ كلبه لا ينبح الزوار فهو معتاد عليهم . وبالغ أيما مبالغة في بيته الأخير الذي يقول : بإمكانه قطع أطرافه إن لم يجد لضيّفه قرى .

ولكني أجد تناقضاً فيما جاء في أبياته السابقة وما سأذكره له من أبيات هنا - إن صح إسنادها له - فهو يقول^٣ :

ولا أزرّف ضيفي إن تأوبنـ _____ي
ولا أداني له ما ليس
بالداني

له المؤاساة عندي إن تأوبني وكلُّ زادٍ وإن أبقيته
فـ _____اني

قال هنا أنه لا يقصي ضيفه ، وكذلك لا يجتهد في أن يأتيه ما ليس بسهل ، فهو يكرمه إن جاءه فكل زاد وإن حفظه لابدّ ماض وزائل .

^١ السابق نفسه ، ص ٨٨ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٧٢ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٩١ .

۱. فإِما لِيست له .

هذه مجرد احتمالات وربما هناك غيرها ، والذي رأيناه هنا يناقض رجلاً يفخر ويقول¹ :

تَقْصِي إِلَى الْحَيِّ إِمَّا دَلَالَةً عَلَيَّ وَإِمَّا قَادَهُ لِي

فهو يقول إنه مقصد الناس وقبلة الزوار ، وهذا يجافي ما ورد هناك .

ومما ذكرناه نصل إلى أنه عاش في الحاليين ، وذاق يسر العيش ، وعسره . وقال مفتخرًا ٢ :

وَأَنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكٌ

شکل لا یوافقه

الخز

وودك

^۱ دیوان حاتم ، ص ۱۹ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٦٣ .

شكا

ي

وشكلي شكل لا يقوم

لمثا

من الناس إلا كل ذي نيقة

مثا ي

ولي نيقة في المجد والبذل لم تك
تأنقها فيما مضى أحد

قبلا

ي

وأجعل مالي دون عرضي

جن

فأستغنى بما كان فضلا ي

ولي مع بذل المال والبأس صولة

إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

وما ضرني أن سار سعد

بأها

الدار ليس معي أهلا ي

سيكفيني ابتتاي المجد سعد بن حشرج وأحمل عنكم كل ما حل من

أزلا ي

وما من لئيم عاله الدهر

مرة

فيذكرها إلا استمال إلى

ويفخر بأنه تأنف ، وتخلق بما لم يشابهه فيه أحد ، وهو لا يقصد الصفة " الكرم " ولكنه يقصد " درجته والإغراق فيه " ، وليس الكرم ما فخر به وحده بل له في مواطن الحرب صولات ، وجولات ، تنبئ عن شجاعته ، وإقدامه ، والبذل عنده تعدى الأموال إلى الذات ، فدفع بها في حياض الموت بكل جسارة ، وبسالة .

وقال مفتخراً بشجاعته :

لساء عذیرہ _____

المشرفی جسورہا

سعر

بقدر جزو رہا

 $\gamma \Sigma$

شهدت وعواناً أميمة

إننا _____ بنو الحرب نصلها

إذا اشتد نورها

وخيل أي " ربّ خيل " يفخر بأنه تهادى ، وعدى بخيله نحو القتال بلا تردد
وتخاذل، ولو لم يكن فيها لساء الأمر، وخاض غمار الموت في غاية الجسارة ، وصبر
على شدة الحروب مستعيناً بسيفه الحسام ، ومعه " عرجلة " أي " رجال " مغبرو
الرؤوس، منكرو الأشكال كأنهم في قوتهم ، وشراستهم الفائقة ، واندفاعهم لحياض
الموت " بنو الجن " .

ويقول : إنه شهد تلك الحروب بصحبة " عوان " مخاطباً محبوبته " أميمة " بأنه
لا يخاف ، ولا يهاب الحرب مهما اشتدت وسعرت . ويواصل قوله واصفاً المهرة التي
امتطاها :

على مهرة كبداء جرداء ضامراً _____ أمين شظاها مطمئن
نسورها

وأقسمت لا أعطي مليكاً ظلامه وحولي عدي كهلها وغريرها _____

أبت لي ذا كم أسرة
ثعالٍ _____ كريم غناها مستعف
فقيرها _____

وخصوص دقاق قد حدوت لفتية _____ عليهن إحداهن قد
حلّ كورها _____

يصف مهرته بتلك الصفات - ستذكر في الوصف - دلالة على أصلتها ، وهو
يقسم أنه لن يعطي المليك أو الملك مالاً أخذ ظلماً ، ففي بيت له يقول ^١ :

^١ ديوان حاتم ، ص ٢٣ .

ألبانها

أعترها

ولحومهم

فأهين ذاك لضيفها ولجارها

ليلة

في

ولرفقة

مشمول

نزلت بها فعدت على آسارها

فسبت

أقوام

وأضاع

وأبوهم حتى

أمهم

يمت بعهده

ويغرزون بها على

كانوا يسيمون المخاض أمامهم

أغبارها

وشهدت عند الليل موقد

ولقد شهدت إذا القداح توحـدت

نارها

وكأن لون

عن ذات أولية أسود* ربهـا

الملح فوق شفارها

فمنحت بدأتها رقيباً جانحاً

والنار تلتفح وجهه بأوارها

ماله

عقيلة

كانت

فأذله

عن بعض قنيتها رجاة بكارها

يده بجلدة ضرعها

حتى إذا قسم النصيب وأصفت

وحوارها

ظهرت ندامته وهان بسخطه _____
مربوعها وعذارها _____

ولقد شهدت الخيل وهي مغيرة _____
آثارها _____

وحويت مغنمها أمام جيادها _____
إذ طُرَّت على أدبارها _____

ولقد شفيت من الركاب ومشيتها _____
أكوارها _____

وكأنما انطمرت جنادب* حرة _____
فرمتك عن أبصارها

فالشاعر يفخر بكرمه ، وأنه ينحر لضيفه ولا يهتمه شحم الناقة ولحمها ، يهينها لزواره دون نفسه ، وهو القائل : " وفي جسم راعيها هزال وشحبة .. " ، وذم البخلاء أيما ذم قائلاً : " وأضاع أقوام .. " ، أي : أضاعوا الفضل ، فذمُّوا وسُبُّوا ، وراح واصفاً سلوكهم ، ثم افتخر مرة أخرى بنفسه ، وشجاعته على أعدائه ، فإن التقى العدو فاز بالغنيمة ، وإن جَبَنَ واستسلم رجع عنه . والنمر يصل إلى ما يريد من المعاني بأسهل الطرق ، ويعبر عن نفسه بأيسر العبارات ، ففي قصيدته السابقة أفصح عن أحاسيس كثيرة في نفسه ، وبيغض ما لا يوافقُه من الصفات الذميمة ، وأشنعها عندهم الشحُّ .

ويقول - مفتخراً بنفسه -^١ :

فإن تك أثوابي تمزقن عن بلىِّ فإنِّي كنصل السيف في خلق الغمد

* الجنادب : ضرب من الجراد .

- حاشية الديوان ، ص ٧١ .

^١ ديوان النمر ، ص ٢٥ .

أي أنه كنصل السيف القوي القاطع وإن هلك الغمد واهترأ فالنصل باق لا يغيره
عن حاله مغير .

وقال حاتم مفتخراً :

وخرق كنصل السيف قد رام مصدفي تعسفته بالرمح والقوم

نشدی

فخرٌ على حرّ الجبين

بضرِب_____ة تقط صفاقا عن حشا

غیر مسدود

فمارمته حتی ترک

عويص _____ بقية عرف

يُحْفَظُ التُّرْبُ مِـنْ ذَوْدِ

وحتى تركت العائدات

يَعْدُ _____ يَنَادِي لَا

تبعہ ، وقت له : ابعـ

^١ ديوان النمر ، ص ٣٧ .

أطافوا به طوفين ثم مشوا

ب_____ إلى ذات الجاف

بزخاء ق_____ ردد

ومراقبة دون السماء

ط_____

رّة سبقت طلوع الشمس منها بمرصد

وسادي بها جفن السلاح وت_____ارة

إلى عدواء الجنب غير موسّ_____د

أي وربّ سيد جريء أراد النيل مني ، فتصدّيت له ، وأوزعته ضربة قطعته
فقسمته ضربة أناحت نساء أهله ، ضربة ألحقته بالقبر . وفي قوله : " مراقبة " يعني
المكان المرتفع الذي يراقب من عليه العدو ويقول : إنه يرقب أي عدو من ذلك المكان
المرتفع ، بأرض صلبة صلبة لا يتوسد فيها إلا سلاحه وأحياناً لا يتوسد فيها شيئاً ..
فهو دائماً في حالة تأهب ، وترقب في كل جراءة وجسارة .

فالنمر شبه نفسه بنصل السيف ، أما حاتم فشبه عدوه بنصل السيف ، وقوة وشدة
عدوه تدل على قوته لأنّه وبقوته تغلب عليه وانتصر .. إذن هو مفتخر بشجاعته هنا
بطريقة غير مباشرة .

ولما أحسّ النمر بأنه أكمل دروب الشجاعة ، وأبواب الكرم راح قائلاً لعاذلته^١ :

وهازئة مني تودّ لو ابنه_____ا

على شيمتي أو أن قيّمها مثلي_____ي

والمرأة لا تتمنى إلا أن يكون ابنها حسن الخلق ، والخلق ، جسور ، معطاء ،
يحفظ أهله ويرعاهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فينشأ على هذه الصفات ، فهذا هو ذا
حاتم يقول^١ :

^١ السابق نفسه ، ص ١١٠ .

وما ابتعثتني في هواي لجاجة _____
إِذَا لَمْ أَجِدْ فِيهَا
إِمَامِي مَقْدَم _____

إِذَا شِئْتُ نَاوَيْتُ امْرَأَ الس _____
وَمَا نَزَا إِلَيْكَ وَلَا طَمَتِ اللَّئِيمُ الْمَلْطَمَا

وَذُو اللَّبِّ وَالتَّقْوَى حَقِي _____
قِ إِذَا رَأَى
ذَوِي طَبَعِ الْأَخْلَاقِ أَنْ يَتَكْرَم _____

فَجَاوَرَ كَرِيمًا وَاقْتَدَحَ مِنْ
زَن _____
وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ إِنْ تَطَاوَلَ
سَلَم _____

وَعَوْرَاءٌ قَدْ أَعْرَضَتْ عَنْهَا فَلَمْ يَضُرْ وَذِي أَوْدِ قَوْمَتِهِ

فَتَقَوْم _____

وَأَغْفَرَ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ
ادْخ _____
وَأَعْرَضَ
عَنْ شَتَمِ اللَّئِيمِ تَكْرَم _____

وَلَا أَخَذَلَ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ خ _____
وَلَا أَشْتَمَ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ
كَانَ مَفْحَم _____

وَلَا زَادَنِي عَنْهُ غَنَائِي
تَبَاع _____
وَإِنْ كَانَ ذَا نَقْصٍ مِنْ

الْمَالِ مَصْرَمًا

" تحمل عن الأذنين " هكذا جاءت وأظنها " تحمل عنا الأذنين " أي " عناء "
فقصرت ولا اختلال في هذا ، والمعنى واضح جلي ، وتناول في هذه الأبيات أشياء
عدة ، تدور أغلبها في الحلم ، والتحلم ، والتكرم ، واللاحق بالكرماء ، والسير معهم ،

ولكنه في البيت الأول قال : " تحملهم واستبق ودهم " أي أن البقاء على ودهم شيء مهم ففيه البركة ، والراحة النفسية وغيرها ، فهم عضده ، وسنده ، وقال النمر في مثل هذا^١ :

فدعوا الضغائن لا تكن من شأنكم إن الضغائن للقاء_____رابة
تق_____ذع

وهذا قول معناه ومراده خير، يدعو فيه الشاعر لترك الضغائن المضرة بالقربى ، المشتتة للشمل وغيره ، إلا أنني أنعتة بالسطحية في مناقشة مثل هذا الأمر بخلاف حاتم في أبياته السابقة .

فترك الضغائن لا يعني " تحمل الأذى " الذي دعا إليه حاتم ، وليس يعني الحلم أو التحلم . فبعد أن دعا حاتم إلى " تحمل الأذى " دعا إلى غفران الذلل والخطأ ، فمن الكريم إخباراً له ، ومن اللئيم ترفعاً عنه . إذن حاتم أبعد في مناقشة هذا الجانب - سنأخر الحديث عن البيتين الأخيرين قليلاً - ، وقال حاتم أيضاً^٢ :

وعوراء جاءت من أخ فرددته_____ا بسالمة العينين طالبة
ع_____ذراً

ولو أنني إذ قالها قلت مثله_____ا ولم أعف
عنها أورثت بيننا غمرا

فأعرضت عنه وانتظرت به غداً لعل غداً يبدي لمنتظر
أ_____را

وقلت له : عد بالأخوة بيننا_____ا ولم
أُتخذ ما كان من جهله قم_____را

^١ ديوان النمر ، ص ٨١ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٤٠ .

لأنزع ضباً كامناً في فـ _____ واده
وأقلم أظفاراً أطال بها الحفـ _____ را

" العوراء " الكلمة التي تهوى جهلاً في غير عقل ولا رشد ، فحينما سمع هذه
العوراء ما كان منه إلا أن سامحها ونظر إلى قائلها ليس نظر غيظ ولا حقد ، ولا نقد
، ولكنه نظر إليه نظرة انتظار اعتذار ، لماذا فعل هذا ؟

أولاً : لأنه يدري بأنها سقطت من غير قصد .

ثانياً: لو ردّها لطل الكلام بينهما ، ونتج عن هذا شيء في النفوس .

ودعاه لمبادلة الود والأخوة ، ولم يؤاخذه بقوله حتى لا ينمو الحقد في نفسه ، ولا
تشتعل الضغائن بداخله .

وقال حاتم - سابقاً^١ :

ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً ولا أشتم ابن العم إن كان
مفحم _____

ولا زادني عنه غنائي تباع _____ دأ وإن
كان ذا نقص من المال مصرما

يقول : إنه لا يخذل المولى ، وكلمة المولى ، لها معان عدة إما النصير أو القريب
أو ابن العم ، فمهما أخذت من المعاني السابقة ، فهو لا يخذله أبداً ، لأن هذا ليس من
شيمته ، فهو كريم أصيل لا يرضى مثل هذه الخصال الدنيئة ، ولا يسب ولا يلعن ابن
عمه ففي ذلك شتم لنفسه وأهله ، فيفخر بأنه طيب اللسان ليس بمسائب ولا ملاعن بل
يكون معه دائماً حتى إذا كان ذا مال وجاه وكان ذاك فقيراً عديماً فهو لا يبتعد عنه أبداً
.. ينصره .. ويسنده فهو القائل في معنى ما سبق^٢ :

^١ ديوان حاتم ، ص ٨١ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٧١ .

٨٥

ثانيهما : عدم شتمهما ومسامحتهما دائماً ، فهو يقول^١ :

وما من شيمتي شتم ابن عمي _____
من يرتجيني _____

سأمنحه على العلات حتى _____
أرى ماويّ ألاً يشتكيني _____

وكلمة حاسد في غير جـرم سمعت وقلت : مري
فانقذيني _____

وعابوها علي ولم تعبنني _____
يوماً جبيناً _____

وذي الوجهين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيب
يأتسيني _____

نظرت بعينه فكففت عنه _____
وديني _____

فلوميني إذا لم أقر ضيفي _____
مهيناً _____

عدم الشتم ، والوفاء بالوعد ، والعطاء صفات ذكرها في بيتيه الأول والثاني ، وفي البيت الثالث يقول : إنه لا يقف على كلام الحساد ، وقوله : " مري فانقذيني " يخاطب كلمة الحاسد ، وكأنه لو وقف عليها ، وردّها بمثلها أو أكثر تنقص منه الكثير فجعل عدم الوقوف عندها والصفح عنها من أفضل الأمور .. فمثل هذا الحديث لا يهمه أبداً ، ثم يتحدث عن " ذي الوجهين " الذي يقابلك مقابلة تحسبها نقيّة خالصة ، أما إذا غبت حمد غيابك ولم يأتسينه ، فيقول : إنه يعلمه جيّداً ولكن يكف عنه النظر ولا يوليه

^١ السابق نفسه ، ص ٥١ .

اهتماماً ، والتفت قائلاً : لوميني إذا لم أكرم ضيفي وأكفيه ، وإذا لم أكرم وأرعى من أكرمني ، وأهن وأذل من أهانني ، وحاول إذلالني .. فهو حرٌّ كريمٌ لا يرتضي الذلَّ والمهانة أبداً إلا مع ضيفه فهو يقول^١ :

وإنِّي لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما في إلا تلك من شيم العبد

ورغم إكرامه ، وإغداقه للأضياف إلا أنه عفيف النفس ، لا ينظر لما عند غيره أبداً فهو القائل لوهم* بن عمرو^٢ :

إذا كنت ذا مال كثير موجه _____ أ _____ تُدقُّ

لك الأفحاء في كل _____ نزل

فإن نزع الجفر يذهب عيمت _____ ي _____ وأبلغ

بالمخشوب غير المفلف _____ ل

وقال حاتم أيضاً^٣ :

وليل بهيم قد تسربلت

_____ هول

_____ ة إذا الليل بالنكس الضعيف تجهما

ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنى _____ ي إذا

هو لم يركب من الأمر معظما

^١ ديوان حاتم ، ص ٤٤ .

* وهم بن عمرو حويص بن مالك بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم ، وهو ابن عم حاتم .

- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، ج ١٧ ، ص ٣٧٢ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٧٨ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٨٢ .

يرى الخمص تعذيباً وإن يلق شبعاً
بيت قلبه من قلة الهم مبهم

لحي الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوساً

ومطعم

ينام الضحى حتى إذا ليله

استوى تنبه مثلوج الفؤاد

مورم

مقيما مع المثرين ليس

ببحر

إذا كان جدوى من طعام ومجثم

أي " وربّ ليل مظلم حالك سرت فيه رغم ما به من مخاطر ، وصعاب يهابها الضعفاء ، ويخشأها الجبناء ، فلن يحمد الصعلوك الفقير ما لم يتحلّ بشجاعة تنصهر أمامها الصعاب ، وتتذلل في وجهها المكاره . وبعد افتخاره استرسل متحدثاً عن الصعاليك، ففي الأبيات هذه ذكرَ قِسْمَهُم الأول ألا وهو " الصعلوك الذميم المذموم " ، وهو صاحب الصفات المذكورة أعلاه " الجزع وقت الجوع ، الخامل عند الشبع ، قليل الهمّ ، عديم الهدف ، صاحب الآمال القصيرة " والتي لا تتعدى المأكّل والمشرب والملبس " ، الناعم الجسم ، نؤوم الضحى حتى إذا ما استيقظ وجد اليوم فاته ، يتكلّ على ذوي المال لا يفارقهم أبداً ويجد عندهم المطعم والمشرب ، فهم يكفونه عناء البحث عن الرزق .

ومثل هؤلاء شر أناس لا هم يخدمون أهلهم وذويهم ، ولا هم يعتمدون على أنفسهم لكي يكفوها ، ومايعد هذا إلا تخاذلاً ودناءة ، ودعا عليهم الشاعر بعدم الحياة ،

لأنَّ حياتهم لا هدف فيها ولا فائدة قائلاً : " لحي الله " ، بخلاف القسم الآخر الذي قال فيه^١ :

والله صعلوك يساور

هم _____ ويمضي

على الأحداث والدهر مقدما

فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شبعة إن نالها عد

مغنم _____

إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت تيمم كبراهن ثمت

صم _____

تري رمحه أو نبله

ومجن _____ وذا شطب

عضب الضريبة مخذم _____

وأحناء سرج فاتر

ولجام _____ عتاد فتى هيجا

وطرفا مسوّم _____

فذلك إن يهلك فحسنى ثت _____ أوّه

وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذم _____^٢

^١ ديوان حاتم ، ص ٨٢ - ٨٣ .

^٢ ذكر في " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ط٤ ، ١٤١٨ - ١٩٩٧ - الباب : وتروي لمحمد بن عوف الأزدي ، ج ١ ، ص ١١٦ . المفعول له ، ج ٣ ، ص ١٢٤ . "

فهذا الصعلوك له رسالة وهدف في هذه الحياة يجتهد لأجله ، ويتصدر كل أمور الزمان ولا يهاب منها شيئاً ، ولا يهمله جوع ولا عدم ولا يغريه مال ولا حشم ، وإن حاد وقومه عن مكارم ضيعوها قام في هذا الأمر ، فهو المحافظ والباقي عليها حتى لا يضيع مجده ومجد قومه ، فترى عدته وعتاده من رمح ، ونبل ، ومجن ، وسيف حسام ، وغيره فهو في هيئة المتأهب المتهيء بكامل ما يملك دفعاً للقبيلة ، ودرءاً للفساد ، وحفاظاً على مكارم الأهل والأجداد .. وأمثال هؤلاء جديرون بالذكر والشكر - حقاً - والله درهم .

ونراه يأخذنا لعرف آخر ، وقضية أخرى ألا وهي " الجار " ، فللجار حقٌ عليهم حاضراً أم غائباً ، محسناً أم مسيئاً امرأة أم رجل ، حقٌ فرضته عليهم أنفسهم الشريفة النقية ، المحبة للخير ، المبعدة في مذاهب الإحسان ، فحاتم يقول مفتخراً بشجاعته وعفته^١ :

ومراقبة دون السماء
علوتها _____ أقلب طرفي في سماء
سباسب

وما أنا بالماشي إلى بيت جرتي طروقاً أحبيها كآخر
جان _____ ب

وقال^٢ :

بعيني عن جارات قومي غفلة _____ وفي السمع
مني عن حديثهم وقر

وما ضر جاراً يابنة القوم فاعلمي يجاورني ألا يكون له
س _____ تر

^١ ديوان حاتم ، ص ٢٩ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٥١ .

لا تطرق الجارات من بعد هجعة
من الليل إلا بالهدية
تحمّل

ولا يلطم ابن العم وسط بيوتت _____ ولا
نتصبي عرسه حين يغفل

وقال^٣ :

ولست إذا ما أحدث الدهر نكبة
بأخضع ولَّاج بيوت
الأقارب

ويقول^٤ :

وما تشكيني جرتي غير أنها إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلمها _____ إليها ولم يقصر
على ستورها _____

وبلغ من رعايتهن أن قال: "أنا أخذل وأذل إن ظهرت علي نعمة وجاراتي حالهنَّ يائس بئس " وهذا في بيته الآتي^١ :

^١ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج ٣ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٠م .

^٢ دیوان حاتم ، ص ٧٦ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٣٠ .

^٤ دیوان حاتم ، ص ٦٣ .

وَإِنِّي لِأَخْزَىٰ أَنْ تَرَىٰ بِي بَطْنَةً وَجَارَاتِ بَيْتِي طَاوِيَاتٍ وَنَحْفَ

وهو لا يخص بهذا جاراته فحسب بل كل العشيرة ، يحفظها ، ويخاف عليها
ويقوم عليها فيتصدر أمور العشيرة ، وكأنه مكلف بذلك وحده فيقول ^٢ :

وَأَفِي لأَعْرَاضِ الْعَشِيرَةِ حَافِظًا وَحَقَّهُمْ حَتَّى أَكُونَ
الْمَسْوَدَّ

وقال^٣ :

فأقسمت لا أمشي إلى سرّ جارة مدى الدهر مادام الحمام يغرد

وقال من الوافر ، معرباً عن عفته ، وشهامته ، وترفعه عن السكر أو الخيانة أو التعرض للجارات من النسوة^٤ :

إِذَا مَا بَتُّ أَشْرَبَ ف_____ وَكَرِهِي
الشَّرَابِ فَلَا رَوَيْتُ

إذا ما بت أختل عرس جاري ليخفيني الظلام فلا

أفصح جارتِي وأخون جاري! معاذ الله أفعل ما

فهو يتعجب ، ويتعوذ بالله من أن يكون أمثال أولئك الدنيئيين ، والذين يرقبون الجار حتى يحققوا مفسدهم ، وأباطيلهم .

^١ السابق نفسه ، ص ٧٠ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٤١ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٣٥ .

^٤ السابق نفسه ، ص ٣١ .

وخلصه تلك الأبيات :

- ١- إنه لا يكثر زيارة جيرانه من غير حاجة ، خاصة في غياب أزواجهن ولا سيما زيارة يحمل فيها هدية .
- ٢- لا يغتتم فرصة غيابهم فيغويهن ، ويرادهن .
- ٣- يقسم لهن رزقه فلا يطعم وحده أبداً .
- ٤- لا يرقبهن فيفضح لهن سراً .

هذا مراد الشاعر حاتم مما ذكره من أبيات ، وإذا أخذنا هذا الجانب عند النمر (رضي الله عنه) نجد هدفه فيه واضحاً ، فهو يفخر بشرفه وعفته ، وأنه لا يخون قريباً أو بعيداً "أهله ، جيران ، الأعراب عنه " ، لماذا ؟ ليس للسيادة التي أَرادها حاتم بل لشيء أرفع ، وأقيم ، وأنبل ، وأشرف من ذلك الغرض المحدد ألا وهو تخليد ذكرٍ نقيٍّ ، وسيرة نظيفةٍ ، واسم بعيد عن الرزايا والردائل فهو يقول^١ .

لا يعلم اللامعات اللامحات ضحىً ما تحت كشحي ولا يعلمن أسراري

ولا أخون ابن عمي في حلياة _____ه

ولا البعيد نوى مني ولا ج _____اري

حتى يقال إذا ورّيت في جدث _____ي

لقد مضى نمر عارٍ من الع _____ار

ومضى النمر كما أراد " عار من العار " ، فزيّن حياته بالإسلام ، واهتدى بهدية ، وتنور بنوره ، فنعمت الخاتمة ونعم السبيل .

وأغلب من يلومهما هنّ زوجاتهما ، فهذا لأنهنّ الأحرص على أموالهن وأموال أولادهنّ ، وأحياناً يأتي اللوم من جهات أخرى ، ولكن لم يصرحاً بذكر أسماء غير

^١ ديوان النمر بن تولب ، ص ٧٤ .

زوجاتهما ، وأحياناً يقول حاتم " وعاذلة " و" وقائلة " فإما أن تكون هذه " القائلة " وتلك " العاذلة " زوجته ، وإما أخرى لم يُرد ذكر اسمها ، ومثال ذلك قوله^١ :

وعاذلة هبّت بليلٍ

تلومنا _____ ي _____ وقد غاب
عيوق الثريا ف _____ عردا

تلوم على إعطائي المال ضلّة _____
البخيل وص _____ ردا

تقول : ألا أمسك عليك فإنني _____ ي _____
الممسكين معبّ _____ دا

ذريني وحالي إنَّ مالك واف _____ ر _____
وكل امرئٍ جاري على ما تع _____ ودا

أعاذل لا آلوك إلا

خليفة _____ ي _____ فلا تجعلني فوق
لسانك مب _____ ردا

ذريني يكن مالي لعرضي جنّة _____ ي _____
عرضي قبل أن يتب _____ ددا

أريني جواداً مات هزلاً لعائن _____ ي _____
أرى ما ترين أو بخيلاً مخلصاً _____ دا

وإلا فكفي بعض لومك واجعل _____ ي _____ إلى رأي من تلحين
رأيك مسن _____ دا

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٠ .

المسرد

قالت لتعذلني من الليل اسمع سفهاً تبيتك الملامة

فاهج

لا تعجلني لغدٍ وأمر غدٍ _____ هـ

أَتَعْجَلِينَ الشَّرَّ مَا لَمْ تَمْنَعِ

^٣ ديوان النمر بن تولب ، ص ٨٢ - ٨٧ .

قامت تبكي أن سبأت لفتي _____ زقاً وخابية

بعود

مقط

ع

لا تجزعي إن منفساً أهكت _____ وإذا هكت

فعند ذلك فاجز ع _____ ي

وقريت في مقرى قلائص أربعاً _____ وقريت بعد قرى قلائص

أربعاً _____ ع

أتبكي من كل شيء هي _____ ن

سفه بكاء العين ما لم تدم _____ ع

فاذا أتاني إخوتي فدعهم _____ م

يتعللوا في العيش أو يلهو معي _____ ي

لا تطردهم عن فراشي إن _____ ه

سيخلو مضجع _____ ي

هلا سألت بعادياً وبيت _____ ه

والخل والخمر التي لم تمن _____ ع

وفتاتهم عنز عشية أنس _____ ت من بعد

مرأى في الفضاء ومسمع

قالت : أرى رجلاً يقلب نعل _____ ه

أصلاً وجو آمن لم

يف _____ زع

فكان صالح أهل جو غ _____ دوة

صبحوا بذيفان السمام

المنق _____ ع

كانوا كأنعم من رأيت فأصبحوا يلوون زاد الراكب

المتمتع

ورأت مقدمة الخميس وقبلاً ه رقص

الركاب إلى الصباح بتبع

قالت يمامة احملوني قائماً إن

تبعثوه باركا بي أضرع

يقول : سفه لك أن تهيجي ملامة ليلاً . قال الأصمعي : " اسمعي " أي : اسمعي ما يقال لك .

وكل منهما يتحدث مع عاذلته ليلاً " قالت لتعذليني من الليل اسمعي " وهذا دليل على أنهن نساؤهما . وحاتم يقول : " إن مالك وافر ، وهذا يدل على أنه يجود بما لديه ولكن يترك منه لها وبنيتها " ، أما النمر فيقول : " لا تعجلي لغد وأمر غد له " ، قال عوج^١ : أي لكل غد أمر . أنت الآن في خير فلم تعجلين الشر ما لم تمنعي من ذاك ، ويصاح عليك .

إذا هو لا يترك من أمواله شيئاً للغد سواء كان له أولها ، وذلك لأنه يرى أن لكل يوم رزقه ، وبهذا يفوق حاتماً في التعبير ، وهما يرددان أنهما المسؤولين عنهن فلم الخوف ! ، فيقول النمر^٢ :

دعيني وأمرني سأكفيك ه وكوني

قعيدة بيت ضباء ا

^١ الإختياريين ، أبو المحاسن على بن سليمان بن الفضل ، المعروف بالأخفش الصغير ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، الباب : ٤٩ وقال النمر بن تولب .

^٢ ديوان النمر بن تولب ، ص ٨٨ .

وقال حاتم :

91

وقائلة : أهلكم بالجود ما أنــــا
 ونفسك حتى ضر نفسك
 جودها

فقلت: دعيني إنما تلك عادتني لكل كريم عادة

يستعمله

وقال حاتم في رده على عازلتين عدلتاه على عطائه وكرمه^١:

وعاذلتين هبتا بعد هجع

تَلُومَانِ مُتَلَاَفَا مَفِيدَا

ملوم

تلومان لما غور* النجم ضلة* فتى لا يرى الإلتاف في الحمد مغرما

فقلت وقد طال العتاب عليهما ولو عذراني أن تبينا

وتصرم _____

ألا لا تلوماني على ما تقدم_____ كفى بصروف الدهر

للمرء محكما

فإنكما لا ما مضى تدرکانه _____ ولست

على مافاتني

متن

فَنَفْسُكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهْـنَأْ نَـفْسُكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهْـنَأْ

لك الدهر مكرم

- ديوان مختارات شعراء العرب ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسيني ، طبعة مصر، ١٨٨٢م ، ص ١٣ .

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٨٠ .

لا أدري لماذا ربطا العذل بكونه في الليل ! ، هل لأنهما بالنهار يكونان في العمل ، والكد في الرزق ؟ أم لأنهما في النهار يكونان مع أضيافهما فلا تجد النسوة وقتاً تلمنهن فيه ؟ أم لأن الليل ستر لهن من النهار ؟ .

وشارك حاتم في بيته الثاني " .. فتى لا يرى الإلتلاف في الحمد مغرمًا " النمر الذي يقول - مخاطباً محبوبته (دعد) ومفتخراً بعطائه -^١ :

وإني كما قد تعلمين لأتقي تقاي وأعطي من تلادي* للحمد

فكلاهما يعطي ابتغاء الحمد .

أما النمر فابتدأ قصيدته متعوذاً من أمراض النفس المختلفة ، ثم ردَّ على امرأته التي تلومه فقال^٢ :

أعذني رب من حصر وع_____ي ومن نفس أعالجها
علاج_____ا

ومن حاجات نفسي فاعصمني فإن لمضمرات النفس حاج_____ا
وأنت وليها وبرئت

منه_____ا إليك وما قضيت
فلا علاج_____ا

^١ ديوان النمر ، ص ٥٧ .

* التلاد : كل ما ترثه عن أبيك .

- العين ، عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، الباب : باب الدال واللام والتاء معهما (ت ل د) ، ج ٨ ، ص ١٧ .

^٢ ديوان النمر تولب ، ص ٥٠ - ٥١ .

وأنت وهبتها كوما
ج_____لاداً أُرَجِّي النسل منها

والنتاج_____

فلست بحارم الأضياف منه_____وجاعل دونهم
بابي رتاج_____

وتأمرني ربعة كل

ي_____وم

لأشريها وأقتني الدجاج_____

وما تغني الدجاج الضيف عني وليس بنافعي إلا

نضاج_____

أأهلكها وقد لاقيت

فيه_____مرار الطعن

والضرب الشجاجا

وتذهب باطلاً غدوات صهبي_____على الأعداء تختلج

اختلاج_____

جموم الشدّ شائلة الذناب_____ي

تخال بياض غرتها سراج_____

وشدي في الكريهة كل ي_____وم إذا

الأصوات خالطت العجاج_____

فهو هنا يرد على تلك المرأة " ربعة " ، ويلومها على ذلك ، فكيف تأمره بأن
يبتاع ناقته التي لقي فيها ومعهما مألقي ، ويشترى الدجاج ! ، وبدأ يصفها معدداً
محاسنها ، وهنا يبرز وفاؤه وإخلاصه ولا سيما للحيوان ، وراح يصف فرسه - أيضاً

- التي يقال لها " صُهْبَى " ، ويحكى أنه لاقى فيه ما لاقى في صفوف الحروب ، فكيف له بالتخلي عنهما وهما صاحبا الفضل الكبير عليه .

وذكر النمر حوارهم مع زوجته أيضا قائلاً :

رأت أمنا كيصاً* يلفف وطبـ_____ة إلى الأنس
البادين وهو مزمـ_____ل

فلما رآته أمنا هان

وجدـ_____ا وقالت :
أبونا هكذا سوف يفعـ_____ل

أرى أمنا أضحت علينا كأنـ_____ا تحللها
من نافض الورد أفكـ_____ل

فقالت : فلان قد أعاش عيـ_____اله وأودى

عيال آخرون فـ_____هزلوا

ألم يك ولدان أعانوا ومجاـ_____س
قريب فنخزى إذ يكفُ ويحمـ_____ل

^١ ديوان النمر بن تولب ، ص ١٠٢ - ١٥٠ .

*الكيس : اللئيم - لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، الباب : كيس .

وقيل : ضيق الخلق . - معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . المحقق :

عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، الباب : كيل .

* الدهنا : الدهناء وهي اسم موضع. * الحزن : وهو الصلب من الأرض ، وهو موضع بتهامة معروف .

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبيد البكري الأندلسي ، الباب : قلمون .

لنا فرس من صالح الخيل نبتغي عليها عطاء الله والله

ينح _____ ل

يرد علينا العير من بعد إلف _____ ه

بقرقرة والنقع لا

يتزي _____

_____ ل

وحمر تراها بالفناء

كانه _____ ذرى

كثب قد مسها الطل من عل

عليها من الدهن* عتيق وم_____ورة من الحزن* كلاً

بالمربع تأك_____ ل

فقد سمت حتى تظاهر نيّه _____ فليس

عليها للروادف محم_____ ل

إذا وردت ماء وإن كان صافياً _____ حدثه على دلو يعل

وينه _____ ل

ففي جسم راعيها هزال وشحبة _____ وضرّ وما من قلة

الحم يه_____زل

فلا الجارة الدنيا لها تلحينه _____ ولا

الضيف فيها إن أناخ مح_____ول

إذا هتكت أطناب بيت وأهل _____ بمعطفها لم

يورد الماء قيل _____وا

عليهنّ يوم الورد حقّ وذمّ _____ة

وهنّ غداة الغبّ عندك حف _____ل

وما قمعنا فيها الوطاب* وحولنا بيوت عليها كلها فوه

مقبـل

فإن تصدري يحلبن دونك حابـة وإن تحضري يلبث عليك

المعجل

أهمهم وسيدة منزلهم هي " زوجته " ولم يذكر لها اسم إنما أشار عليها بـ " أمناء " حينما رأت رجلاً شحيحاً مغطى ، يحمل الطعام خفية من الناس فرحت ، وأضمرت في نفسها أن زوجها سيفعل مثله ، وحينما لم يفعل ما ظنت غضبت عليه ووردت حتى ارتعدت . وأظن امرأته هذه فاقت نساء حاتم شحاً ، ولربما نساء حاتم لم يكن شحيحات إلا أنهن يبيغين الاعتدال ، ويبغين القليل سواء لهن أو لأولادهن ، ولكن هذه المرأة لا يأتي ما فعلته إلا من شحيحة^١ .

ولم تمنعها الحمى من الحديث إذ قالت : " فلان - الكيص - قد أعاش أبناءه ، وأنت تسقي الناس اللبن وتعدهم ، وتتسى أبناءك " نحفاً هزلاً ؟ .

فرد عليها النمر مستكراً : " ألم يك ولدان أعانوا ومجلس .. " ، أي : كيف لا أسقيهم وهم من يساعدوني إذ أنهم بمجلس قريب ، فكيف لي أن أسقى بدونهم ؟ وبدأ يطمئن زوجته معدداً لها ما عندهم من أموال فقال لها : " لنا فرس من صالح الخيل .. " أي لنا فرس ، نشيطة ، سريعة تعيننا في الحروب ، ولنا إبل حمر تملأ فسحة دارنا ، وشبهها في كثرتها ، وحمرتها ، وامتلأ أسنمتها شحماً بتلال الرمال التي مسّها مطرٌ رذاذ، فهي ذات شحم قديم عتيق ، فهي تربع في الدهناء والحزن . أي تقضي فصل الربيع بتلك المناطق ، وواصل وصفه إذ قال : " فقد سمنت حتى تظاهر نبيها .. " أي تتعمت وتغذت حتى سمنت ، وترادف عليها الشحم حتى خشيت ألا تستطيع روادفها

* الوطاب : الوعاء .

- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، الباب : مقدمة المؤلف ، ج ١ ، ص ٢٧ .

حملة، ثم قال واصفاً لها : " إذا وردت ماء وإن كان صافياً .. " ويريد أنها قوية تستطيع حمل دلو " ينهل ويعل " أي دلو كبير يسقي ويروي ، وعليها راع يهتم .

وقوله : " ففي جسم راعيها .. " ، يقصد شخصه ، ويصف نفسه بالهزال ، والشحوب ، والفتور ليس لعدم ، ولا لفقر ولكنه يؤثر غذاؤها ، والاهتمام بها على نفسه ، فهي إبل أصيلة عظيمة مكتنزه ، لا تستحق التقصير ، وبها يكون الإكرام .

وربما أراد أنه يبذل لحومها وألبانها للغير فلا يبقى لنفسه شيئاً ، حتى ظهر عليه الضعف والوهن .

وفي قوله : " فلا الجارة الدنيا .. " ، ويقول أن الجارة لا يذمها ، وإن الضيف لا يحول عنها^١ ، وقوله : " إذا هتكت أطناب .. " ، أي : إذا كان هناك أناس من جيرانهم أو غيرهم لم يكن لهم لبن حلبنا فسقيناهم قليلاً* ، وقوله : " عليهن يوم الورد .. " أي أنه يسقي أهل الورد يوماً ، ويسقي أهله اليوم الثاني ، فقال لأهله اصبروا يوماً واستقوا يوماً .

وقوله : " وما قمعنا فيه الوطاب .. " ، أي أنهم لا يغطوا ضروعها وقربهم جيران عليهم حقوق ينبغي أن تؤدي .

وقوله : " فإن تصدري .. " فهو يخاطب زوجه ويقول^٢ : أصدرت بالإبل للمراعي حلبتها للأضياف والمحاويج ، وإن حضرت الماء لبث عليك المعجل : أي مكث عندك . والمعجل : الذي يجيء بالوطاب قبل الورد بيوم أو يومين . وأخذ مسهباً في حديثه مع عاذلته قائلاً^٣ :

^١ ديوان النمر ، ص ١٠٥ .

^٢ السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

* والقليل : شرب نصف النهار .

– السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٤٣ .

أعاذل إنَّ يصبح صداي بقفـرة
بعـداً

نَانی صاحبی وقری

تَرَىٰ أَنَّمَا أَبْقَيْتَ لِمَ أَكْرَبُ ۚ

وَأَنَّ الَّذِي أَمْضَيْتَ كَانَ نَصِيبي

وَذِي إِبْلِيسَ يُسَعَىٰ وَيَحْسَبُهُ لَهَا

أخى نصب في سـ _____ قـها ودؤوب

غَدُوتَ وَغَدَا رَبُّ سَوَاهِ يَسُوقُ هـ _____ وَبَدَلَ أَجَاراً

وجہ

قالب

وَحْتَتِ عَلَى جَمْعٍ وَمَنْعٍ وَنَفْسٍ _____ هَا

حق کذب

وکائن رأینا من ک _____ ریم

_____ رزاً أخي ثقة* طلق الیٰدین

[illegible]

شہدت وفاتوني و كنت حسبته _____ فقات : إلى أن يشهدوا

وتغ

لېي

وقالت: ألا فاسمع نعذك بخطبة فقيرا سمعنا فانطقي

وأصل

يبي

فلن تنطقي حقاً ولست بأه_____له فقبحت

مما قائل

و خ ط ي ب

فهنا فاض به الكيل ، وبلغ من لدنه صبرا ، فقال لها : لن تتطقي بقول سديد ، ولست بأهل لذلك ، فقبحت وسؤت أيتها العاذلة . ورغم هذا إلا أنني أجد فيه شيئاً من

اللفظ في حوارهِ مع عاذلته ، مقارنةً بحاتم الذي قال لها : لا تجعلني فوقك لسانك مبرداً ، له أن يتضجر ولكن وصف لسانها بالمبرد يشعل في نفسها البغض فتعنفه أكثر .. وأكثر هذا من جانبها . أما من جانبهِ فهذا له أثره النفسي البالغ في الإيلاء ، ومن جهة أخرى لن يكون قد علمها شيئاً فلن تفهمه ولن تتفهمه . وهذا الجانب الإرشادي التعليمي وفره النمر مع اشتراكهما في التضجر قائلاً^١ :

بكرت باللوم تلحاناً _____ في بعير

ضل أوح _____ أنا

علقت لواءً تكرره _____ أنا

إنَّ لواءَ ذاك أع _____ يانا

إعلمي أن كلَّ مؤتمر* مخطئ في الرأي أحياناً

فإذا مالم يصب رشدًا _____ كان بعض اللوم

نتي _____ أنا

وخطاب النمر هنا خطاب غيبة ، فهو يشكو ويتضجر من ابتدارها العذل واللوم ، وراح يؤنبها على كثرة حديثها ، وقال : إن لكل " مؤتمر " أي لكل صاحب أمر وقائم عليه لابد من الوقوع في الخطأ ، فإن أخطأ يلام ، ليس لوم تعنيف وتضييق ، إنما لوم تصويب ، وهو هنا يريها كيف تعامله إن أخطأ ؟ وهذا جانب إيجابي .

* أخی ثقة : يوثق لما عنده من خير شهادة بالجدود والكرم .

- نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ٥ ، ص ٩٧ .

^١ ديوان النمر ، ص ١٣٥ .

وقال حاتم مخاطباً زوجته النوار - حين عدلته - ^١ :

ولا تقولي لمال كنت _____ هلكه
أعطى الجن والخبلا مهلاً ، وإن كنت

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا مَاتَ يَتْبَعُهُ
الْوَارِثُ الْإِبْرَءِيَّةَ

ليت البخيل يراه الناس كما هم
يراهم فلا يقرى إذا نزلوا

* مؤتمر : الذي يهم بأمر يفعله .

1. 人

يسعى الفتى وحمّام الموت يدركه وكل يوم يدنى للفتى

الأبج

إني لا علم أني سوف يدركني يومي وأصبح

عن دنيای مشتغل

دعا زوجته " النوار " بأن تكفّ لومها عنه ، فهو قانع بأنه مرزوق لا من جهة واحدة بل نجده متفائلاً بطرق عدة يسترد بها ما أنفق ، ودعا إلى الصدق ثم إن الصفات الحسنة تتبع صاحبها حياً وميتاً ، كما الحال في السيئة ، وما الإنسان إلا ذكرى فليخُذ الذكر الحسن . ودعا للبخل بسوء المعاملة ، وقبح المقابلة وذلك بالضم بالابتسامه ، والإكرام أي كما يفعل هو مع زواره حتى يذوق وبال ما يفعل والتفت إليها مرة أخرى مانعاً عذلها ، وفي البيت هذا يُظهر لنا جانباً آخر وهو " صلة الرحم " وموقف أولئك الأقوام منها ، فهو هنا يجعل المال وسيلة يحفظ بها رحمه ، وصلة بينه وبين أقربائه .

فهو لا يدري متى ستتركه المنية ، لذلك يسعى في حياته لإصلاح سيرته ، وإصلاح صلته مع أهله وذويه .

وانتقل من تلك المقدمة متحدثاً إلى قومه " بني ثعل " ، موصياً إياهم بأن يحموا أنفسهم ، ويرعوا أهلهم ، وألا يبكوا على من توانى ، وتراجع فليس جديراً بالبكاء ، ولكنه خلص من المقدمة لهذه الأبيات بطريقة جميلة إذ ذكر أبيات الموت ، والفناء ، وأنَّ الأجل يأتي للإنسان بغتة فعليه إصلاح أمره ، فيترك السيرة المثلى ، وعليه تدبير أمر رعيته فهذا البيت : " يسعى الفتى وحمام .. " ، خدم القضيتين إذ كان خاتمة لأبيات اللوم السابقة ، وكان مفتتحاً لوصيته اللاحقة ، وهو أجدر أن يقال عنه أحسن التخلص

وختم أبياته بأبيات " فخر ذاتي " فخر فيها بوفائه وإخلاصه وعفته ونراه هنا يرد على عاذلته رداً لطيفاً مادحاً لها في مطلع الأبيات قائلاً^١ :

يابنة عبد الله وابنة* _____الك

ويابنة ذي البردين والفرس _____ورد

إذا صنعت الزاد فالتمسي _____ه أكيلا فإنني لست
أكله و_____دي

أخا طارق أو جار بيت فإنني_____ي أخاف مذمات الأحاديث من
بعدي

وإنني لعبد الضيف ما دام ثاوياً _____وما في إلا تلك من شيم
الع_____بد

ورد عليها مصرحاً باسمها عدة مرات قائلاً^٢ :

أماوي ! إن المال غادٍ ورائ_____ح ويبقى من المال
الأحاديث والذك_____ر

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٣ - ٤٤ .

* كرر لفظة " ابنة " مع أن المراد واحد لاختلاف المضاف إليه ، والقصد من ذلك تفخيم أمرها وعلى بذي البردين " عامر بن أحيمر بن بهلة " لقب بذلك يوم اجتمعت وفود العرب عند المنذر بن ماء السماء ، وأخرج المنذر بردين يبلو الوفود، وقال: ليقم أعز العرب قبيلة . قال: العز والعدد في معد، ثم نزار ، ثم مضر ، ثم خندف ، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ثم في عوف ، ثم في بهدلة ، فمن أنكر هذا فلينافرنني . أي يفاخرني . فسكت الناس ، فقال المنذر: هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك ؟ فقال: أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وخال عشرة ، وعم عشرة ، وأما في نفسي فشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الأرض فقال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل . فلم يقم إليه أحد من الحاضرين . ففاز بالبردين .

^٢ ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٣ .

أماوي ! إني لا أقول لسائـ_____ل إذا جاء
يوماً : حل في مالنا نـ_____زر

أماوي ! إما مانع

فمبـ_____ين وإما عطاء لا

ينهنه

الزجـ_____

ر

أماوي ! ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها

الصدر

عاش حاتم برؤى وأفكار بات يذكرها ويعددتها في أبياته المختلفة سواء في فخره
الخالص بنفسه ، أو في رده على عاذلاته ، وكل شعر هو لسان صاحبه ومرآته ، إلا
أننا لا نلاحظ تطوراً في الأفكار وربما كان يعيش حياة استقرار مادي ، ومعنوي فلم
يكثر من الترحال ، والحروب ، لذلك دار شعره في أفكاره ورؤاه الذاتية ، والقبلية في
قليل من الأحيان .

ونلاحظ في هذه الجزئية اعتداده الفائق بنفسه ، وثقته الكبيرة بشخصيته ، وفخره
الزائد بصفاته ، وله في الفخر أسلوب خاص ، وصياغة خاصة تميز فيها بالجرأة ،
والدقة فأرانا كيف كانت صفاته وكيف يتهياً لضيغه ، وكيف يكرمه ، متتالواً
التصويرات التي تذب البخل ، والبخل ، وتمدح ، وتؤيد ، وتحفز على الخير بمختلف
توجهاته من إكرام ، وإحسان وغيره .

وتحدث عن الصعلكة ، والصعاليك وقسمهم إلى قسمين : " خير ، وسيء " ولم
يفخر بالإكرام فحسب بل بالعفة ، فهو يحمي جيرانه ، ويعولهم ، ويحفظهم ، ويصونهم
في غياب ذويهم ، فذكر ذلك في أبياته واستنكر وتعوذ بالله من الخيانة ما دام حياً .

كما أنه رد على عاذلاته ، ولأثامته اللائي يرين في إنفاقه إهدار لماله ، ومالهن .

وكذلك النمر بن تولب (رضي الله عنه) له باع في هذا الغرض " الفخر الذاتي " وتحدث فيما تحدث فيه " حاتم " من موضوعات ولكن بأسلوبه هو ، فاشتركا في مزج فخرهما بالحكمة ، ويلجآن للتصوير في العديد من حالاتهما .

ولكن النمر لم يدر موضوعاته في نفسه أو قبيلته وحسب ، كما نراه تمثل بالقصص التاريخي القديم ، وهو يحمل وفاء خاصاً للحيوان فهو حينما رد على ربيعة قال بأنه لن يبيع ناقته ويشري الدجاج وذلك في قوله^١ :

أأهلكها وقد لاقيت

فيه _____ مرار الطعن

والضرب الشجاعا

وتذهب باطلاً غداوت صهبي _____ على الأعداء تختلج

اختلاج _____

جموم الشد شائلة الذناب _____

تخال بياض غرتها

سراج _____

وشدي في الكريهة كل يوم _____ إذا الأصوات خالطت

العجاج _____

فهو يعدد مآثرها عليه ، ويستتكر أن يقابل فضلها عليه بالنكران ، وكأنما هي إنسان يعقل ويعي .. نعم هي ليست بإنسان ولكن صاحبها كان إنسانا . وهذا الأسلوب الاستكاري وجدناه عند " حاتم " - سابقاً - حين قال^٢ :

أفضح جارتى وأخون جاري معاذ الله أفعل ما

حيي _____ ت

^١ ديوان النمر بن تولب ، ص ٥١ - ٥٢ .

^٢ ديوان حاتم الطائي ، ص ٣١ .

والأسلوب الإستتكري من أروع الأساليب إذ أنه أكثرها تنفيساً لدى المخاطب ،
وأوقعها في نفس المخاطب .

ونرى الشاعرين اتفقا لفظاً ومعنى في قولهما : " ترى أن ما أبقيت لم أك ربه ..
" ومن هذا نخلص إلى أنَّ الشاعرين لم يتفقا في الأغراض فحسب بل كان للألفاظ
والمعاني الحظ ذاته من ذلك الإتفاق .

وحظى " النمر " بقدر أقل في هذا الغرض في الوقت الذي تفوق فيه حاتم كمّاً
ومعنىً وهذا مفصّل فيما سبق من حديث .

الفخر القبلي

بنو ثعل قومي فما أنا مــــــــــــــــــــــدع
قوم وما أنا مسند

سواهم إلى

وَيُحْنَفُ بِدَرِّهِمْ أَغْشَىٰ دُرُوءَ مُعَاشٍ _____ ر
عَنِ الْأَبْلَجِ الْمُتَعَمِّدِ _____ د

فمهلاً فداك اليوم أمي وخالتي
فلا يأمرني بالدينه

فهو ينتمي إلى بني ثعل ولا حاجة له بأن يدعي إلى سواهم فهم أهل العزّ والسؤدد والمجد ، فهو يعتز بهم ويدافع عنهم بكل ما يملك من عدة ، وقوة حتى يتهيبهم الناس ، ويتجنبوا الإساءة إليهم ، وهو ترفع من فعل الدنيا ، ولما درج هذا تحت الفخر بقومه ففي هذا دلالة على أنه يؤكد أن أصله وانتماءه لـ " بني ثعل " وترفعهم عن الرزايا ، والدنيا يأبى عليه أن يتلخ بها أو يقترب منها .

وقال حاتم^٢ :

ألا أُرقت عيني فبت

أدب

رَها حذار غداً أحمر، بأن لا يضربها

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٣٤ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٦٢ .

إذا النجم أضحى مغرب الشمس مائلاً ولم يك بالآفاق بون

ينيره_____ا

إذا ما السماء لم تكن غير

حلب_____ة كجدة بيت العنكبوت

ينيره_____ا

فقد علمت غوث بأننا

سرات_____ه

ا إذا أعلمت بعد السرار أموره_____ا

إذا الريح جاءت من أمام أخائف وألوت بأطناب البيوت

صدوره_____ا

وإننا نهين المال في غير ظنه_____ه وما يشتكينا في

السنين ضريره_____ا

يقول بأن المنام قد جافى عينيه وقال: إذا هوى النجم ، وأظلم المكان وشحَّ المطر ، وعمَّ الجذب ، كل هذا كناية عن فقر أصاب الناس ، فإذا ضاق حال الناس بهذه الطريقة فقد علمت " غوث .. " ، يفخر بقومه وأنهم سادة القوم وورعاتهم إذا ما تفشَّى الفقر عندهم وانتشر .

وهم يهينون المال من غير خوف ، ولا يخفى هذا على أحد من الناس حتى إن كان أعمى .

وقال النمر بن تولب^١ :

سمونا ليشكر يوم النهـاب نهزُّ قنا سمهريا

ط_____والا

^١ ديوان النمر بن تولب ، ص ١٠٨ .

فلما التقينا وكان الجـلاد أحبُّوا الحياة فولوا

ش _____ لا

يفخرون ، ويتسامون ، ويتبارون ، وقيل* أنهم يتداعون بأسمائهم ، رافعين
أسلحتهم عالياً ، وهذا يكون في حالة النصر دائماً .

ويصف يوم اللقاء ، قائلاً بأنهم تركوا أعداءهم يتبارون في الهروب والانسحاب ،
لما وجدوه من قوة ساحقة أمامهم ، ومن فرط حبهم للحياة فروا متفرقين .

وقال النمر ^١ :

ويوم الكلاب رأسنا الجموع ضراراً وجمع بني

أي أنهم في ذلك اليوم " يوم الكلاب " كانوا في مقدمة الجيش الذي تكون منهم ، ومن ضرار ومن " بني منقر " ، وكانوا هم القادة لهؤلاء وفي هذا دلالة على الشجاعة ، والجرأة على ملاقات الأعداء ، والحكمة والتدبير فكلا الشاعرين يفخر بقبيلته إلا أن النمر ذكر لنا موقعة أبلى فيها قومه بلاءً حسناً .. وأودعوا في قلوب أعدائهم الهلع والرعب . أما حاتم فهو يفخر بشجاعتهم ، وعزمهم ، ومضائهم ، ولم يعرض لذكر معركة بعينها .

وقال حاتم - فيما يلي أبياته السابقة - ٢ :

فأقسمت لا أعطي مليكاً ظلامه
وحوالي عدي كلها
وغيرها

أبت لي ذاكم أسرة

نعا _____ ية كريم غناها

مستعف فقير هـ _____

^١ السابق نفسه ، ص ٧٥ .

^٢ ديوان حاتم الطائي ، ص ٦٤ .

وخصوص دقاق قد حدوث لفتية _____
عليهن إحداهن قد حل
كورهما

المليك " الملك " ، والظلامة " ما أخذ من الشخص ظلماً " ، أي أنه على الحق ومع الحق دائماً وإن كانت المواجهة على الملوك ، والأمراء فهو لا يخشى في الحق لومة لائم .. يتصدى للظلم ، وتسند في ذلك قبيلته بأكملها ، فنفسه تأبى عليه مثل ذلك وكذلك أصله فهو يعطي من حرقه ، ولا يأخذ حق غيره ، ولا يساعد على أخذه بل يحمي صاحبه بما عنده ويدافع عنه ، وقال يفخر بكرمهم^١ :

ولو شهدتنا بالمزاح لأيقن _____
ت على ضرنا
أنا كرام الضرائب

أي رغم بؤسنا وعدمنا إلا أنا كرماء سجية وطبيعة نعطي من العدم . وهذا يدل على أنه ورث الكرم أبا عن جد ، من نسل كرماء وأجواد .
وهذا في حالة بؤسهم وعوذهم ، أما إذا أيسروا فيقول^٢ :

فما زادنا بأوا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا
الف _____
ر

وبيته هذا يشبه كثيرا بيته الذي يخاطب فيه ابن عمه^٣ :

فما زادني عنه غنائي تبا _____
دا وإن كان ذا نقص من
المال مصرما

فهم لا يجعلون للمال وزناً ، ولا قيمة ، وما هو إلا أداة مساعدة إن وجدت ساعدوا وتساعدوا بها ، وإن لم تتوفر تعفوا واستغنوا . ويواصل في نصرة الجار وابن العم ويقول^١ :

^١ السابق نفسه ، ص ٢٩ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٥١ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٨١ .

ولا يلطم ابن العم وسط بيوتنا ولا نتصبى عرسه حين
يغنى _____ فل

فهو ينزله نفسه وأهله من أن يفعلوا تلك الفعال ، فهم أصحاب شرف ، وجاه ،
وسيادة . ويقول^٢ :

إذا مات منا سيد قام بعده _____ ده نظير
له يغني غناه ويخل _____ ف

وخلاصة القول إنهما يحملان صفات أهليهما في الشجاعة ، والكرم ، الإيثار ،
والعفة ، والتواضع ، ونصرة القريب ، والجار ، والغريب ، وحفظ الجوار ، والسيادة ،
وهذا كل ما اتفقا عليه في هذا الجانب .

ولكن " حاتماً " ضليع في هذا المجال فاق النمر - كذلك - في الكم ، كما نجده
تطرق لجوانب عدة في هذا الغرض ، وتناول فيه الكثير من الموضوعات ، وهذا
واضح جداً فيما سبق .

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٧٦ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٧٠ .

الفصل الثاني

المدح

وللمدح أهمية كبيرة في الشعر العربي ، وكما امتلأت النفوس بأحاسيس العزة والإباء والشرف والكبرياء ، واعترفت لغيرها بما هو فيها من تلك الصفات أيضاً .. فمدح الرجل في الرجل صحة الأصل ، ورجاحة العقل ، ونقاء الحسب ، وجودة النسب ، كما مدح فيه الشجاعة ، والعفة ، والسخاء لا على مستوى الأفراد فحسب بل الجماعات والقبائل فكان المدح دائماً ما يكون للقريب والنصير .. به تزداد أواصر القربى والنسب ، وتقوى الصداقات بين القبائل ، وبه يُعرف الفضل وأصحابه ، فينتشر ذلك ويعم الأصقاع .

سبق وعرفناه - مع الفخر - وقيل فيه " وإنما طريق المدح أن يجعل الممدوح يشرف بآبائه ، والآباء تزداد شرفاً به ، وجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر ، وفي المدح نصيباً ، إذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ، لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ومنقل إلى ولده كانتقال ماله ، فإن رعى وحرس ثبت وازداد ، وإن أهمل وضيع هلك وباد وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة ، وللولد منه القسم الأوفر، والحظ الأكبر^١ " .

وللمدح خصائص وصفات يجب أن تتوافر به كغيره من الأغراض والنوعت .. يحسن إن تكاملت فيه ويقل إن تناقصت ، وفي ذلك قيل : (ومن الشعراء من يفرق في المدح بفضيلة واحدة أو اثنين فيأتي على آخر ما في كل واحدة منهما أو أكثر . وذلك إذا فعل مصيباً به الغرض في الوقوع على الفضائل .. ومقصراً عن المدح الجامع لها لكنه يجود المديح حينئذ كلما أغرق في أوصاف الفضيلة وأتى بجميع خواصها وأكثرها^٢) .

^١ العمدة ، لابن رشيق ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

^٢ نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص ١٠٦ .

ولا نبداً بحاتم هذه المرة بل بأبيات امتدح فيها النمر بن تولب (رضي الله عنه)
الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما جاءه يقول ^١ :

إنا أتيناك وقد طال السف

نقودُ خيلاً ضمراً فيها عس

نطعمها الشحم إذا عزَّ الشج

والخيلُ في إطعامها اللحم ضرر

ياقوم إني رجلٌ عندي خب

الله من آياته هذا

القم

والشمسُ والشعري وآيات أخ

أما حاتم فخرج حتى نزل في بني بدر بن عمرو زمن احتربت جديلة ، وثعل
وكان ذلك زمن الفساد فأحسنوا جوار حاتم وأكرموا فقال ^٢ :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتي فحلي في بني

بدر

^١ من البيت ٤-١ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

الأبيات من ٧-١ : الاستيعاب في معرفة الصحابة ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد
البر بن عاصم النمري القرطبي ، المحقق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت - لبنان -
ط ١ ، عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ٤ ، ص ١٥٣٢ .

- ديوان النمر ، ص ٧٧ .

- بعض الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ، تحقيق : سامي
مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

^٢ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٧ ، ص ٣٩ .

جاورتهم زمن الفساد فنعم الحال في العوصاء و اليسر

فسقيت بالماء النмир ولم أترك أواطس حمأة

الـجـ_____فر

ودُعيت في أولى الندي ولم ينظر إلي بأعين

خـ_____زر

الضاربين لدى أعنته _____م

والطاعنين وخیلهم تجـ_____ري

والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذی الفقر

ويوم الفساد* : يعني به الذي كان بين الغوث ، وجديلة وهما من طيء أي أن نعم السكن و الإقامة مع " بني بدر " ، ولا تعرف الإنسان إلا إذا جاورته أو عاشرته ، فهم نعم القوم في اليسر والعسر ، فهم قوم كرماء ، وعلى هذا فهم شجعان ، وفي قوله : (الضاربين نحيتهم ...) فوصفهم هذا يشبه وصفه لقومه أيضاً بهذه الصفة إذن هذه الصفة مشتركة بينهم وبني بدر .

وقال حاتم في قبيلة الغوث " ابن زياد بن عبد الله " من بني عبس الذين احسنوا جواره^١ :

لعمرك ما أضاع بنو زيـ_____اد ذمار أبيهم فيمن

يضيـ_____ع

بنو جنية ولدت

صوارم كلها ذكر سيوفـ_____أ

صنيـ_____ع

^١ شعراء النصرانية ، شيخو ، ص ١٢٢ .

وروي هكذا : " شرى ودي وشكري من بعيد * لآخر غالب أبداً ربيع "

وجارتهم حصان مات _____ زنى وطاعة

الشتاء فما تجوعُ

شری ودي و تکرمني جميعاً لآخر غالب أبداً

۴۰۰

قال : لعمرك قسمي أي وبقاؤك ما ضيع هؤلاء العصابة من حق أبيهم وشرف أسلافهم ما يوجب التذمر عند المحافظة عليه في جملة من يضيع حقوق آبائهم^١ .

وفي قوله : " بنو جنية .. " جعل أمهم جنية من حيث أنها خرجت في إتيانها بهم عن المعتاد من الإنس ويقال سيف ذكر إذا كان ذا ماء وذا حدة ، والصنيع : المصنوع ، والمعنى : أنهم بنو جنية يصلون إلى ما لا يصل إليه غيرهم ولدتهم أمهم شجعانا ، وهم في قوة العزم - ومضاء الرأي كالصوارم الذكور^٢ .

وفي قوله: (وجارتهم حصان ..) معنيان أولهما : أنهم يحفظون جارهـم ولا يعقبونه في غيبته ، وثانيهما : أنهم يحموها ، ويرعوها ، ويتكفلوا برزقها وبالتالي لا تحتاج إلى أحد حتى في أوقات الشتاء القارسة ، والجوع الشديد توفر لها ما يكفيها وعالها .

وفي قوله : (شرى ودي ..) يعني أنهم أحبوه جميعاً صغاراً ، وكباراً ، شيباً ، وشباباً حتى صار وكأنما هو صاحب الديار فعاش معهم تلك الفترات سالماً منعماً وإما يعني : " أن فضله انتشر فيهم جميعاً فلم تحتج نساؤهم ولم تلجأ لأحد فهو كفاهنّ وغناهنّ " وهذا إن كان يقصد شرى بمعنى انتشر .

- شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، تحقيق : فريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

* مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت- لبنان ، ج ٢ ، الباب ٢٩ (في أيام العرب) ، ص ٤٣٧.

^٢ شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

أبيت كئيبا أراعي النجم

وأوجع من ساعدي الحـ _____ ديدا

أرجي فواضل ذي بهج _____ة

من الناس يجمع حزما وجودا

نمته أمانة و

الحارث _____ ان حتى تمهل

سابقاً جدي _____ ۱۰

كسابق الجواد غداة الرهـان

السن شأوا مديدا

ألا اجمع فداء لك الوالدان _____ لما كنت فينا

بخیر مری _____ دا

فَتَجْمَعُ نَعْمَى عَلَى حَاتِمٍ

وتحضرها من معدّ شهـ_____ودا

أَمْ الْهَلَكُ أَدْنَىٰ فَمَا إِنِ عَلِمْتُ
عَلَىٰ جَنَاحَا فَأَخْشَىٰ

الوعي دا

فأحسن فلا عار فيما صنعت
تحيي جدودا وتبيري

جودا

يقول : إن المنام قد جافاه ، والترقب أرهقه ، فهو ينتظر فضل الملك الذي وصفه

بالشدة ، والحزم ، والصرامة ، والمضاء ، ومع ذلك بالجوهر الفائق ، والطمع في جوده

أمر طبعي .

أولاً : لأنها صفته التي اشتهر بها .

ثانياً : أصله الكريم فهو ابن الحارثين وابن أمامة ، نتاج من هؤلاء ولكنه سبق
فاق آباءه وأقرانه .

ومما سردناه من أبيات للنمر وحاتم نلاحظ أن لا قرابة بين الاثنين لا من حيث
استخدام الغرض ولا من حيث الأفكار المتناولة .

فالنمر لم يتمدح خلا قصيدته التي أنشدها عند قدومه للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، أما
حاتم فكان صاحب الحظ الوفير من هذا الغرض والذي بينا الجهات التي قصدها ومع
ذلك لم يكثر فيه ، ومدحه كان رداً على فضل قدم له سواء من بني بدر أو الحارث
وغيرهم أي أن مدحه لم يكن من باب الملاحظة و الإعجاب الطبيعي ، وكذلك لم يُرد
منه رزقاً وتكسباً إنما كان رد فعل لفعل حسن قدم له أو لقبيلته - والله أعلم - .

الفصل الثالث

الحكمة

إذا نظرنا إلى الحكمة فنراها أكثرها منها - مقارنة بالمدح - وهذا يرجع للزمن الذي عاشا فيه والظروف التي أحاطت بهما ، وأخص في ذلك النمر لأنه عاصر فترتين مختلفتين كل الاختلاف ، كما أن الفترة التي عمرها أضفت عليه ما أضفت من تجارب مشهودة أو معيشة ، وقبل هذا الذهنية العربية الخصبة ساعدت كثيراً في سبك تجاربهم أقوالاً يفيد منها الناس جيلاً تلو جيل ، كل هذا كان له دور في إخراج هذا الكم من الملاحظات والحكم التي أفادنا منه .

" حكم " الحكم^١ : مصدر قولك : حكم بينهم يحكم ، أي قضى وحكم له وحكم عليه. والحكم - أيضاً - : الحكمة من الحكم والحكيم : العالم وصاحب الحكمة .

والحكيم : المتقن للأمور .

وحكم - بضم الكاف : أي صار حكيماً .

قال النمر بن تولب :

أبغض بغيضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

قال الأصمعي^٢ : " إذا حاولت أن تكون حكيماً " .

" والحكمة الأدبية هي كلمات قصيرة موقرة بالمعنى " جوامع كلم " توافق للحق وتؤلف قانوناً ذاتياً يضئ نفس المرء بإشراقاته التوجيهية ، ويدفعه نحو الخير ويسوره بالإنسانية " .

^١ الصحاح تاج اللغة وعروس العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق : أحمد بن عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ ، باب الميم ، فصل الحاء (حكم) .

^٢ الاختيارين ، الأخفش الصغير ، ج ١ ، ص ٧٧ .

- الصحاح للجوهري ، باب الميم ، فصل الحاء .

وأدب الحكم هو فن كلامي " نثر أو شعر " موافق للحق في مضامينه يرسله صاحبه بعد تأمل ليعبر عن حقيقة حياتية^١ .

والحكم في الجاهلية وليدة حوادث الدهر وتجاربه ، لا وليدة العلم الصحيح ، والتفكير العميق ، والتأمل الطويل ، وكما تزين له فضائل إنسانية لا يحدها زمان و لا مكان كالأمانة ، والوفاء بالوعد ، واصطفاء الصديق ، وتجنب الرياء والخيانة ، وإباء الذل والصبر على المصائب^٢ .

ونخص هنا الحديث عن الحكمة التي أوردها الشاعران في أبياتهما وقد نكون عرضنا لبعض الأبيات في مبحثنا الأول إلا أننا كنا هناك نبحث عن أبيات " الفخر الذاتي " مروراً بالصفات التي تتادوا بها من كرم ، وتعفف ، وحفظ للجوار ، وما دون ذلك من الصفات فاستخدمت بعض أبيات الحكمة هناك استخداماً عرضياً وكانت شواهد على ذلك الحديث . ومما مررنا به من أبيات الشعارين نلحظ الآتي :

كان " حاتم " كريماً جواداً متلاًفاً لا يخش الفقر أبداً ، وجّه ملكته وصفته لهذا الغرض حتى أحسنا أنه لم يبذل إلّا لها ، ولم يعط إلا ليقال عنه معطاء ، وكل من يقرأ أبياته لا يجد إلا هذا ، وهو يدل على دوافعه النفسية التي اعترته في حياته سواء عايشها أم سمع بها ، فقبيلته " طيء " من المجموعات التي كانت تقطن اليمن وانتقلوا منها بعد السيل العرم - كما ذكرنا- فتشتتوا وتفرقوا في أجزاء الجزيرة المختلفة فخالطوا مجموعات أخرى ، وعرفوا أناساً غير أولئك ، لذلك كان لابد لحاتم أن يبدأ في بناء مجد جديد .. مجد تعدى فيه الطموحات المحلية .. مجد عالمي دائم فكان له ما أراد إذ أن ذكره سارت به الركبان وصار بعد ذلك شخصية عالمية خالدة ويحسبها البعض شخصية أسطورية .

^١ جمهورية الحكمة في نهج البلاغة ، نصر الله حسن عباس ، دار القارئ ، بيروت- لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ - ص ٣٥ .

^٢ أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، ص ٨٠ .

ولكن حاتماً ينبغي ما توهمناه في أبياته السابقة ويصور لنا ما أراده هو قائلاً :

ولو كان ما يعطى رياء لأمسكت به جنبات اللوم يجذبها

ولكنما يبغي به الله

فأعط فقد

أرباحت في البيعة الكسبا

بخلاف صاحبه " النمر " الذي يتمتع بشخصية مختلفة ، فالنمر كان كريماً حكيماً وهذه الحكمة نردها لعدة أمور أحسب أنها التكوين الفطري والنفسي ، والذي دعمته الكثير من العوامل الخارجية المساعدة كالبينة والتربية والدين ، فالنمر عاش في فترتين مختلفتين كل الاختلاف ، ومع ذلك عمّر كثيراً فكل هذه الأشياء لها التأثير المباشر عليه ومما قاله في الحكمة^٢ :

لا تغضبني على امرئ في ماليه
وعلى كرائم صلب مالك
فاغضب

وإذا تصبّك خصاصة فارج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب
أي مع بذله إلا أنه لا يتربّك شيئاً من الناس بل يلجأ إلى الله خالقه ويتقرب إليه ،
ويتربّك منه وفضله ، وقال حاتم^٣ - أيضاً - :

كلوا الآن من رزق إلهه وأيسروا فإن على الرحمن رزقكم
غدا

أَيُّ كُلِّ وَأَعْطَ مِمَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ . لماذا ؟ فسرّ هذا في قوله ^١ :

^۱ دیوان حاتم ، ص ۳۰ .

^٢ ديوان النمر بن تولب ، ص ٤٨ .

^۳ دیوان حاتم ، ص ۴۱ .

سلام إله

وريحان

ورحمته وسم

غمام ينزل رزق الع

فأحيا البلاد وطاب الشجر

أرى الناس قد أحدثوا شيمة وفي كل حادثة

يؤتم

يهينون من حقروا سي به وإن كان فيهم

يفي أوي ب

ويعجبهم من رأوا عنده سواماً وإن كان

فيه الغمر

ألا يالذا الناس لو يعلمون للخير خير وللشر

ش

فيوم علينا ويوم

ل

نس

لا نخالفه الرأي إلا أننا لانعممه كذلك ، وما أخذناه عليه ليس بقادح في حكمته فهو رجل عرك الحياة وعركته ، وأرى الأيام وأرته إلا أن هناك أناساً لم يكن الوضع المادي مقياساً من مقاييسهم في يوم من الأيام ، يعرفون من الرجل رأيه السديد ، وعزمه الشديد وعدله ، وغيرته على عرضه ، وغير ذلك من الصفات التي تحمد لدى الرجال .

مسألة " المال " مسألة ذات بعدٍ نفسي لدى الشاعر ، عكسها لنا في أبياته السابقة فهو لا يبتغي المال من أجله إلا أنه رأى في الناس فئة تنتظر وتحكم على بعضها به

۱۳۲

وخص البخلاء بالذم في كثير من أبياته وبلغ من ذلك أن قال^١ :

ليت البخيل يراه الناس كـ _____ لهم
إِذَا نـ _____ زلا

فحاتم يعكس لنا امتعاضه من تلك الفئة ، وخالف في ذلك أحمد بن يحيى " الملقب بإمام النحويين " الذي يقول في ممدوحه^٢ :

فتى مثل صفو الماء ليس بباخلٍ بخير ولا مهدٍ ملاماً لباخلٍ

وأيّاً كانت نظرة الشاعر ، وفلسفته في العطاء إلا أنه دعا إلى صفة كريمة عظيمة يستحق عليها الشكر الجزيل ، وما عكسه شعر حاتم من معانٍ - ذكرناها في مقدمة البحث - ومع قوله : " ولو كان ما يعطى رياء .. " هذا لا يعكس تناقضاً لدى الشاعر لماذا ؟

لأن الشاعر هو الناطق الرسمي باسمه ، وقبيلته ، ومجموعته ، والمتحدث الأول عنها وعن من تهتز مشاعره لأجله ، أي حينما يكتب الشاعر قصيدة لا يستطيع أحد أن يجزم بأنه قصد منها نفسه فربما يعنى آخر أحس بإحساسه فاندفق دفقه بلسانه هو ، وهذا حينئذ لا يعد تناقضاً .

وكلاهما دعا للمعالي فحاتم ذكر ذلك فيما سبق من أبياته بطريقته وأسلوبه الذي يقصده والنمر قال في ذلك^٣ :

وأوصي الفتى بابتناء العلا وأن لا يخون ولا
يأثم _____

ويلبس للدهر أجلاً _____

فلن يبني الناس ما هدمًا

^١ ديوان حاتم ، ص ٥١ .

^٢ نقد الشعر ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

^٣ ديوان النمر بن تولب ، ص ١١٦ - ١٢١ .

وإن أنت لاقيت في نجدة فلا يتهيبك أن

تقدم

فإن المنية من يخشها فسوف

تصادفه أينما

وإن تتخطاك أسبابها

فإن قصارك أن تهرم

وأحبب حبيبك حباً رويداً فليس يعولك أن

تصرم

فتظلم بالود من

وصد

أو تتدم

وأبغض بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حاولت أن تحكما

فلو أن من حقه

ناج

الأعصم

هذه القصيدة حوت حكماً ووصايا جمّة ، صورها لنا الشاعر في صورة مؤثرة عميقة تناول فيها أبعاداً كثيرة تخدم غرضه من الصورة متمثلاً فيها بالقصص القديم .

فالشاعر^١ أوصى بالتزام المعالي دائماً والبعد عن ما يوقع في الآثام ، أو يقرب منها ويضع كل شيء موضوعه ، ويبني مجداً لنفسه ويحافظ عليه فالناس لا ولن يبنوا له مجداً ولن يحافظوا له على شرف هو من يعنيه ذلك . ودعاه إلى التزام دروب الشجاعة ، والمثابرة فالموت آتٍ لا محالة . وقوله : " وأحبب حبيبك حباً رويداً ... "

^١ الاختيارين ، الأخفش الصغير ، ص ٢٧ " بتصرف " .

وقوله : " وأبغض بغيضك ... " من قوله " صلى الله عليه وسلم " : (أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)^١ .

والحكمة حينما تكون أبياتاً من الشعر تكون أسهل حفظاً ، وأبقى في الذاكرة ، وأيسر تناولاً وتناقلًا ، والحكمة معنى مهم في القصيدة العربية ، ولا تكاد تخلو قصيدة من بيت أو أكثر من أبيات الحكمة ، ويبقى الفرق بينهما في الكمّ وجودة الوصف والصياغة .

وكان للنمر الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر ، ويمكننا أن نقول إنه فاق حاتمًا هنا وتناول الحكمة والنصح في أمور كثيرة ، مرتكزاً في بعضها على المصدر التشريعي الأول والثاني " القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة " ، ويمكننا القول بأن النمر بلغ عن الرسول " صلى الله عليه وسلم " بوسيلة محببة إلى القلوب ، سريعة الذيوع ، وهذا ما هو محمود في الشعر ، يغرس الفضائل ، ويزيل الرذائل ، ويمضي بالإسلام وتعاليمه لآفاق بعيدة ، ويسهم في إيصاله في قوالب كثيرة وأبحر مثيرة ، فقد يمل الناس كلام النصح والإرشاد وإن كان مسجوعاً ، ولكن تهفو الأفتدة لموسيقى الشعر ، وترانيمه ، وبه فقط يكون السبح في دنيا الأحاسيس ، وعوالم المشاعر ، فحينها يهدأ البال ، وتروق النفس ، فتصل الرسائل إلى العقل في أفضل حالاته وبهذا يكون الوقع مختلفاً جداً فتتحقق كل الأغراض التي تفيد الإنسان دنيا وآخرة .

^١ الجامع الصحيح " سنن الترمذي " ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاعر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت - لبنان ، الباب : الإقتصاد في الحب والبغض .

الفصل الرابع

أغراض أخرى

المبحث الأول - الغزل

وهذا غرض آخر تناوله الشاعران إلا أنه لم يتعدَّ عندهم المطالع فوقفا على الديار وتذكرا معاهد الأحبة ، وصرحا بذكر محبوباتهما ، ونجدهما أحيانا يذكران أسماء لاندرى هل هنَّ كناية عن زوجاتهما أم لهن وجود في حياتهما . حال غيرهم من الشعراء ! .

وذهب النقاد في تعريف الغزل مذاهب شتى فمنهم من قال : " النسيب ، والغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد .. وأما الغزل فهو إلف النساء ، والتخلُّق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ^١ " .

ومنهم من قال : " إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن ، وتصرف أحوال الهوى به معهن وقد يذهب قوم - أيضاً - موضع الفرق بين النسيب ، والغزل ، والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهنَّ من أجله فكان النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه ، والغزل إنما هو التصابي ، والاستهتار بمودات النساء ، ويقال في الإنسان " إنه غزل " إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن ... "٢ .

ولكننا استخدمنا " الغزل ، والنسيب ، والتشبيب " بمعنى واحد وهو الحديث عن المحبوبة وما يتعلق بها بما في ذلك الديار ، والأماكن ، وكل ما يشغف له الإنسان ويحن إليه " .

وقيل : " الغزل في كتابات النقاد والعلماء تشبيه بالنسيب والتشبيب تقع اللفظة عندهم محل أختها ، ويستبدل بها اللغوي مرادفتها حين يريد فهي من غنى اللغة وهي

^١ العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ص ١١٦ .

^٢ نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ١٣٤ .

تصور اختلاف القبائل في تسمية هذا اللون من القول ، يطلقونها على من وصف المرأة أو تحدث إليها ، أو لها بها ، أو تخيل قولاً فيها ، أو قصة معها ، أو وصف ما تثير في نفسه من حرقة ومن نعيم . وهذا نسيب أو تشبيب ، أو غزل يرسلونه في أحكامهم وكتاباتهم من غير كبير تمييز أو عظيم اختلاف^١ .

وهذا - الأخير - ما أردته وما قصده الناس في حديثهم عن هذا الضرب ، وقال حاتم - مخاطباً زوجه ماوية^٢ - :

أماوي! قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني من طلابكم العذر

ففي قوله هذا جزع واعتذار فهو يألّم لفراقها ، وبعدها عنه فهو لا يقوى على نأيها فحاتم أحبها حباً جمّاً وشغل بها زماناً .. وراح يعتذر عن عدم مجيئه لها .. ولا ضير ما دام مشغولاً و الود موصولاً .

ويعدّو هذا من التكرار الملفوظ وهو " ما كررت فيه ألفاظ بأعينها سواء كانت أعلاماً أو كلمات تجري مجرى الأعلام^٣ " وهذا تكرار أراد منه تقوية النسيب ، وإشاعة التشويق كما في قول الشاعر - مكرراً ذكر نعم -^٤ :

أمن آل نعم أنت غادٍ فمبـ_____كر غداة غدٍ أم رائج

فمهج

—

تحن إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا أنت

مقصـ_____ر

^١ فن الغزل ، محمد سامي الدهان ، ج ١ ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ص ١٢ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

^٣ المرشد إلى فهم العرب وصناعاتها ، عبد الله الطيب ، ط ١ ، الكويت ، ١٩٨٩م ، ص ٩٠ - ٩١ "بتصرف"

^٤ ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدم له: فائز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص ٧٥ .

ولا قرب نعم إن دنت لك نافع
ولا نأيتها يسلى ولا أنت

تصویر

أما النمر فأمره معروف من جهته أحبها ، وأخلصها الود إلا أنها صرمته ، واختدعته فألمه ذاك كثيراً ، وقال ^١ :

تصابي وأمسى علاه الكبر
وأمسى لجمرة حبل

وقال^٢ :

صرمتك جمره واستبد بدارها وعدت عوادي الحرب دون مزارها

فالنمر رغم هجرها واختداعها له إلا أنه فكر في زيارتها ، والنمر شغف بها حتى خشي على عقله بعد ذهابها عنه والذي حال دونها - فيما يبدو - الحرب ، ورغم هذا بنّها أحاسيسه بكل صدق وجرأة ، وأحسب النمر أصدق إحساساً من حاتم . لماذا ؟

أولاً : " ماوية " وصفت بالجمال الذي تميل إليه كلُّ النفوس فربما أحبها لجمالها أو مالها ، أو حسبها ، أو نسبها ليس بالضرورة أن يكون مثل هذا الحب عميقاً بالقدر الذي رأيناه في موقفه بأبياته أعلاه .

" فجمرة " لم توصف بجمال ، ولا مال إلا أنها ألهمت النمر ، وألهبت مشاعره ، ورغم إعراضها عنه ، إلا أنها ملأت دنياه ، وزاده إعراضها تعلقاً وترقباً .

ورغم ما حدث منها إلا أن النمر بثها تلك الأبيات التي تتم عن مشاعر ما زالت متقدة يشعلها الشوق ، ويضرمها البعد .. إذ لا جماح من قول أو عقل .. فقط الحرب حالت دونها - والله أعلم - .

^١ ديوان النمر بن تولب ، ص ٦٣ .

^٢ ديوان النمر بن تولب ، ص ٦٨ .

مأس _____ ل _____ وقد أفقرت

منها شراء فيذب _____ ل _____

متال

فواڊي سليل فالندي فأنح

ل

ومنها بأعراض المحاضر دمنة _____
 بوادي المسلهمة من _____ زل

وزیرج _____
 د _____ ونظم كأجواز الجراد مفصلاً _____ ل

يرببها التر عيب والمخض خاف
ومسك وكافور وابني تأكُلْ

كأن
هـ دم قارت تعلی به ثم تغسل ل⁹

سواء عليها الشيخ لم تدر ما الصبا إذا مارأته والألوف

وكم دونها من ركن طود ومهمه
الذئب بعسل

بآية _____
بأن حيَّهم واسألهم
ماتم _____ ولوا

فحييت من شحط فخير حديثنا _____
المضـ_____ل

ابتدر " النمر " أبياته بالبكاء على الرسم العافي ، والديار التي سكنتها الوحوش
والأسماء التي ذكرها في أبياته الأولى ، هي أسماء لمناطق كانت تسكنها المحبوبة
وماجاورها .

فهو يقول لها : " صارت الدار بعدك خواءً قفراً " وأخذ يصف محبوبته ما يتعلق
بها (وشبه الحلي بفصوص الجراد الذي قطعت رؤوسه ، وأرجله وتركت أوساطه) ،
ثم وصفها في ذاتها وما يغمرها من مسك ، وعطر وفي هذا دليل على سعة العيش
ورغد الحياة ونعيمها حينما كانت معه ، ووصفها بالعفة والطهر وأحسبه وفق في ذلك
حينما قال : " سواء عليها الشيخ لم تدر ما الصبا .. " ، بل هذا البيت من أروع ما
قرأت في هذا الشأن ، وأخذ يصف حالها حين أرسلت له رسولاً يسأل عن حاله فردَّ
عليها " النمر " تحيتها وأخبرها بحاله . ويبدو أن هيامه لم ينقطع ، وظل يشكو البين ،
ولواعج الشوق فقال^١ :

شطت بجمرة دار بعد إلـ_____ام
نأي وطول بعاد بين أقـ_____وام

حلت بتيماء في قوم إذا اجتمعوا في الصبح نادى مناديهـم بأشام

وقد لهوت بها والدار جامعـ_____ة

بالخرج فالنهي فالعوارء فالـ_____دام

حتى اشتفى وشفى منها لبانتـ_____ه وما يزيد شفاء غير

إسقـ_____ام

كأن جمرة أو عزّت لها شبهـ_____ا في

العين يوم تلاقينا بأرمـ_____ام

^١ ديوان النمر بن تولب ، ص ١٢٦ .

إِذْ مَا زَالَتْ " جَمْرَةٌ " تَمْلِكُ عَلَى النَّمْرِ أَقْطَارَ نَفْسِهِ ، وَمَا زَالَ يَخْبِي حُبَهَا فِي حَنَائِهِ وَرَدَهُ كَشَفَ عَنْ ذَلِكَ الْوَلَعِ ، وَتِلْكَ اللَّهْفَةُ الدَّفَاقَةُ .

وبكى حاتم كما صاحبه قائلاً^١ :

لم ينسني أطلال ماوية ناسي
ولا أكثر الماضي الذي
مثله يُنسى

إذا غربت شمس النهار وردتها كما يرد الظمان آية

الخمس _____ سن

إذن الأيام لم تنته ذكر زوجته ومحبوبته " ماوية " فهو يزور ديارها ويقف بآماله الغابرة ، ولما قال : " كما يرد الظمآن ... " فهو يعاني لواعج الفراق ، وحرقة فيذهب خفية لديار محبوبته ينجيها ويحاكيها ويسرها ما يغالب من آلام لا يديرها سواه ، وشبه حالته تلك بالإبل العائفة والتي تستقر آخر افترد بعدما يهددها العطش ، وربما بعدما يهدأ الماء وينقطع الوارد .

كان " أول رموز الشوق والحنين هو المأوى ، والدار ، والمنزل واضح ما يدل على المأوى ثم المرأة فرع من هذا المعنى إذ هي كانت المأوى الأول حين كانت أمًّا ثم هي المأوى الثاني حين تكون الخدن ، والزوجة ، والخلة ، والصاحبة^٢ " .

قال حاتم متذكراً ديار الحبيبة " ماوية " ٣ :

بكيٲ وما يبيكيك من طلل ق_____ فر
بسقف اللوى بين عموران فالغم_____ ر

^۱ دیوان حاتم ، ص ۶۶ .

^٢ المرشد ، عبد الله الطيب ، ج ٣ ، ص ٨٩٩ .

۳ دیوان حاتم ، ۴۵ .

انتقل من افتتاحيته ومن خطابها له ، إلى فخره بنفسه قائلاً : " وإني كما قد تعلمين .. " ، انتقالاً أحدث فجوة واضحة بين الأبيات الرابع والخامس ، فهي في البيت الرابع سألته : " أأست بشيخ .. " ، فكان عليه أن يقول - مثلاً - :

بلى إني شيخ ولكن

قار

سليب .. جريح .. دائم الوجد

أَوْ يَقُولُ :

بلى انني شيخ وعهدي بقابكم

كذب .. خلوف .. دائم الصدّ

ثم ينتقل بطريقة سلسة إلى ما يريد .

وقال حاتم:

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَ وَنَوِيًّا

مه _____ دما كخطك في

رق^۳ کتابا^۲ منمنم^۱ لا^{*}

أذاعت به الأرواح بعد نيسد _____ ها

شهوراً وأياماً وحولاً مجرم

^۱ دیوان حاتم ، ص ۷۹.

* المنمم : المحسن . * أذاعت به : فرقته . * المجرم : التام .

* رواية البيت هنا : " فأصبحت قد غيرن ظاهر تربيته * وبدلت الأنواء ما كان معلماً " .

* الصبا - عند العرب - : لإلقاح الشجر ، والشمال : للروح ، والجنوب : للأمطار ، والدبور :

لللاء

وغيرها طولُ التقادم

والبلبلُ _____ إلى فما

أعرف الأطلال إلا توهم_____

تهادى عليها حليها ذات بهجة _____ وكشحا

كطي السابرية أهضم_____

ونحراً كفى نور الجبين يزي_____نه

توقد ياقوت وشذر منظر_____

كجمر الغضا هبت به بعد هجعة من الليل أرواح الصبا* فنتسما

يضيء لنا* البيت الظليل خصاصة إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما

إذا انقلبت فوق الحشية

م_____رة ترنم

وسواس الحلي ترنم_____

اتفق الشاعران في استخدام أسلوب " الخطاب " في حديثهما عن ديار المحبوبة
ووصفها " أشاقتك ... " و " أتعرف أطلالاً ... " .

والنمر انتقل من وصف ديارها للإفصاح عن مشاعره نحوها ، ومن ثم الحوار
المذكور معها .

كذلك حاتم وقف على ديارها ، ووقفه بها ، ووصفه لها كان أطول من النمر ،
وانتقل من الديار إلى المحبوبة فوصفها وصفاً حسيّاً متحدثاً فيه عن قوامها وحليها فهو
ينعتها بالترف ، والنعمة وأنها مكفّية المؤونة ، وأشبه في وصفه امرأ القيس الذي
يقول^١ :

^١ شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ،
١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ص ٥٥ .

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وأظن حاتماً يقصد من أبياته تلك " ماوية " لأن المعروف أنَّ ماوية ابنة ملوك
أثرياء ووصفه في البيت الأخير فيه إشارة أقرب إلى ماوية بنت عفزر .

ولأن أغلب غزله وأكثر ذكره كان لها وبالرغم من أنها الثانية إلا أنها شغلت قلبه وأخذت لبه .. فحاتم وفي للنوار فلم يتزوج عليها إلا بعد رحيلها ، وأحبها - أيضاً - ولا أظنه يضاهي حبَّ ماوية ، ونراه يقف أيضاً على رسم دارها قائلاً :

أرسماً جديداً من نوار تعرف تسائله إذ ليس بالدار موقف⁸

وفى قصيدته نفسها ذكر "ماوية" فى آخر الأبيات قائلاً :

ويعطيني ماوي بيت

ذكرنا أن للشاعرين أسماء لا ندري ما هي ، وكما قال ابن رشيق القيرواني :
ربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة إقامة للوزن أو تحلية للنسيب^٢.

ولربما " لأن الناس - فيما يبدو - لا يقبلون في يسر أن يشتهر عنهم حديث الحب وسيرة القلب ، وأن تذيع أسماؤهم الحقيقية ، وكناهم المشهورة ، وأسرهـم المعروفة في حوادث الصبابة والوجد . ولعل المجتمع الإنساني ما يزال يجد ضعفاً ، وفي ذكر المحبوب فضيحة ، لأن الحب من هزل الحياة ولهوها ، وقليل من الأدباء من يرضى بالهزل ومجانبة الجد^٣ " .

^۱ دیوان حاتم ، ص ۷۰ .

* رويت " يضيئ لها ... " ، أي لأجلها - ولا خصاص : أي لا فرج .

^٢ العمدة ، لابن رشيق ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

٣ فن الغزل ، محمد سامي الدهان ، ص ١٥ .

ولا نقطع في هذا الأمر بقول ، ولا نعرف بيقين حديث ، ولكن نقول بأن حاتماً
ابتدر إحدى قصائده قائلاً^١ - في امرأة أخلفته الوعد - :

ألا أخلفت سوداء منك المواعيد ودون الذي أملت منها

الف _____ راقد

تمنيننا غدواً وغيمكم غداً _____
ضباب فلا صحو ولا الغيم جائد

وهذا أخففته " محبوبته " الوعد ، ومطلته اللقاء ، وهذا ليس مذموماً في باب الحب ، ولكن على سبيل الدلال والغنج ، لا على السبيل الذي تركت من أجله جمره النمر ، حتى قال ٢ :

وكل خليل عليه الرعـا
والحبلات كذوب مـلق

وقامت إليّ فأحلفتها

بهدى قلائده تختاً

بأن لا أخونك فيما علمت فإن الخيانة شر

الخ _____ لق

وقال - أيضاً -^٣ :

صحا القلب من سلمى وأم عامر
وكنّت أراني عنهما غير
صابر

١ ديوان حاتم ، ص ٣٨ .

٢ ديوان النمر ، ص ٩١ .

^۳ دیوان حاتم ، ص ۵۲ .

ووشّت وشاة بيننا وتقاذف _____ت

نوى غربةٍ من بعد طول التجاورِ

كما قال النمر^١ :

سلا عن تذكره تكتما وكان رهيناً بها مغرماً

وأقصر عنها وآياتها تذكره داءه

الأقدم _____ا

وقال النمر^٢ :

ألمّ بصحبتي وهم هج _____ودُ خيال

طارقُ من أم حصن _____ن

ألم ترها تريك غداة بان _____ت بملء العين

من كرمٍ وحسن _____ن

سُفِيَّة بين

أنه _____ار ودور وزرع

نابت وكروم جف _____ن

لها ما تشتهي عسلٌ مصفى إذا شاعت وحواري

بسم _____ن

فأعطت كلما سُئلت شباباً _____اً فأنبثها نباتاً غير

ج _____ن

^١ ديوان النمر ، ص ٩١ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٥٢ .

كنود لا تَمُنُّ ولا

تُفْ _____ ادي _____ إذا غلقت حبالها

ن _____ بره _____

وقيل : إن للشعرَاء أسماء تخفُّ على ألسنتهم ، وتحلو في أفواههم ، فهم يأتون بها زوراً ، وربما حقيقة وواقعاً ، فمن ذلك ذكر النمر " أم ربيعة ، أم حصن ، تكتم ، سُلَيْمى " وهذا الاسم الأخير اشترك فيه مع حاتم ، مع الاختلاف في التصغير ، وهو أكثرها تداولاً وتكراراً بين الشعرَاء وأعزى هذا لخفة نطقه ، وسهولة وضعه في الكلام مع جمال معناه ، ولكثرة استعماله صار رمزاً للنساء عامة أكثر ما يكون علماً لامرأة بعينها .

وأحسب أن النمر أعمق وأصدق حباً .. فبالرغم من صدِّ محبوبته ، وإعراضها ومن ثم بعدها فهو لم يصم عن ذكرها ، ولم ينس أيامها معه ، ورغم اختداعها له إلا أنه احتفظ بمشاعره تجاهها زمناً ليس بالقليل .. ورغم أن البعد يلهي وينسي ، وعدم الأمل في اللقاء يورث البغض والكُره - أحياناً - إلا أنه لم يزد النمر إلا حباً على الحب وهياماً على هيام .. وظل يراقبها على البعد ، ودعد وبما أوتيت من جمال لم تتس النمر ما به ، ولكن لنقل رده من الهلاك ، ومنحته حياة جديدة ، وشغلته زماناً .

ولا أجزم بأن حاتم لم يحب النوار ولا ماوية ، ولكني أرى أنه من الدقة أن أقول : وفى حاتم للنوار ، وأحبَّ ماوية ، وحبُّه لماوية ليس بالقدر الذي نراه عند النمر تجاه "جمرة" ولا أقرب لماذا ؟

لأنني أحسب الحبَّ تعلق أرواح بأرواح وليس تعلقها بمتعلقات لها أن تبید وتَفنى ، ولا مكان فيه للعقل أبداً .. ومتى تدخلت ومضاته عُدَّ حباً ولكن من الدرجة الثانية ، وبهذا فأَيُّ عاصفة من عواصف الزمن لها أن تلغيه وتقضي عليه .

وتكرار " حاتم " لذكر " ماوية " ليس دليلاً قاطعاً على حبِّ فائق ، وقولنا : أحب ماوية لدرجة جعلته يذكرها في معظم أبياته قول باطل خاصة إذا كانت هناك دواعٍ

أخرى للذكر ، كخفة الاسم - مثلاً - وربما سهولته مع الأوزان الشعرية فله أن يذكر اسمها كاملاً وله أن يرخمه كما فعل .

وربما إرضاءً لها فهي امرأة مغرورة ، ومَلَكَة ذَكِيَّة تحبُّ الشهرة ، والذِوَع ، وكان لها ما أرادت من ذلك الحظ .

واشتركت " جمرة " و " ماوية " في أنهما لم تحبا زوجيهما ألبتة . لماذا ؟

أولاً : " ماوية " قيل إن ابن عم لحاتم كان يقال له " مالك " قال لها ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنه ، وإن لم يجد ليتكلفن ، وإن مات ليطركنَّ ولده عيالاً على قومك ، فقالت ماوية : صدقت إنه كذلك .

وكان النساء - أو بعضهنَّ - يطلقن الرجال في الجاهلية ، وكان طلاقهنَّ أنهنَّ إن كنَّ في بيت من شَعَر حولن الخباء فإن كان بابه قِبَل المشرق حولنه قِبَل المغرب ، وإن كان قِبَل اليمن حولنه قِبَل الشام ، فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتها وإن ابن عم حاتم قال لماوية : " طلقي حاتماً وأنا أنكحك ، وأنا خير لك منه ، وأكثر مالاً . وأنا أمسك عليك وعلى ولدك " ، فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال : يا عدي مانرى أمك عدى عليها قال : لا أدري غير أنها قد غيرت باب الخباء - وكأنه لم يلحن لما قال - فدعاه فهبط به بطن وادٍ ، وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فتوافوا خمسين رجلاً فضاقت بهم ماوية ذرعاً وقالت لجاريته اذهبي إلي " مالك " وأخبريه بهم . فقال لها : اقرئي لها السلام ، وقولي لها : هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه . فرجعت وأخبرتها ، فقالت لها : إئت حاتماً وأخبريه . ففعلت . فقام حاتم إلى الإبل فأطلق ثنتين من عقالهما ، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيبهما فطفت ماوية تصيح وتقول هذا الذي طلقته فيه تترك ولدك وليس لهم شيء .

وهذه القصة إذا ما قورنت بقصة خطبتها - في التمهيد - نصل إلى الآتي :

١- إما أن تكون متنازعة المذاهب ، متقلبة الآراء ومختلة المبدأ .

٢- أو أن هناك خلطاً في نسبة إحدى القصتين بهم .

ولكن إذا أخذنا بالروايتين حسبما وردتا في كتب الأدب القديمة فإننا نخلص إلى رأينا السابق في أن " ماوية " لم تخلص لحاتم ألّبتة ، ومع ذلك ليس لها مذهب واحد .

ثانياً : " جمرة " : معلوم أنها لم تخفِ ما بها ، وطلبت الذهاب لقومها وبعد رفض استمر سنيماً ذهب بها إليهم فلم تعد إليه مرة أخرى ، ولم يستطع النمر التأثير عليها طيلة الفترة التي قضتها معه لأن قلبها معلق بغيره - والله أعلم - .

وإن أردنا أن نصف " جمرة " يمكننا القول بأنها امرأة وفيّة . لماذا ؟

سببت فذهبت بها الأقدار بعيداً عن زوجها وأهلها ، وذاقت ما ذاقته من ألوان العذاب النفسي ، فصبرت على مصابها ، وزوّجت غصباً ، وأنجبت كرهاً ، وظلّت على الحالة نفسها سنين ، ولم تنس زوجها الأول - وهذا الوفاء بعينه - فحينما سنحت الفرصة عادت إليهم ولم تخف من العواقب .

وأيّاً كان الفاضل والمفضول إلّا أنهما لم يكتبتا إلّا غزلاً عذريّاً عفيفاً طاهرّاً^١

^١ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ١٧ ، ص ٣٨٥ .

المبحث الثاني

الهجاء

معلوم أن الشاعر لسان قبيلته ، والمتحدث الأول عنها في كل الحالات ، والناطق باسمها في كل المنابر، والمدافع عنها بجنانه قبل لسانه ، بل قيل^١ : إن القبائل كانت تعتمد في حروبها على الشعر اعتمادها على السلاح وكثيراً ما كان الهجاء أمراً من السيف .

ولما كان الهجاء فناً من فنون الشعر الغنائي ، ويعبر به الشاعر عن عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء يمكن أن نسميه فن الشتم والسباب فهو نقيض المدح ففي القصيدة الهجائية نجد نقائص الفضائل التي يتغنى بها المدح^٢ .. بل كلما كثرت فيه أضداد المديح كان أهجى^٣ .

وكان الهجاء في الجاهلية مرتبطاً جداً بروح الصحراء العربية ، التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل ، وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تدم الضعف والبخل واختلاط النسب^٤ . ومن ذلك الأخير قول النمر في بني سعد بن تميم - وهم أخواله -^٥ :

إذا كنت في سعدٍ وأمك منه
غريباً فلا يغررك خالك من سعد

^١ الهجاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ص ٩ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٨ .

^٣ نقد الشعر ، قدامه بن جعفر ، ص ١١٣ .

^٤ الهجاء في الشعر العربي ، ص ٨ .

^٥ ديوان النمر ، ص ٥٩ - ٦٠ .

* فلان يصغى إناء فلان : أي ينتقصه . - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكري ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ، عام ١٩٧١م ، بيروت - لبنان ، ج ١ ، ص ١٢ .

فإن ابن أخت القوم مصغى إناءه* إذا لم يزاحم خاله بأب
جـ

إذا ما دعو كيسان* كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرء
ولما كان شاعراً حكيماً دمث الأخلاق أبت نفسه أن يهجو أخواله هجاءً صريحاً
معتمداً على السبِّ ، والشتم ، وذكر المقابح ، فهجاهم عن طريق الكنية " كيسان " .
والفرد عنوان جماعته ، ولسانها ، به يأتي الخير لها ، ويندفع الشر والأذى عنها
ولكن أحياناً تتقلب الأمور فيصير هو عدوها الأول - بقصد أو لا قصد - يجلب لها
المصائب والمصاعب ويذيع عنها كل ما هو مشين . ومن ذلك نستشهد بالآتي : " نازع
النمر بن تولب رجلٌ من بني ربيعة - اسمه : وهب - في بئر تدعي " الدخول " ،
نميرة الماء وهي في أرض عكل وقيل إن النمر سقاه فلم يشكر له فقال النمر^١ :

يريد خيانتني وهبٌ وأرجو من الله البراءة
والأمانا

فإن الله يعلمني ووهبٌ يعلمني بـ ويعلم أن سنلقاه
كلانا

وإن بني ربيعة بعد وهبٍ كراعي البيت يحفظه فخاناً*
يقول : وهب مثل ربيعة فإذا خان فكلهم خائن كما يقال : " في بني فلان بعد فلان
خير؟ " أي : إذا لم يكن فيه خير فليس في أحد منهم .

^١ ديوان النمر ، ص ١٣٧ .

* كيسان : اسم للغدر - تهذيب اللغة ، الباب : الكاف والباء مع الميم ، ج ١٠ ، ص ١٧٢ .

* الخائن : الذي أؤتمن فأخذ فخان .

- أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري ، تحقيق : محمد
محيي الدين عبد المجيد ، ط ٤ ، المكتبة التجارية ، مصر - القاهرة ، ١٩٦٣م ، ج ١ ، ص ٣٠ .

وقوله : " كراعي البيت .. " أي كمن أؤتمن على البيت فخاں الذي ائتمنه^١ .

وعندما مرَّ أبو الخيبري بقبر حاتم فنزل به ، وبات يناديه : يا أبا عدي أقر أضيافك، فلما كان في السحر وثب أبو الخيبري يصيح : وارا حلتاه ! . فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ . فقال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي ، وأنا أنظر إليه فنظروا إلى راحلته فإذا هي تتبعث فقالوا : قد والله قراك فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا فبينا هم كذلك في مسيرتهم طلع عليهم عدي بن حاتم ومعه جمل أسود قد قرنه ببعيره . فقال : إن حاتماً جائعني في المنام فذكر لي شتمك إياه وإنه قراك وأصحابك راحلتك وقد قال في ذلك أبياتاً ورددها على حتى حفظتها وهي ^٢ :

أبا الخيرى وأنت امــــــرؤ
شتامهـــــــــــــــــــــا

حسود العشيرة

فماذا أردت إلى رمة
صخب هام

تبغي أذاها وإعساره _____
وأنعامه _____
وحولك عوف _____

وإنا لنطعم أضيافنا
من الكوم بالسيف نعتامها

وأمرني بدفع جمل مكانها إليك فخذته فأخذه . وإن سلمنا بأن حاتماً صاحب هذه الأبيات ، فحينها ننعتة بالمباشرة في الأسلوب فلم يلجأً للتعريض أو السباب ، وأحسبه آله جدّاً فهو كلام قليل شديد الوقع وقيل : إن أشدّ الهجاء ما عفاً لفظه وصدق معناه ،

١ شرح أدب الكاتب ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن أبو منصور بن الجواليقي ،
 قدم له : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، باب : مهلك مال ومفيد
 مال ، ج ١ ، ص ٥٧ .

^۲ دیوان حاتم ، ص ۸۹ .

وقيل : ما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ، ولصوقه بالنفس ،
فأما القذع والإفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن^١ .

وحاتم هنا مزج الهجاء بالفخر علّه يتعلم أو يتشبه ويتمثل به وبآله .

وكان للنمر بن تولب صديق فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية
احتملوها فلما رآهم وسألوه تبسم فقال النمر^٢ :

تبسم ضاحا لما رآني

وأصحابي لديّ عن التمام

فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أن أعطيكم ونفساً تأمرني ألا أفعل . فقال
النمر^٣ :

أما خليلي فإني لست معجـ _____ له _____ حتى

يؤامر نفسه كما زعـ _____ ما

نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

ثم قال النمر لأصحابه لا تسألوا أحداً فالدية كلها عليّ .

وقال حاتم - أبياتا تقترب من أبيات النمر -^٤ :

كذلك أمور الناس راضٍ دنيةً وسام إلى فرع العلا

متـ _____ وردُ

فمنهم جواد قد تلفت حولـ _____ ومنهم لنئيم دائم

الطرف أقـ _____ ودُ

^١ العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج ١ ، ص ١٧١ .

^٢ ديوان النمر ، ص ١٢٢ .

^٣ ديوان النمر ، ص ١٢٢ .

^٤ ديوان حاتم ، ص ٣٦ .

وداع دعاني دعوة فأجبتُ ————— وهل يدع الداعين إلا
المبلدُ

إذن النمر كان كثيراً ما يلجأ إلى التعريض ، والإيحاء على خلاف حاتم ، والنمر
ومع قلة هجائه إلا أنه أكثر هجاء وأجود من حاتم ، فإما لأن حاتماً شُغل بما تحدثنا
عنه سابقاً - الفخر والسيادة - أو لأنه كان رجلاً مسماً ، أبدى هذا في كثير من
أبياته الآتية .

" وأحياناً لا يكون المراد من الهجاء مجرد الشتائم فإذا تأملنا قصيدة الهجاء نفهم
دروساً أخلاقية تشجعنا على العمل بعكس هذه الصفات ، التي استدعت الهجاء ،
والشاعر بقوة ألفاظه الهجائية ، يصور لنا وجهين للحقيقة والحياة ؛ وجه الخير ، ووجه
الشر ، فهو إذاً يرسم لنا مثلاً أعلى يدعونا للتطلع إليه ^١ ."

^١ الهجاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، ص ٨ .

فوالله ما أسقي البلاد

لحبه _____ ولكنما أسقيك حار

بن تول _____ ب

تضمنت أدواء العشيرة

بين _____ ها وأنت على أعواد نعش

مقل _____ ب

كأن امرأ في الناس كنت ابن أمه على فلج من بطن دجلة مطنب

وأحسب أنها : " فوالله ما أسقى ... " أي الفاعل " هو " وعود الضمير على " الصوب " ، وفي البيت الأول - أيضاً - : " ولكنما أسقاك ... " .

وفي قوله : " تضمنت أدواء العشيرة ... " أي : " تضمنت ما كان في العشيرة من الداء أو الفساد حين كنت فيهم وأنت اليوم على نعش تقلب^١ " .

والبيت الأخير يعني بما كان فيه من الخير والسعة ، ومطنب بعيد الذهاب شديد الجري لا ينقطع^٢ .

وقال في إخوته^٣ :

بين البدي وبين برقة ضاحك غوثُ اللهيف وفارس

مقل _____ دام

ومقابر بين الرسيس وعاق _____ ل درست

وفيه منجبون ك _____ رام

^١ المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : د. سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، الباب : أبيات المعاني في المراثي .

^٢ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري ، ج ١ ، ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

^٣ ديوان النمر ، ص ١١١ .

جزعا جزعت عليهم فدعوتهم لو يسمعون
وكيف تدعى الهام

لا تتبعوا و غدا السلام عليكم
وسرى فقد يتفرق

[illegible]

فأبيت مسرورا برؤية _____ ن أرى فإذا
انتبهت إذا هي الأحلام

فبدأ في بيته الأول بأحدهم ، وشملهم في بقية الآيات ، وقوله : " فأبیت مسروراً .. " فيه من التصوير ، والحكمة ، والألم الدافق ما جعلني أقول إنه من أروع ما قرأت في هذا الصدد .

وقال - لا أدري في أخيه أم غيره -^١ :

على فاجع هذَّ العشيرة فقَدَ
به أعلن الناعي الحديث المجمعما

كان العرب يأنفون من رثاء الرجل لامرأته ، ويعدونه ضعفاً ، وحقاً من كرامته ، ومن جانب آخر لم يقدر للنساء منزلة ممتازة أو ذات أهمية ، ولم يعترفوا بها ، ورثاء المرأة قليل جداً في الشعر العربي ، ولكن رغم هذا نجد النمر رثى زوجته - السابقة - جمره^٢ وهذا لا يعني أن الشعراء لم يتطرقوا لهذا الضرب .

^١ ديوان النمر ، ص ١٢٣ .

^٢ الرثاء في الشعر العربي القديم واتجاهاته ، محمد شرفبياني ، ص ١١٣ .

وحيثما قلنا - سابقاً- إن النمر أحب جمره حباً صادقاً عميقاً ، وتتبع أخبارها كان
نعيه لها جزءاً من دواعي ذلك الحكم ، حينما نعاها له رجل من قومه يقال له حزام
فقال فيها^١ :

ألم تر أن جمره جاء منها — بيان الحق إن صدق الكلام

نعاها بالنداء لنا حزام — أق
مايقول لنا حزام — زام

فلا تبعد وقد بعدت وأجدي على قبر تضمنها

الغم — ام

ولاسبيل لإجراء موازنة في هذا الغرض ، لأن الحظ فيه من طرف واحد ألا وهو
النمر بن تولب (رضي الله عنه) ولكن قمنا بحصره ، وترتيبه فحسب .

^١ السابق نفسه ، ص ١١٣ .

المبحث الرابع

الإعتذار والإستعطاف والشكر

يأتي لإظهار الندم على فعل حدث ، أو حال وقعت ، ويريد المعتذر أن يبرئ نفسه، أو أهله لينجو من اللوم ، أو يحاول إصلاح الحال بتفسير ، أو شرح معقول لها لكي يرجع الأمور إلى مجراها العادي^١ .

وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ، فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجبياً ، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يمسح أعطافه ، ويستجلب رضاه ، فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ .. " .

ومن ذلك ما تقرأه في القصة الآتية :

" أغارت طيء على إبل للنعمان بن الحارث بن عمرو الغساني ، ورجل من بني جفنة وقتلوا ابناً له ، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن^٢ ، وليسبين^٣ الذراري فحلف ليقتلن^٤ من بني الغوث أهل بيت على دم واحد فخرج يريد طيئاً فأصاب من بني عدي ابن أخزم سبعين رجلاً رأسهم " وهم بن عمرو " من رهط حاتم ، وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان فأصابتهن مقدمات خيله ، فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولديها فتقول : يا حاتم أسر أبو هذا ، فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ، ومعه ملحان بن حارثة - وكان لا يسافر إلا معه - فقال حاتم^٥ :

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكر وماذاك من حب النساء ولا الأشر

^١ في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، مطبعة دار التراث الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، الباب : الاعتذار ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .

^٢ شعراء النصرانية ، جمعه وصححه : رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب " شيخو " ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

- والقصة في الديوان ، ص ٥٥ .

۱۶۳

ثم دعا لأهله بالسقيا والخير والنعيم من جنوب السراة إلى زعر ، وراح مادحاً " وهم ابن عمرو" بالجرأة والشدة ، والبأس ، واليقظة ، ووعدته بالمساعدة ، ونراه واثقاً من ذلك إما لأن الملك لا يرفض له ما يريد لكرمه وحلمه .

أو لأنه يثق في أسلوبه وطريقته التي تطوع كل صعب ، وتسهل كل قاسٍ ففخر بكرمه ، ومنطقه الفائق والذي سيساعده على فك الأسارى .

فدخل حاتم عليه فأنشده أبياتاً فأعجب به ، واستوهمهم منه فوهب له امرأ القيس ابن عدي ثم أنزله فأتي بالطعام والخمر فقال له " ملحان " : أتشرب الخمر وقومك في الأغلال ! قم إليه فسله إياهم^١ . فدخل عليه فأنشده^٢ :

إن امرأ القيس أضحى من صنيعكم وعبد شمس أبيت اللعن
فاصطنع

إن عدياً إذا ملكت

جانبه

من أمر غوث على مرأى ومستمع

ثم قال :

أتبع بني عبد شمس أمر صاحبهم أهلي فداؤك إن ضرروا وإن نفعوا

لاتجعلنا أبيت اللعن ضاحكاً

كمعشر صلما الأذان أو جدعوا

أو كالجنح إذا سلَّت

قوادم

صار الجناح لفضل

الريش يتبع

^١ شعراء النصرانية ، شيخو ، ص ١٠٥ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٦٩ .

ولا وحدة بين الأبيات تلك فجواب الشرط " إذا " مفقود ، وكمال المعنى غير موجود وكان عليه أن يقول بعد تلك الأبيات - مثلاً - :

فالصفح والعفو أحرى أن ينالهما والحمد والشكر مقرونُ بمن شرعوا

فأطلق النعمان الغساني بني عبد شمس إكراماً لحاتم وبقي " قيس بن جحدر بن ثعلبة " ، وهو من لخم وأمه من بني عدي وهو جد الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر ، فقال له النعمان : أفبقي أحد من أصحابك ؟ فقال حاتم^١ :

فككت عدياً كلها من إسارها فأفضل وشفعني بقيس بن جحدر

أبوه أبي والأمهات أمهاتنت _____
قومي ومعشري

فقال : هو لك يا حاتم .

ولكن الاستعطاف عند حاتم قليل كذلك ، أما النمر فلم ينظم فيه قط .

ومن هذه الأبيات يتضح لنا أن النعمان فك أسراهم جميعاً كما توقع حاتم ، وما كان من حاتم إلا أن قابله بالإحسان فنظم له أبياتاً شكره فيها - سنوردها في القسم الآتي إن شاء الله - .

ومما نسب إلى النمر^٢ :

أحار بن عمرو فؤداي خمر* ويعدو* على المرء ما يأتذر*

^١ شعراء النصرانية ، شيخو ، ص ١٠٥ .

- ديوان حاتم ، ص ٥٧ .

^٢ ديوان النمر ، ص ١٤٤ .

* خمر : أي خامره داء أو حُب ، أي : خالطه .

* يعدو عليه : أي يصيبه وينزل به .

* يأتذر : يهيم به ويعزم .

- ديوان النمر ، ١٤٤ .

الشكر :

أبلغ الحارث بن عمرو بأنني

حافظ الود مرصد للصواب

دَعَا _____ عَاجِلًا وَاحِدًا
وَذَا أَصَد _____ أَب

فَاعِلًا

المدة _____ أب

رَهْ _____ وَآثَلَتِ
يُغَرَّرْنَ بِالْأَعْجَابِ

مسقط

^١ ديوان حاتم الطائي ، ص ٢٧ .

أصحاب الأصول الشريفة، والنفوس العفيفة . وعدل عن مدح أولئك الأقوام إلى فخر
بنفسه ومدح لقومه ، إذ قال : إني لا أخشى الدسائس ولا أهابهم فلي ولأهلي من القوة
ما يحصنني ويحميني منهم .

فحاتم لم يخرج عن دأبه ، ومنهجه الذي اعتدناه في مزج أي غرض من أغراضه
بالفخر ، والمدح حتى صار أغلب مما سواهما .

المبحث الخامس

الوصف

الوصف عند الأدباء : هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلاً يصل بك إلى الأعماق ، إلى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى ذوق فني ، وتتطلب الإحاطة بنواحيها والسمو إلى آفاقها وجدانا شاعراً وإحساساً مرهفاً وذوقاً سليماً^١ .

وأرى أنه إن كان للأغراض عمدة ، فعمدتها الوصف لأن للشاعر أن يفخر ، ويمدح ، ويرثي ، ويتغزل ، ولكن أصعب الركوب الوصف ، فهو يحتاج إلى المزيد من الموهبة ، والملكة التصويرية الخاصة ، والتي لا يجيدها الكثير . حتى في استخدامه للأغراض الأخرى عليه استصحابه عنصراً أساسياً ، قيل : إنه يمكن أن تدخل جميع فنون الشعر تحت الوصف^٢ .

وهذا واضح في كثير من أبيات الأغراض السابقة .. ومن ذلك وصف أجّلهم وما يتعلق به ، فقال حاتم^٣ مفصلاً في الفخر حينما رد على عاذلته : " أماوي ما يغني الثراء عن الفتى .. " ، و " إذا أنا دلاني الذين أحبهم .. " .

وفي الفخر^٤ : " وفتيان صدف منهم دارج السرى .. "

وقال النمر^١ - في الوقوف على الأطلال - : " أشاقتك أطلال دوارس من دعد .. " .

^١ الوصف في الشعر العربي ، الوصف في العصر الجاهلي ، عبد العظيم علي قناوي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ، ج ١ ، ص ٤٢ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٤٩ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

^٤ السابق نفسه ، ص ٥٢ .

استشهدنا بأمثلة مختلفة من أشعارهما وكان الوصف العمدة المشترك بينهما ، وهذا كثير جداً ليس على نطاق الشاعرين ، بل على مستوى الشعر كافة ، حتى الكلام العادي لا يخلو من الوصف ، فالوصف اكتسب هذه السعة من شمول المعنى ، وعموم المصطلح . " ومع أن كل ما حاول الشعراء وصفه جاء تصويره على العموم دقيقاً متقناً ، فإن بعض الموصوفات نالت اهتماماً ظاهراً ، فمثلاً الإبل والخيول قد فاقت في التصوير كل ما عداها ويبدو واضحاً في الشعر أنها حظيت من الشعراء بعناية فائقة ، واهتمام كبير فقد صوروها تصويراً دقيقاً في حركاتها ، وسكناتها ، وتتبعوا أجسامها جزئية جزئية ، ولم يقتصروا على أعضائها الظاهرة ، صغیرها وكبیرها ، بل تحدثوا عن بعض أجزاء باطنية لا تراها العين كالنساء ، والشَّظَا ، والقلب^٢ .. " .

١ ديوان النمر بن تولب ، ص ٥٦ .

٢ في تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث الأول ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، باب: الوصف ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .

ومن ذلك قول حاتم^١ :

شهدت وعواناً أميمة

إنَّه _____ بنو

الحرب نصلها إذا اشتد نورها

على مهرة كبداء* جرداء* ضامر أمين شظاها* مطمئن

نسورها _____*

^١ ديوان حاتم ، ص ٦٤ .

* كبداء : هي التي يملأ الكف مقبضها .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ط ٤ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الباب : النعت ، ج ٥ ، ص ٦٥ .

* الجرداء : قصيرة الشعرة ؛ وذلك من كرم الفرس وعنتها ، والضامر : نحيفة الوسط .

- الاختيارين : - المفضليات والأصمعيات - ، أبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل - الأخفش الصغير - تحقيق: فخر الدين قبارة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الباب : قال طفيل ابن عوف ، ج ١ ، ص ١٠ .

* الشظى : عظم لاصق بالركبة .

أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد الدالي ، باب : خلق الخيل ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

* النسور : في باطن الحافر مثل النوى واللوز .

- المعاني الكبير في أبيات المعاني ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن - الهند ، ط ١ ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ، الباب : تم الخلق ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

ومن هذه الصفات الجسمانية نصل إلى أن الشاعر يريد أن يقول إن مهرته مهرة عربية أصيلة . وقال النمر يصف فرسه^١ :

لقد غدوت بصهبي وهي ملهبة
الشبيح

جاءت لتسنحني يسراً فقلت لها : على يمينك إني غير
مسنوح

ثم استمرت تريد الريح مصعودة
الريح

يا ويل صهبي قبيل الريح مهذبة بين النجاد وبين الجزع ذي الصوح

أما حاتم فوصف لنا مهرته وما بها من صفات الجودة والأصالة ، أما النمر فوصف سرعة فرسه التي تدعى " صُهْبَى " ، وصور لنا كيف فاقت فرسه الطريدة وغلبتها . والخيل والإبل كان لهما أكبر الأثر في حياتهم في السلم و الحرب ، فأكثرُوا فيها القول ولا تكاد تخلو قصيدة قديمة من وصفهما^٢ ، ومن ذلك قول النمر - يصف ناقة^٣ - :

^١ ديوان النمر ، ص ٥٤ - ٥٥ .

وقيل إنه بين البيت الأول والأبيات الأخيرة أبيات لم تذكر ولكن الثلاثة الأخيرة مرتبة .
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبو عبيدة البكري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، ج ١ ، ص ٥٤٧ .

- وقوله " جاءت لتسنحني ... يعني الطريدة ولتسنحني : أي لتمضي على يساري .
- الأمالي ، أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد سلمان ، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، ط ٢ ، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

والأهداب : أشد العدو ، والنجاد ما ارتفع من الارض .
الصوح : صفح الجبل .

راحت مؤملة الغدو صحيحة ملساء من عرر* ومن ظبظاب*

أي أنها ناقة صحيحة سليمة ليس فيها من أدواء الإبل شيء .

ومما نسب إليه - في وصف الناقة^١ - :

وأذن لها حشـ_____رة
مش_____رة كأعليط مرخ إذا ما
ص_____ف_____ر

يصف ناقته ورقتها ولطفها شبهها بإعليط المرخ ، وهو الذي يكون فيه الحب
وعليه مشرة غني أي أثر غنى .

- سمط اللآلي ، ص ٥٤٧ .

^٢ تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، ص ٣٦٣ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٤٩ .

* العرر : ألا يكون للبعير سنام ، يقال ناقة عراء ، وبعير أعر .

* ظبظاب : يقال : فلان ما به ظبظاب أي هو أملس من الدواء حتى ليس به مقدار البثرة .

- المستقصي في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، دار
الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، الباب : الميم مع الألف ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .

^١ لسان العرب ، لابن منظور ، فصل الميم ، ج ٥ ، ص ١٧٤ . تاج العروس وتاج العروس ،
محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ، أبو الفيض ، مرتضي الزبيدي ، دار الهداية ، مادة "
مشر" ، ج ١٤ ، ص ١٢٢ .

وقال في المعسنات من الإبل^١:

ومدفع* ذي فروتين هنأته* إذ لا ترى في المعسنات* صرارا*

والبيت وَصَلَ أَبْتَرًا كما البيت الذي سبقه فهما يحملان مقطعاً صَوْرِيًّا ، ولكن المراد من وراء ذلك غير واضح والغرض الذي أتت فيه غير واضح كذلك .

^١ الجيم ، أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، راجعه : محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة - مصر ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، باب العين ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

* المدفع : وهو البعير الذي إذا جيء بها قيل : دع هذا - من الإشفاق عليه - .
- الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم ، العوفي السرقسطي أبو محمد ، تحقيق : محمد عبد الله القناص ، مكتبة العبيكان ، الرياض - السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢-٢٠٠١م ، الباب : حديث سودة - رحمها الله - ، ج ٣ ، ص ١١٩٢ .
* والهناء : ضرب من القطران .

- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، الباب : الهاء والنون و (وائ) معهما هـ ن ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

* والعسن : الشحم القديم .

- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٩م ، ج ٤ - ٣١٦ ، الباب : عسوي .

* الصرار : المراد خيط يشد فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها .

- لسان العرب ، لابن منظور ، فصل : الصاد المهملة .

وقال في وصف الناقة - أيضاً^١ - :

قطعت بسمحة* كالفحل عجلي مواشكة* إذا جنح
الأصل_____يل

وقال^٢ :

يوم الكلاب* رأسنا الجم_____وع ضراراً
وجمع بني منق_____ر

أجزت إليك سهوب الف_____للة
ورحلي على جمل مسف_____ر

طويل الذراع قصير الكراع يوا شك بالسبب
الأغب_____ر

^١ ديوان النمر ، ص ١٠٧ .

* سمحة : أي ناقة سمحة ، وسمحت الناقة : إذا انقادت فأسرعت .

- السابق نفسه ، ص ١٠٧

* المواشكة : السريعة .

- الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، الباب : تولية الملهب لقتال الخوارج وأخباره معهم ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٥٧ .

* يوم الكلاب : يوم من أيام العرب - وهو ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة - .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ج ١ ، ص ٤١٠ .

الشاعر يفخر بأنهم قوم شجعان أولو بأس شديد إذ ترأسوا وتقدموا جموع
المحاربين على " جمل " عظيم قوي التحمل ووصفه بأنه طويل الذراع ، وأنه سريع
في الصحارى والقفار .

والنمر مع أنه أكثر من الوصف إلا أنه غير مطيل ، وأبياته فيه لا تتعدى الأربعة
أبيات خاصة في وصف الفرس والنوق .

وقال - في شناعة أشداق الجمل^١ - :

كم ضربة تحكي فاقراسية^{*} _____
من المصاعب^{*} في أشداقه شنع^{*}

فنراه هنا شبه الضربة بشدق البعير ووصفه بالقبح . و صدر البيت غير مستقيم ؛
ربما كان ذلك بعامل الزمن أو النقل الخاطئ

وقال النمر يصف جملاً^٢:

شديد وهص^{*} قليل الرهص^{*} معتدل بصفحتيه من الأنساع^{*} أُنْدَاب
من صوب سارية علّت بغادي^{*} _____
يكاد الصبح ينجابُ

^١ ديوان النمر ، ص ٨٠ .

* القراسية : الضخم الشديد من الإبل .

* المصاعب : جمع مصعب وهو الفحل .

* الشنع : القبح .

- الحيوان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانب بالولاء الليثي ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، دار
الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ ، الباب : ٧٥٩ " مميزات خلقية لبعض
الحيوان " ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٣٦ .

وصف الجمل في بيته الأول بأنه عظيم ، سريع ، وله ندوب على جسمه وهذا
لكثرة استعماله في كثير من المهام ، ولكن ليس له رابط بالبيت الثاني فربما هناك
أبيات مفقودة بينهما - والله أعلم - .

وقال حاتم^١ :

متى يأت يوماً وارثي يبتغي الغنى يجد جمع كف غير ملء
ولاصف _____ر

يجد فرساً مثل العنان وصارم _____اً حساماً
إذا ما هزّ لم يرض بالهـب _____ر

وأسمر خطياً كأن
كعوب _____

_____ه نوى القسب قد أرمى ذراعاً على العشر
وإني لأستحيي من الأرض أن أرى بها الناب تمشى في عشياتها
الغب _____ر

أجمل حاتم وصف الصورة التي تركها لوارثه وقال " جمع كف " ، ثم راح يفصل
في كونه يجد " فرساً وسيفاً .. " .

وفي قوله : (يجد .. صارم حساماً إذا ما هزّ لم يرض بالهبر) ، قوله : "
وأسمر خطياً كأن كعوبه ..) - راجع ص ٥٤ من الفخر الذاتي - .

^١ ديوان حاتم ، ص ٤٦ .

* الوهص : الوطاء . والرهبص : شدة العصر .

- لسان العرب ، لابن منظور ، فصل السنين المعجمة ، ج ٧ ، ص ١٧ .

* الأنساع : سيور واحدتها نسع يشد به الرجل . شرح ديوان المتنبي ، أبو البقاء عبد الله بن
الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ،
عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ج ١ ، ص ١٧ .

بعد قراءة الأبيات يظهر لنا الوصف الواضح ، والصورة الجلية ، والهدف الذي أراده حاتم من وصف جودة ما يتركه بالرغم من استخدامه لها طول فترة حياته ، وفي هذا قال النمر^١ :

أبقى الحوادث والأيام من نمر أسباد سيف اثره

ب_____

د

تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي

وقيل إن هذا من الإفراط والغلو ، وعند بعضهم مذموم إذا كان في هذا الحد ، وعند آخرين ممدوح ، يقول : إذا ضربت به قَطَعَ المضروب وتجاوزته حتى غاص في الأرض فاحتجت أن تحفر عنه فتستخرجه^٢ .

ولا أظن هذا مذموماً طالما " الإفراط ، والغلو " مسموح به في باب الشعر تأدية للمعاني ، وذهاباً بالصور أقصى مساحات الخيال . وإن لم يذهب حاتم هذا المذهب في وصفه إلا أنه وصف فأوفى ، ولم يختلف في قوله .

ومن قول النمر في الوصف أبيات متفرقة يقول في بعضها^٣:

بجرو يلقى في سقاء كأنه _____ من

الحنظل العامي جرو مفلق

^١ ديوان النمر ، ص ٥٨ .

^٢ ديوان المعاني ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكري ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ج ٢ ، ص ٥١ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٩٠ .

وقيل إن هذا البيت في وصف القطا - وروي هكذا^١ - :

تحير * وتلقي في سقاء *

كأنه _____ من الحنظل العامي * جرو *

مفلق

أي : أن القطا ترد وترجع حاملة " الماء " لصغارهم في فم كما الحنظل في صغره واستدارته - والله أعلم - .

وفي وصف النعاج يقول^٢ :

فترى النعاج بها تمشى خلفه مشي العباديين * في الأمواق *

^١ انظر الحيوان ، الجاحظ ، الباب : أجود قصيدة في القطا ، ج ٥ ، ص ٣٠٩ .

* تحير : ترد وترجع .

* السقاء : عنى بها حوصلتها تملؤها ماء لا رواء صغارها .

* العامي : اليابس أتى عليه عام .

* الجرو : الصغير من كل شيء .

- الحيوان ، الجاحظ ، هامش الصفحة السابقة ذاتها .

^٢ ديوان النمر ، ص ٩٣ ، وروي هكذا " فترى النعاج العفر تمشي خلفه ... " .

الفائق في غريب الحديث والأثر ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ ، الباب : حرف الميم - ج ٣ ص ٣٩٣ .

* العبادين قوم يقال لهم العباد وكانوا يقال لهم العبيد فانفوا وقالوا لسنا العبيد انما نحن العباد . المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، الباب : ضعف العقل ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

* الأمواق : ضرب من الخفاف . المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الباب : مقلوبه (م و ق) ، ج ٦ ، ص ٥٩٥ .

وصف مشي النعاج بمشي العباديين من الأنصار وهم ينتعلون الأمواق لعل
الشاعر أراد أن يصف ذلك الضرب من السير بالتمهل والأناة .

وقال^١ :

وبوارح* الأرواح كلّ عشية هيف* تروح وسيهك* تجري

وهنا يصف الريح في قوتها وشدتها واندفاعها وحرارتها وهذا البيت كسابقه ليس
له أخ .

وقال النمر^٢ :

فأصبحتُ والليلُ مستحكماً وأصبحت الأرض بحراً طماً

قيل : أصبحت من المصباح . وقيل : شبه البرق بالليل بالمصباح ، فيقول النمر :
شمت هذا البرق والليل مستحكماً ، فكأن البرق مصباح إذ المصابيح إنما توقد في الظلم
، وأحسن من هذا يكون البرق فرج له الظلمة حتى كأنه صبح فيكون أصبحت حينئذ
من الصباح . وقال ثعلب : معناه أصبحت فلم أشعر بالصبح من شدة الغيم^٣ ، وأتفق مع
رأي ثعلب ، لأن الإنسان يتحرك ويتفقد الأرض في صبيحة اليوم الممطر دائماً ومع
هذا الإصباح إلا أن السماء ما زالت مليئة بالغيوم الكثيفة المتراكمة والداكنة والتي
تحمل مزيداً من الأمطار التي لا طاقة للأرض بها .

وشبه النمر جمرة ابنة نوفل بالروضة الخضبة ثم وصف الروضة يقول في ذلك^٣

:

^١ ديوان النمر ، ص ٧٦ .

^٢ لسان العرب ، لابن منظور ، فصل الصاد ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .

^٣ ديوان النمر ، ص ١٢٦ - ١٢٨ .

* عزت : غلبت ، غلبت شبيهاً لها ، وهي فوق التشبيه .

* أرمام : جبل في ديار باهلة ، وقيل : أرمام : وادي في ديار بني أسد .

* الميثاء : هي الرملة السهلة ، والرابية الطيبة . * الهطل : الكثير الهطلان ، وهو تتابع القطر .

كأن جمرة أو عزت* لها شبها في العين يوم تلاقينا
بأرْم_____ام*

ميثاء* جاد عليها وابل هط_____ل* فأمرعت* لاحتيال* فرط
أعوام_____ام*

إذا يجف ثراها بلها
دي_____م من كوكب نزل*
بالماء سَج_____ام

لم يرعها أحد وارتبها* زمن_____ا فأو* من الأرض
محفوف بأعلام

تسمع للطير في حافاتها زجلا كأن أصواتها أصوات
ج_____رَّام*

كأن ريح خزامها* وحنونها_____ا بالليل ريح
يلنجوج* وأهض_____ام*

-
- * أمرعت : أمرعت الأرض إذا أعشبت
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي - تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، الباب: العين واللام مع النون ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
- * لاحتيال : أي بعد احتيال ، وهو مرور الأحوال .
* فرط أعوام : بعد أعوام . * نزل : ذو نزل ، كثير المطر .
* ارتبها : رعاها وأصلحه . * الفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال .
- البرصان والعرجان ، الجاحظ ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .
* جرام : الذين يصرمون التمر ، أي يقطعونه .
* الخزامى والحنوة : نباتان طيبا الرائحة .
* اليلنجوج : العود الهندي الذي يتبخر به .
* الأهضام : كل شيء يتبخر به غير العود اللبني .

وهنا تظهر رقعة " النمر " وسلاسته حينما وصف محبوبته بالجمال ، والنضارة ، والخفة ، والعفة ، والروعة ، والرقعة المتناهية لمّا شبهها بروضة بلدتها ، وأمعن في وصف الروضة وهذا جانب تفرد فيه النمر.

وقال النمر - فى تنمة الأبيات السابقة^١ - :

ومنهل* لاينام القوم حضرت هـ
ماؤه طام يـ

قد بت أحرصه وحدي ويمنع
صوت السباع به يضبحن والهـام

^١ ديوان النمر - ص ١٢٨ - ١٢٩ .

* المنهل : المورد ، حتى صارت منازل السفار على المياه منهل .. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، الباب : باب الها واللام والنون معها (ل ه ن) ، ج ٤ ، ص ٥١ .

* آجن : والآجن الماء المتغير .. غريب الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المحقق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد - العراق ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ ، الباب : حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

* وجناء : الوجين الغلط من الأرض ، وناقاة وجناء . جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن حسن بن دريد الأزدي ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، الباب : جهواي ، ج ٢ ، ص ١٠٤٦ .

* مجذام : سريع . الأمالي ، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد المبارك اليزيدي ، مطبعة
جمعية دائرة المعارف ، حيدر آباد - الدكن ، الهند ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ - ١٩٣٨م ، الباب : ولا حول
ولا قوة إلا بالله ، ج ١ ، ص ١٩ .

* الصُّفَّة : من أدم كالسفرة لأهل البادية يجعلون فيها زادهم ، وربما استقوا به الماء كالدلو .
المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الباب : مقلوبه (ص ف ن)
، ج ٨ ص ٣٣٨ .

ما كان إلا اطلاعي في مدالجـه ثم انصرافي إلى وجناء*
مـجـذام*

أفرغت في حوضها صفناً* لتشربه في دائر خلق الأعضاء
أهـدـام

فعافت الماء واستافت* بمشفرهـا ثم استمرت سواه
طرفها سـام

صدت كما صد عما لا يحل لـه ساقى نصارى قبيل
الصـبح صـوام

أرمي بها بلداً ترميه عن
بلـد حتى أنيخت على أحواض
ضرسام*

وبعد تلك المقدمة الوصفية السابقة راح واصفا الحوض الذي وقف للشرب فيه ،
فقال : هو حوض ذو ماء آجن متسخ غير صالح للشرب ، في منطقة موحشة ومسكن
للسباع وغيرها .. فلم يمكث عنده طويلاً وامتنى إليه التي عافت ذلك الماء ، وقال :
صدت كما يصد صائم النصارى - وأظنه قالها قبل الرسالة الإسلامية - ، وصبرا
على العطش إلى أن وصلا ماءً يدعى " ضرسام " ، فشربا من مائه نهلاً وعللاً .

وشبهها النمر بالروضة مرة أخرى قائلاً^١ :

صرمتك* جمرة واستبد بداره_____ وعدت عوادي الحرب

دون مزارها

زبنتك* أركان العدو فأصبحت أجأ وجبة من قرار

دياره_____

وكانها دقري* تخيل نبتة_____

أنف يغمُ الضال* نبت بحاره_____

عزبت* وباكرها السمي* بديمة* وطفاء* تملأها إلى

أصباره_____*

وكان أنماط* المداين وسطها_____ من نور حنوتها ومن

جرجاره_____

^١ ديوان النمر ، ص ٦٨ .

* استاف : شم ، يقال ساف يسوف سوفاً ، إذا شمَّ .

- لسان العرب ، لابن منظور ، فصل السين المهملة ، ج ٩ ، ص ١٦٥ .

* صرمتك : قطعتك . * زبنتك : دفعتك .

* دقري : اسم روضة . * أنف : التي لم تُرع .

* الضال : السدر . * عزبت : العازب الذي لا يرعاه أحد .

* السمي : المطر . * الديمة : مطر يكون مع السكون لا رعد فيه ولا برق .

* وطفاء : الديمة . * الأصبار : النواحي والجوانب ، وأراد أعاليها وجوانبها .

* الأنماط : ضرب من البسط له خمل رقيق .

* عيناء : واسعة العينين مع حسن الحدقة ، يعني البقر الوحشي .

* الجؤذر : ولد البقر الوحشي . * خذلت : تخلفت عن الظباء .

* الصوار : القطيع من الغنم . * خرق : يعني الجؤيزر .

ولقد لهوت بطفلة

ميال_____ة بلهاء تطلعي

على أسرارها_____ا

عبق الممسك والعبير بجيبه_____ا وكان نضخ دم على

أظفارها_____ا

وكانها عيناء* أم جؤي_____ذر*

خذلت* له بالرمل خلف صوارها_____ا*

خرق* إذا ما نام طافت حوله_____ا طوف الكعاب على جنوب

دوارها*

بأغن* طفل لاتصاحب غيـره_____ا فله عفافه* درها

وغرارها_____ا*

وسبق أن قلنا بأن النمر لم يستطع نسيانها فها هو ذا يبكي ، ويألم لفراقها ساخطاً على الحرب التي منعه منها ، وشبهها بالروضة اليانعة ، النضرة ، المورقة الأشجار ، المترامية الظلال ، روضة بريّة لم ترعها يدُ البريّة ، متنوعة النباتات والأزهار ثم قال : " إنها في براءتها ورقتها وسذاجتها طفلة تطلعي على مابداخلها ولا تتنقى كلامها أبداً ، وقال إنها ذات رائحة عطرة تنفح منها كأنها المسك والعبير ، وهذه الرائحة قد تكون طبيعية نتيجة حبه لها ، وربما صناعية مجتلبة " .

وأثانا بصورة الجؤيزر فشبه حبه لها وتعلقه بها واهتمامه بها بتلك العيناء التي ترعى ابنها ، وتراقبه وتتخلف عن القطيع من أجله فإن نام طافت حوله وحفّته بالاهتمام والرعاية خوفاً عليه ، فهي تصحبه معها دائماً ولا تفارقه ، وهذه صورته مع

* أغن : في صوته غنه .

* الدوار : صنم تدور حوله العرب .

* الغرار : ارتفاع اللبن بعد الدرة .

* العفافة : ما كان في الضرع من لبن .

والنمر - كما ذكرنا - كثير الوصف ، ودائماً يتناول الطبيعة في وصفه ومن ذلك أبيات - في الحكمة ، في قصة الوعل - فقال في أولها :

بِإِسْبِيلَ أَلْقَتْ بِهِ أُمُّهُ
عَلَى رَأْسِ ذِي حَبْكٍ أُيْهِمَا

يكون لأعدائه مجه _____ مضلا
وكانت له معلم _____

أَتَاحَ لَهُ الدَّهْرَ ذَا وَفَضْلَهُ
يَقْلَبُ فِي كَفِّهِ

^١ ديوان النمر ، ص ١١٨ - ١٢١.

فأرسل سهما له أهز ع_____ا
فشاك نواهقه
والفم_____ا

فريغ الغرار على ق_____درة
وما كان
يرهب أن يكلم_____ا

فضل يشب كأن ال_____و_____و
ع كان
بصحبتة مغرم_____ا

أتى حصنه ما أتى تبع_____ا
وأبرهة الملك
الأعظم_____ا

لقيم بن لقمان من أخت_____ه
فكان ابن أخت له
وابنم_____ا

ليالي حمق فاستحصنت
إليه فغر بها
مظلم_____ا

فأحبها رجل

ناب_____ه
فجاءت به رجلا محكم_____ا

بدأ في سرد قصة " الوعل " الذي ذهبت به أمه بعيداً عن الصيادين ، ولكن رمقته
عين أحدهم فأصابه بسهمه ، فظل ينزو في السماء حين أصابه السهم ، والولوع : اسم
من أسماء الدهر ، أي كأن الدهر كان مغرماً به ، ولكن الموت أتى حصنه كما هو
حال السابقين ، أمثال " تبع " و " أبرهة " ، وتمثل بقصة " لقيم بن لقمان " الذي حمق
كما حمقت أم ذاك الوعل ، فراح " الوعل " ضحية ، ولكن ليس هذا إلا قدراً مسطوراً

ونجده كثيراً ما يتمثل بالقصص القديم مستصحباً ما به من عبر ، ودروس وذلك أيضاً في قصة آل عادياء^٢ :

وفاتهم عنز عشية أنست من بعد مرأى في الفضاء ومسمع

أَلْت * عليها ديمة بعد واب_____ ل
جوخ * السيول وجيب *

- ديوان النمر ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

وهذا بيت واحد إلا أنه صورة مترعة بالحركة تكاد تسمع لها جوحاً ، وخريراً ،
واندفاعاً ، وتراجعاً .

ومما نسب إليه في ذكر النخل :

ضربن العرق* في ينبوع عين طلبن معينة* حتى ارتوينا

بنات الدهر لا يخشين محـ _____
إذا لم تبق سائمة _____ بقينا *

كأن فروعهن بكل ريح
عذارى بالذوائب ينتصين^{*}

يصف نخلاً نابتاً في ينبوع من الماء ، وقال حتى إذا أجذب المكان لن يصير معه مكروه ، فهو قادر على المحل والعطش ، وراح يصف فروعه ويمتدح قربها من بعضها ، وشبهها بالذوائب ولكن هذا من الخطأ ، وعدم العلم بالنخل فإذا تباعد كان أجود^٢ .

^١ ديوان النمر ، ص ١٤٣ .

² الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، الباب : ١٥٥ ، المزار العدوي ، ج ٢ ، ص ٦٨٧ .

ونسب إليه في وصف أصحاب النبيذ^١:

لايعتري شربنا اللـ_____اء* وقد توهب
فينا القيان* والحلل

وفتية كالسيوف أحضره_____م
لاحصر* فيهم ولا بخ_____ل

بيض* مساميح في الشتاء وإن أخلف نجم عن وبله وبلوا

لا يتأرون* في المضيق_____ق وإن نادى منادٍ أن
انزلوا نزلوا_____وا

يفخر بأنهم قوم شرفاء الألسن ، والأحساب ، والأنساب ، حسنو المعشر ،
معطؤون لايهمهم المال .. حتى في أحلك الأوقات ، وأعصبها وأن مجالسهم مجالس
أنس وحلم وسكون لا سباب فيها ، ولا شتم ، ويعين بعضهم بعضاً ، وينصره .

^١ ديوان النمر ، ص ١٤٦ .

* ينتصينا : أراد أن سعف النخلة تتال سعف الأخرى من قرب بعضها من بعض . وقال
الأصمعي " إذا تباعد النخل بعضهن عن بعض كان أجود له ، وأصح لثمره .

* اللحاء : السباب . * القيان : جمع قينة : وهي الجارية المغنية .

* الحلل : جمع حلة. أراد انهم قوم لا يعترهم النزاع ، وقد يجود الواحد منهم بالقينة والحلة ، أراد
عزتهم وكرمهم . * الحصر : البخل .

* البيض جمع أبيض وهو الرجل النقي من العيوب ؛ أراد أحسابهم . *تأرى بالمكان : إذا تحبس ،
يقول : لا يجمعون الطعام في الضيقة .

- ديوان النمر ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

وصف الشيب وبكاء الشباب :

وقلنا : إن النمر كان رجلاً حكيماً معمرًا ، تغنى بكل مراحل عمره ووصف كثيراً مما اعتراه قصداً أو غير قصد فنراه هنا يصف شعوره تجاه الشيب وعتابه لجمرة قائلاً^١ :

تصابى وأمسى علاه الكبر وأمسى لجمرة حبل غرر

وشاب ولا مرحباً بالبيـ

ض من غائب ينتظـ

والنمر في بداية المرحلة الثانية من شبابه ، ولنقل في شباب شيخوخته ساخطاً على الشيب لأنه منتقل إلى مرحلة جديدة ستحرمه الكثير ، متحسراً على ما مضى قائلاً^٢ :

لقد أصبح البيض الغواني كأنما يرين إذا ماكنت فيهن

أجربـ

وكنت إذا لاقيتهن

ببـ

النكراء أهلاً ومرحباً

فقوله^٣ : " على النكراء " تتميم ، ولو كانت بينه وبينهن معرفة لم ينكر له منهن أهلاً ومرحباً .

^١ ديوان النمر ، ص ٦٣ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٣٨ .

^٣ الصنائعيتين ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق : علي أحمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ ، الباب : مثاله ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

وقال :

لعمري لقد أنكرت نفسي ورايتني
خلائق منها لم تكن من شمائي

مطاوعتي من كنت لست أطيع _____ وإنّي
أرى بئى عن اللهو شاغلي

وبدل رأسى الشيب بعد

شغل وأقصر باطلی

وأصبحت قد أعرضن عني وسؤنني وأخلفني عهد الخليل
المماط

ألا إن شيب الرأس ليس

بآف_____ة
الحواهل_____ل

يتعجب مما أصابه من كبر وعجز ، مما جعله شخصاً غير مرغوب من النساء ، لا يوليه إهتماماً أبداً ، ولهذا جاء نعتة لهن بالجهل حرقه ، وغَضَباً من فعالهن .. وتظاهر بأن الشيب ليس بالعيب ، وماهو بالشيء السيء إلا عند النساء الجواهر ، اللاتي لا يعين ولا يُمَيِّزْنَ . وقال ٢ :

وأودى الشباب وحب الخالة الخلية وقد برئت فما بالصدر من قلبه

^١ ديوان النمر ، ص ١٠٩ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٣٩ .

وقال^١ - واصفاً ما وصل إليه من وهن وضعف - :

لعمري لقد أنكرت نفسي ورايتني مع الشيب
أبدالي التي أتتني دلي

فصول أراها في أديمي بعدم_____

يكون كفاف اللحم أو هو أفض_____ل

كأن محطا من يدي حارثي
صناع علت مني به الجلد من عل

وقولي إذا غاب يوما بعيره _____ م
تلاقونه حتى يعود

المند

فِيضْحِي غَرِيْبًا غَيْرِ ذَاهِبٍ غَرِيْبَةً وَأَرْسِلْ إِيْمَانِي وَلَا

أنت

الـ

وظلعي ولم أكسر وإن طعینت _____ تلف بنیها
فی البجاد وأع _____ زل

ودھری فیکفینی القلیل

وإنني أتعدُّ

أؤوب إذا ما شئت لا

وكنْتَ صَفَى النَّفْسِ لَا شَيْءَ دُونَهُ فَقَدْ صَرْتَ مِنْ إِقْصَا حَبِيبِي أَذْهَلَ

^١ السابق نفسه ، ص ٩٨ - ١٠١ .

وبطئ عن الداعي فلست بآخِ ذ _____
إليه سلاحي مثل
ما كنت أفعل _____ ل

تدارك ما بعد الشباب وقبل _____ ه
حوادث أيام تمر
وأغف _____ ل

يود الفتى بعد اعتدال وصحة _____
ينوء إذا رام القيام
ويحم _____ ل

يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة
يفعل _____ ل

دعاني العذاري عمهن وخلتني _____ لي
اسم فلا أدعى به
وهو _____ أول

وقد كنت لا تشوي سهامى رمية فقد جعلت تشوي سهامى وتتصل

قال إنه كبر وبدل بعد الشباب ، والنضار ، والنشاط ، عجزاً ووهناً ، وشيئاً ..
وفي البيتين " الرابع ، والخامس " يريد أنه خرف وصار رأيه مجاناً الصحة ، أو أظنه
يقصد أن نظره ضعف ، وصار يقنع بالقليل ، ولا يكثر من الشكوى والتمارض .. ومع
صبره هذا إلا أنه معزول مُبعد ولا ذنب له غير الكبر !! .

وقال : " إن الإنسان بعد اعتدال قامته وصحته في زمن الشباب ، تكون غاية
أمنيته في الشيخوخة أن يقدر على القيام ولو بمشقة " .

والمراد بالعذاري : الأ Bakar ، فهن لا ينادينه باسمه ، فهو في مقام آبائهن ، وهذا
لا يعجبه ، ويصيبه بالإحباط ، واليأس ، وصار يخطئ كل هدف من النظر والارتعاش
أو غيرهما من آثار الكبر ، وعوامل العجز .

ومما نسب إليه :

كانت قناتي لا تلتين لغامــــــــــــــز
والمساء

فألانها الإصباح

ودعوت ربي بالسلامة جاهد ليصحنى فإذا السلامة داء

يفخر بأنه كان رجلاً جسوراً إلا أن الأيام أبدلت قوته سقماً ، وصحته ألماً ، وأن
الزيادة في العمر لم تزده إلا مرضاً ووهناً ورهقاً .

ومما عرضنا له خلال دراستنا لديوان النمر ، وغوصنا في صورهِ الشعرية ،
نصل إلى الآتي :

عاش النمر في مناطق خصب وزرع وخضرة ، رأينا أثرها في إثراء أبياتهِ بالصور الساكنة ، والمتحركة التي لحظها من الطبيعة ، فانعكس هذا في الاستقرار الذهني والنفسي والذي يمكننا أن نقول فيه : إنه أخرج صوراً طبيعية متكاملة ، وممكنه من توصيل كل ما اعتراه في أشكال وقوالب مختلفة ، كأنما عاش لإيصالها " حكماً ووصايا وصوراً " عليها توضح الصور أو تقربها .

أما حاتم فله من الصور ما حكمنا عليه فيها بالجودة ، والقصد ، إلا أنه لم يصل إلى ما وصل إليه النمر بن تولب العُكَلِيّ .

'ديوان النمر'، ص ١٤١ .

الباب الثاني

﴿ الدراسة الفنية ﴾

- الفصل الأول : الموسيقى
- الفصل الثاني : الصورة الشعرية
- الفصل الثالث : بناء القصيدة
- الفصل الرابع : اللغة والمعجم الشعري

الفصل الأول

الموسيقى

المبحث الأول - الموسيقى الخارجية

أ: الأوزان :

الخليل بن أحمد " هو الذي اخترع علم الموسيقى العربية ، وصنفها أنغاماً ، وحين تخمّرت في رأسه هذه الأنغام حبس نفسه في بيته أياماً وليالي كان يستعرض فيها ما روي من أشعار العرب ، ثم خرج على الناس بقواعد مضبوطة ، وأصول محكمة سمّاها علم العروض كان له ولد " جلف " فدخل على أبيه يوماً فوجده يقطع بيت شعر بأوزان العروض فخرج إلى الناس وقال : إن أبي قد جنّ . فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه . فقال - مخاطباً له^١ - :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أعلم ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني _____
_____ فعذرتك

وعلم العروض هو علم يعرف به صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها ، وما يعتريها من الزحافات والعلل^٢.

^١ المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر ، عدنان حقي ، دار الرشيد ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٨.

- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، أحمد الهاشمي ، تحقيق : حسين عبد الجليل يوسف - مكتبة الداب (علي حسن) ، القاهرة - مصر ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م ، ص ٦ .

^٢ موسيقى الشعر العربي قديمة وحديثة ، عبد الرضا علي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، عمان - الأردن ، ص ١٥ .

والعروض لغوياً على مسميات عدة نجملها فيما يلي^١:

العروض - في اللغة - الناحية أو الطريق الصعبة .

والعروض : السحاب الرقيق ، أو الناقة الصعبة .

والعروض : الخشبة المعترضة وسط البيت من الشعر ونحوه .

والعروض : من أسماء مكة المكرمة ويقال إن الخليل سمّاه " عروضاً " تيمناً بها ، ويقال : إنه ابتكره فيها .

ولعلم العروض قواعد وقوانين تمكن الدارس من الإلمام بكل نواحي الشعر ، ومن ثم معرفة البحور أو القوالب الصحيحة السليمة والتي بها يبتعد عن اللحن والغلط .

وتتكون البحور العروضية من تفعيلات ، والتفعيلة هي وحدة صوتية موسيقية لا يدخل في حسابها نهاية الكلمات إذ هي تنتهي أحياناً في آخر الكلمة وأحياناً في وسطها^٢ فالبيت من الشعر يقسم إلى وحدات صوتية معينة أو إلى مقاطع صوتية تعرف بالتفاعيل بقطع النظر عن بداية الكلمات ونهايتها^٣ كما في قول حاتم^٤ :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديبٌ

أضاح ك ضيفي

ق _____ ب ل إنزا

ل رحله _____ ه

^١ العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه ، فوزي سعد عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، مكتبة الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٨م ، ص ١٥ .

^٢ العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه ، فوزي سعد عيسى ، ص ١٢ .

^٣ علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ١٢ .

^٤ ديوان حاتم ، شرح وتحقيق عباس إبراهيم ، ص ١٥ .

فُعُولُ

مَفَاعِيْأُ

فَعُوْلُنْ

نْ

نْ

مَفَاعِأُ

ويخصب

عن

ول محلل

دي

و

جديد

فُعُولُ

مَفَاعِيْأُ

فَعُوْلُنْ

نْ

ي

مَفَاعِأُ

والشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء هي : اللفظ والوزن والمعنى والقافية .
الشيء الأول منها الوزن وهو من أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية ، وهو
يشتمل على القافية ، وجالب لها ضرورة إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيبا في
التقفية لا في الوزن^١ .

والوزن هو : الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري
كتابة عروضية ، أو هو الموسيقى الداخلية المتولدة من الحركات والسكنات في البيت
الشعري . والوزن هو القياس الذي يتعمده الشعراء في تأليف أبياتهم ومقطوعاتهم
وقصائدهم^٢ .

^١ العمدة ، ابن رشيق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الباب : الاستعارة ، ج ١ ، ص ١١٩ .

^٢ المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، إميل بديع يعقوب ، ط ١ ، ١٤١ هـ - ١٩٩١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - ص ٤٥٨ .

2.1

فعلون مفاعيلن فعلون مفاعل_____ن
مفاعيلن

هذا قليل من كثير عند حاتم فهو نظم حوالي أربعاً وثلاثين من اثنتين وخمسين قصيدة في الطويل وهذا ليس غريباً إذ إن أغلب موضوعاته دارت حول الفخر والحماسة وقيل¹ : (العرب القدماء من أطول الأمم نفساً في الشعر لذلك نظموا أغلب أشعارهم في الطويل والبسيط) .

هذا شيء والآخر أن لكل موضوعاته التي تشده وتؤثر عليه ويؤثر بها أي لكل شاعر موضوعاته ، ولكل قوالبه التي يصبو لها ، ويصب عليها ، وقيل^٢ : (إن أغلب الموضوعات التي نظم فيها الشعر الجاهلي رأيناها لا تخرج عن الفخر والحماسة والمدح بما في ذلك الرثاء .. وحماسة الجاهليين وفخرهم كان من النوع الهادي الرزين الذي يتطلب التأني والتؤدة . ولذلك جاعنا في قصائد طويلة وأوزان كثيرة المقاطع ..)

وهذا يعنى أن هناك ربطاً بين الغرض الشعري والبحر المستعمل فيه وأشار إلى ذلك عبد الله الطيب قائلاً^٣ : (.. لو تأمل الناقد ودقق وتعمّق باختلاف البحور نفسه معناه أن أغراضاً مختلفة دعت إلى ذلك وإلا فقد كان أغنى بحر واحد ووزن واحد وهل يتصور في المعقول أن يصلح بحر الطويل الأول للشعر المعبر عن الرقص والنقز والخفة ..) .

والإعتقاد أن هناك تناسب بين حالة الشاعر النفسية " ومستواها ودرجاتها وشدة انفعالها " . وبين البحر المعين . فربما كتب قصيدة في حالة حزن و أسى شديدين وربما كتبها في حالة استدعاء الحزن والأسى والبون بعيد جداً ، ففي الحالة الأولى :

^١ موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٥٢م ، ص ١٧٤

^٢ السابق نفسه ، ص ١٧٥ .

^٣ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، ط ٣ ، الكويت ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٩٣ - ٩٤ .

إحساس عميق ، وشعور طبعي ، فيكون الشاعر في ذروة الاندفاع والتعبير ، ولا مجال لتؤدة ولا استمهال ، فيخرج في بحور قصيرة خفيفة - كما قيل - تناسب الحالة ليس الغرض . أما في الحالة الثانية : فمع الحزن وتوفر الشعور حتماً إلا أن الشعور يكون تطبيعاً بعض الشيء ، وهذا ينعكس على الإندفاع والتدفق فيكون الشاعر مستمهلاً يستدعي ملكته وينتقي كلماته وأبحره ، وإن كان ما سبق تفسيره لحالة الشاعر النفسية عامة ، وما يلزمها إلا أننا نقول : إن الشاعر مزاجي من الدرجة الأولى في أغلب حالاته وليس بعيداً أن يطرب ويقصر إن كان في الحالة الأولى - حالة الحزن والاندفاع - ، ويبطئ ويطول إن طرأت عليه الحالة الثانية والعكس .

وها هو ذا النمر بن تولب حين قيل له : كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فقال -
ارتجالاً على البديهة -^١ :

أصبحت لا يحمل بعضي بعضا

أشكو العروق النابيات نبضاً

كما تشكّي الأرحبي الغرض

كأنما كان شبابي

قرض

فهل بلغ الكبر في ليلة وضحاها ؟ لا .. إلا أن السؤال أثار كوامن أحاسيسه ، ولامس أوتار مشاعره فاندفق دفقة في " مشطور الرجز " إذن حالة الشاعر النفسية والشعورية هما اللتان تحددان ما يكتب فيه .

فالشعرُ يوازن شعور الشاعر من فرح أو حزن فيتنزن ذلك الشعور ومن ثم التعبير .

^١ ديوان النمر ، ص ٧٩ .

ومن أمثلة بحر الطويل في شعر حاتم قوله^١ :

ولست إذا ما أحدث الدهر نكبة بأخضع ولاج بيوت
الأقرب _____

إذا أوطن القوم البيوت وجدتهم عماء عن الأخبار خرق المكاسب

وشر الصعاليك الذي هم نفسه حديث الغواني واتباع
الم _____

وقال^٢ :

نعما محل الضيف لو تعلمينه بليل إذا ما استشرفته النوايح

تقصي إلي الحي إما دلالة _____ علي وإما قاده لي
ناصر _____

وقال^٣ :

أما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم

ومن أكثر البحور استعمالاً عند النمر الطويل ولكن حاتماً أكثر منه إذ له أربع
عشرة من خمس وخمسين قصيدة في الطويل، إذن اعتمد حاتم على الطويل أكثر من
غيره وموضوعاته تتيح له ذلك إذ لم تخرج عن الفخر إلا قليلاً ومما قاله في الطويل^٤
:

أشأقتك أطلال دوارس من دعد خلاء مغانيها كحاشية
الب _____

^١ ديوان حاتم ، ص ٣٠ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٣٣ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٨٦ .

^٤ ديوان النمر ، ص ٥٦ .

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا كبدا مما لقيت على
دعد

ويقول^١ :

لقد أصبح البيض الغواني كأنما يرين إذا ما كنت فيهن
أجرب

وكننت إذا لاقيتهن

ببأ

يقلن على النكراء أهلاً ومرحباً

ولست بشيخ قد توجه دالـف ولكن فتى
من صالح القوم عقبا

إذن بحر الطويل بحر واسع ، ومما يدلك على سعته أنه يتقبل من الشعر ضرباً
عدة كاد ينفرد بها عن البسيط .

" وأخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبتاره ، ومن رقة الرمل دون لينه المفرط
، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه ، وسلم من جلبة الكامل ، وكزارة
الرجز ، وأفاده الطول أبهة وجلالة فهو البحر المعتدل حقاً . ونغمه من اللطف بحيث
يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به . وتجد دندنته مع الكلام المصوغ فيها بمنزلة
الإطار الجميل من الصورة ، يزينها ولا يشغل الناظر عن حسناتها شيئاً "^٢ .

وقيل : " إنه ليس بين بحور الشعر بحر يضارع الطويل في نسبة شيوعه فقد جاء
ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن "^٣ .

^١ ديوان النمر ، ص ٣٨ .

^٢ المرشد ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، ص ٤٣٣ (بتصرف) .

^٣ موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ط ٢ ، ١٩٥٢ م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٥٧ .

ثانياً: بحر المديد :

سمي مديداً لأن الأسباب امتدت في أجزائه السباعية ، فصار أحدهما في أول الجزء والآخر في آخره . فلما امتدت الأسباب في أجزائه سمي " مديداً " وهو على ستة أجزاء^١ :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

وقيل إنه وزن شجي فيه تكسر وميل إلى القصر ، ولا يلائم العنف والقوة في مثل قول الشاعر^٢ :

وإذا مج القنا علقنا _____ وتراءى الموت في

صوره

قام في ثنبي مفاضته أسد يدمي شبا

ظف _____ ره

وإنما يناسب نحو كلمته :

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

سنة العشاق واح _____ دة فإذا أحببت

فاستك _____ ن

ومثاله قول النمر^٣ :

بكرت باللوم تلحان _____ في بعير ضلّ

أوحان _____

^١ الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ٣١ .

^٢ المرشد ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٧ (بتصرف) .

^٣ ديوان النمر ، ص ١٣٥ .

ولا تقولي لمال كنت مهلك _____ مهلا وإن

كنت أعطي الجن والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله

سب _____ لا

وقوله^١ :

يا مال! إحدى صروف الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها

بن _____ زاح

يا مال! جاءت حياض الم _____ وت واردة من

بين غمر فخضناه وضحضاح

ومنه قول النمر^٢ :

أودي الشباب وحب الخالة خلبة وقد برئتُ فما بالصدر من

قلب _____ ه

أنياي

تتلم

وقد

وأدركنا _____ ي قرن

علي شديد فاحش الغلب _____ ه

وقد رمى بسراه الدهر معتم _____ دا في المنكبين وفي الساقين

والرقبه

^١ السابق نفسه ، ص ٣٣ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٣٩ - ٤٠ .

وقول حاتم :

يا مال إحدى صروف الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها
بنـ _____ زاح

وقول حاتم^٢ :

الأسبيل إلى ماء

يعارض _____ كما
يعارض ماء الأبطح الج_____اري

^۱ دیوان حاتم ، ص ۳۳ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٥٩ .

رابعاً : بحر الوافر :

سمي الوافر وافراً لتوفر حركاته ، لأنه ليس في الأجزاء أكثر حركات من "مفاعلتن" ومايفك منه وهو " متفاعلن " وقيل سمي وافراً لوفور أجزائه . وهو على ستة أجزاء^١ :

مفاعلتين مفاعلتين مفاعلتين مفاعلتين مفاعلتين

و مثاله قول النمر^٢ :

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا لَحْمِي بَرَبٌ وَلَا لَبْنِي عَلِيٌّ وَلَا

سَلَاءٌ

(وفي الوافر تدفق استمدته من أصله " بحر المتقارب " ، إلا أن نغمه ينبتر في آخر كل شطر ، وهذا الإنباتار شديد المفاجأة ، وله أثر عظيم جدا في نغمة الوافر - إذ يكسبها رنة قوية ليست في المتقارب -)^٣ .

وحقيقة الأمر أن الوافر بحر مسرع النغمات متلاحقها ، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق ، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعا دفعا كأنه يخرجها من مضخة . لا في انثيال كما يفعل صاحب المتقارب ، ولا في رشاقة كما يفعل صاحب الكامل .

والوافر في نظم الشعراء ذو أساليب تغلب عليها الخطابة ، وأحسن ما يصلح هذا البحر في الإستعطاف ، والبكائيات ، وإظهار الغضب في معرض الهجاء ، والفخر والتفخيم في معرض المدح . ومن هذا قول حاتم :

وما من شيمة شتم ابن عمي وما أنا مخلف من يرتجيني

^١ الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ٥١ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٣٥ .

^٣ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٦-٤٠٧ .

^٤ ديوان حاتم ، ص ٩٠ - ٩١ .

سأمنحه على العلات حتى _____
أرى ملوي أن لا
يشتكين _____

وكلمة حاسد في غير جرم سمعت وقلت مري فانقذيني
وعابوها علي ولم تعبن _____
يوما جبين _____

وذي الوجهين يلقاني طليقا وليس إذا تغيب
يأتسين _____

نظرت بعينه فكففت عن _____
محافظة على حسبي
وديني _____

فلوميني إذا لم أقر ضيفياً وأكرم مكرمي وأهن
مهين _____

وهنا يفخر حاتم بأخلاقه الفاضلة كـ " عفة اللسان ، والوفاء ، والعطاء ، والحلم ،
والحكمة ، والشجاعة " في قالب وافر مليء بالنغم ، والجرس العذب .

خامساً : بحر الكامل :

سمي كاملاً لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة ليس في الشعر شيء له ثلاثون
حركة غيره وهو على ستة أجزاء^١ :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

كقول حاتم^٢ :

ولقد بغى بجلاد أوس قومه ذلاً وقد علمت بذلك سنبسُ

^١ الكافي في العروض والقوافي ، القزويني ، ص ٥٨ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٦٥ .

وقوله^١ :

إن كنت كارهة معيشتي _____
هاتي فحلي في بني
بدر

جاورتهم زمن الفساد فنعم الحي في العوصاء واليسر

ويقول النمر^٢ :

صرمتك جمرة واستبدت بدارها وعدت عوادي الحرب دون
مزارها _____

ويقول أيضاً^٣ :

بين البدي وبين برقة ضاحك غوث اللهيف وفارس
مقام _____

ومقابر بين الرسيس وعاق _____
كرام _____

سادساً : بحر الرجز :

سمي رجزاً لأنه مأخوذ من قولهم : " ناقة رجزاء " إذا ارتعشت عند قيامها
لضعف يلحقها أو داء فلما كان هذا الوزن فيه اضطراب سمي " رجزاً " تشبيهاً بذلك^٤ .
وسبب اضطرابه جواز حذف حرفين من كل تفعيل من تفعيلاته وكثرة اصابته

^١ السابق نفسه ، ص ٥٤ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٦٧ .

^٣ السابق نفسه ، ص ١١١ .

^٤ الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ٧٧ (بتصرف) .

وقيل سمي بذلك لأن الشائع منه المشطور ذو الثلاثة أجزاء ، فهو بهذا شبيه بالراجز من الإبل وهو ما شُدَّ إحدى يديه وبقي قائماً على ثلاث قوائم^١ .

أجزاء الرجز ستة وهي^٢ :

وأمثله قليلة عند النمر أما حاتم فلم يرجز في شعره . ومثاله عند النمر^٣ :

خ

۲۱۳

الله من آياته هذا

القم

ر

والشمس والشعرى وآيات أخ

وقوله - أيضاً -^١ :

أصبحتُ لا يحمل بعضي بعضا

أشكو العروق النابيات

نبض

كما تشكى الأرحبي

الغرض

كأنما كان شبابي

فرض

وكانوا يكثرون منه في المبارزات ، والخصومات ، والحداء وهلمَّ جرًّا ،
والإيجاز أحسن في كل هذه المقامات من الإطناب .

^١ السابق نفسه ، ص ٧٩ .

سابعاً : بحر السريع :

سمي بالسريع لسرعة النطق به وهذه السرعة متأثرة من كثرة الأسباب الخفيفة ،
والأسباب أسرع من الأوتاد في النطق بها .

ووزنه^۲ :

مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات

لم ينظم النمر في السريع ومثاله قول حاتم^٣ :

أوقد فإنَّ الليلَ ليلٌ قـــــــر

ريح ص ر

" والناظم فيه يحتاج إلى البطء والتأني وقد يوقعه هذا في التكلف والتعثر إن لم يلائم بين أغراضه ونغماته ، ولعل هذا الوزن في أولياته عدل به عن الرجز ليناسب الحداء بالإبل المحملة وهي تهبع بأعناقها في الصحارى الأمازيغية .. " .

ولذلك لم ينظم فيه حاتم سوى مقطوعة واحدة ، ولم ينظم فيه النمر ألبتة .

^١ المرشد الوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، ص ٨٨ .

^٢ القواعد العروضية ، محمد بن فلاح المطيري ، ص ٦٧ .

^۳ دیوان حاتم ، ص ۵۹ .

ثامنا: بحر المنسرح :

سمى بالمنسرح لانسراحه أي لسهولة على اللسان ووزنه^١ :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن

وإذا بحثت في الشعر الجاهلي لم تجد المنسرحيات فيه تخرج عن أحد الغرضين :

الرياء المراد به النوح ، والنقائص .

والرثاء إذا أُريدَ به النوح حوى عنصراً قوياً من التأثُّت واللين ، وكيف لا والنوح إنما كانت تقوم به النساء ولا شكَّ أنَّهنَّ كنَّ يتخذنَّ منه معرضاً للفتنة والتبرج ، ويقول الشاعر في هذا :

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهـار

يُجِدُّ النِّسَاءَ حَوَاسِرَ يُنْدِبْنَهُ
بِالْأَسْحَارِ يَلْطَمْنَ أَوَّجَهُنَّ

قد كن يخبأن الوجوه تستهــــــــــــرا
فاليوم حين برزن

للنظر

وكان الحظ فيه للنمر الذي قال فيه ٢ :

لايعتري شربنا اللحاء وق_____ د
القيان و الحُلل

وفتية كالسيوف أحض _____ رهم لا حصر
فيهم ولا بخ _____ ل

بيض مساميح في الشتاء وإن أخلف نجم عن وبله وبلوا

^١ المرشد الوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، ص ٩٤ .

^٢ ديوان النمر ، ص ١٤٦ .

لا يتأرون في المضيق وإن نادى منادٍ أن انزلوا
نزلوا

تاسعاً : بحر الخفيف :

سمي خفيفاً لأن الوند المفروق اتصلت حركته الأخيرة بحركات الأسباب فخفت ،
وقيل : سمي خفيفاً لخفته في الذوق والتقطيع لأنه يتوالى فيه لفظ ثلاثة أسباب والأسباب
أخف من الأوتاد ، وهو على ستة أجزاء^١ :

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

" واختلفت أغراض هذا البحر بين طرفي الغزل والحماسة ، والمديح ، والهجاء ،
والرثاء ، والفخر ومع هذا فقد كان ذا طابع واحد في جميع هذا ، من وضوح النغم
واعتداله بحيث لا يبلغ حدّ اللين ، ولا حدّ العنف ولكن يأخذ من كل بنصيب " .

ومثاله قول حاتم^٢ :

أبلغ الحارث بن عمرو بأنّي حافظ الودّ مرصد للصواب

ومجيب دعاءه إن دعائني عجلاً واحداً وذا

أصحاب

ولم ينظم النمر في هذا البحر الخفيف .

عاشراً : بحر المتقارب :

^١ الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب القزويني ، ص ١٠٩ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٢٧ .

سمي متقارباً لتقارب أوتاده بعضها من بعض لأنه يصل بين كل وتدين سبب واحد فنتقارب الأوتاد فسمي لذلك متقارباً وهو على ثمانية أجزاء^١ ووزنه^٢ :

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

" بحر المتقارب سهل يسير ذو نغمة واحدة متكررة .. ، وأقل ما يقال عنه إنه بحر بسيط النغم ، مطرد التفاعيل ، مناسب طبلي الموسيقى ، ويصلح لكل ما فيه تعداد للصفات ، وتلذذ بجرس الألفاظ وسرد للأحداث في نسق مستمر ، والناظم فيه لا يستطيع أن يتغافل عن دندنته فهي أظهر شيء فيه ، ولذلك فتجويد الصناعة فيه أمر مهم جداً ، وكثير من الشعراء الفحول يتحامونه لأنه يتطلب اندفاعاً وراء النغم كما يندفع التيار في غير ما توقف " .

ومثاله قول حاتم^٣ :

أبى طول ليلك إلا سهـ _____ ودا _____ فما

إن تبين لصبح عم _____ ودا _____

أبيت كئيباً أراعي النـ _____ وم _____

وأوجع من ساعدي الحـ _____ دا _____

أرجي فواضل ذي بهج _____ ة _____

من الناس يجمع حزماً وجوداً

نمته أمانة

والحارث _____ ان _____

حتى تمهل سبقاً جدي _____ دا _____

^١ الكافي الخطيب القزويني ، ص ١٢٩ .

^٢ القواعد العروضية ، محمد بن فلاح المطيري ، ص ٨١ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٣٩ .

كسبِق الجِوَاد غِذَاءَ الرِّهْـ____ان
شأُوا مَدي____دا

ومثاله قول حاتم^١ :

أبا الخيري وأنت امـــــــــــــرؤ

العشيرة شتامهـا

حسود

فماذا أردت إلى رم

بدوية صخب هامم

تَبْغِي أَذَاهَا وَإِعْسَارَهَا _____
وَحَوْلَكَ غَوْثَ وَأَنْعَامَهَا _____

وإنا لنطعم

أضيفا _____ من الكوم
بالسيف نعتامها

ومن قول النمر^٢ :

سلا عن تذکرہ تکتم _____ وکان
رہیناً بها مغرم _____

واقص ر عنها وآياتها
تذكر ره داءه
الأقدم

وذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال¹ : سألت الخليل - بعد أن عمل كتاب العروض - لم سميت الطويل طويلاً ؟ . قال: لأنه طال بتمام

^١ السابق نفسه ، ص ٨٩ .

^٢ ديوان النمر ، ص ١١٤ .

أجزائه. فقلت : فالبسيط ؟ . قال : لأنه انبسط عن مدى الطويل ، وجاء وسطه " فعلن " وآخره " فعلن " ، قلت : فالمديد ؟ . قال : لتمدد سباعيه حول خماسيه ، قلت : فالوافر ؟ . قال : لوفور أجزائه وتداً بوتد . قلت : فالكامل ؟ . قال : لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر . قلت : فالهزج ؟ . قال : لأنه يضطرب شبهه بهزج الصوت . قلت : فالرجز ؟ . قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام . قلت : فالرمل ؟ . قال : لأنه شبه برمل الحصير لضم بعضه إلي بعض . قلت : فالسريع ؟ . قال : لأنه يسرع على اللسان . قلت : فالمنسرح ؟ . قال : لانسراحه وسهولته . قلت : فالخفيف ؟ . قال : لأنه أخف السباعيات . قلت : فالمقتضب ؟ . قال : لأنه اقتضب من السريع . قلت : فالمضارع ؟ . قال : لأنه ضارع المقتضب . قلت : فالمجتث ؟ . قال : لأنه اجتث أي قطع من الطويل دائرته . قلت : فالمتقارب ؟ . قال : لتقارب أجزائه ، لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .

وهذا وصف للبحور في جملتها وعلى لسان صاحبها وواضعها ، ولأننا لم نعرض لها كلها بل ما استخدمه الشاعران فقط مع مراعاة الترتيب لا الأغلبية في الاستخدام .

ونجد حزناً عميقاً كامناً في روح الشاعرين -ظهر في صور الموت ونحوها- وماهي إلا نفس الشاعر الحساسة وإحساسه المرهف فيحزن لفراق المحبوبة وهجر الديار وتذكر مصائب الدنيا ، وآلامها ، وآهاتها ، فيتأوه ويلفظ زفرات تلوها زفرات أحر في أبحر أشاعت هذا اللون من الشعر وهذا الإحساس فغلب عليهما الطويل و البسيط ، وقل عندهما استخدام البحور الخفيفة كـ " الرجز والخفيف " أما الزحافات فذكرناها في مكانها.

^١ العمدة ، ابن رشيق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

الجدول

جدول يوضح تفاصيل البحور المستخدمة لدى الشعراء

أولاً : حاتم :

الرقم	نوع البحر	عدد القصائد فيه	النسبة المئوية
١	البحر الطويل	٣٤	64.2%
٢	البحر البسيط	٦	11.3%
٣	البحر الوافر	٤	7.5%
٤	البحر الكامل	٣	5.7%
٥	البحر السريع	١	1.9%
٦	البحر الخفيف	١	1.9%
٧	البحر المتقارب	٤	7.5%
	المجموع	٥٣	١٠٠%

البحور التي تحاها حاتم : المديد ، والهزج ، والرجز ، والرمل ، والمنسرح ،
والمضارع ، والمقتضب ، والمجتث ، والمتدارك .

ثانياً : النمر :

الرقم	نوع البحر	عدد القصائد فيه	النسبة المئوية
١	بحر الطويل	١٤	%25.5
٢	بحر المديد	١	%1.8
٣	بحر البسيط	٨	%14.5
٤	بحر الوافر	١٠	%18.2
٥	بحر الكامل	١٠	%18.2
٦	بحر الرجز	٢	%3.6
٧	بحر المنسرح	١	%1.8
٨	بحر المتقارب	٩	%16.4
المجموع		٥٥	%١٠٠

البحور التي تحاهاها النمر : الهزج ، والرمل ، والسريع ، والخفيف ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجتث والمتدارك .

ب: القوافى :

القفو^١ : مصدر قولك : قفا يقفو ، وهو أن يتبع شيئاً . وقفوته أقفوه قفواً وتقفيه أي : اتبعته . قال الله عز وجل * : (ولا تقف ما ليس لك به علم) وقال تعالى * : (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) وقال الشاعر^٢ :

وقام ابن مية

يقفوه _____ م _____ كما يختل

الفهدة الخاتا _____ ة

ويقال قد قفا فلان فلاناً : أى قد رماه بالقبيح .

والقفا " مقصور " : مؤخر العنق ، ويذكر و يؤنث وقيل ٣ :

وما المولى وإن عرضت قفاه بأجمل للمحامد من

حمار

يقول : ليس المولى وإن أتى بما يحمد عليه بأكثر من الحمار حامد .

والجمع "قَفِي" على "فعول" مثل "عصى وعَصِي" ، ويجمع في القلة على أقفاء مثل "رحى وأرحا" ، وقد جاء عنهم أقفية وهو على غير قياس لأنه جمع الممدود مثل سماء وأسمية .

^١ العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي ، الباب : باب القاف والفاء ، ج ٥ ، ص ٢٢١ .

* سورة الإسراء ، آية ٣٦ .

* سورة الحديد ، آية ٢٧ .

^٢ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الباب (قفا) .

^٣ لسان العرب ، لابن منظور ، فصل القاف ، ج ١٥ ، ص ١٩٣ .

وقافية كل شيء آخره وسميت قافية البيت لأنها تتلو ما قبلها من الكلام^١ .

وبالقافية يكتمل الطرب ، وتزول بواقي الرتبة ، فيتفاعل الإنسان مع الأبيات وإن جاءت في معارض الحزن والأسى ، والألم والحسرة . وقيل : " فوجود القافية ضروري لوجود شعر دقيق في تكوينه الموسيقي ، لذلك بوسعنا أن نعتبر الشعر العربي أدق أشعار الدنيا من حيث الروعة الموسيقية ، لما يلتزمه الشاعر من قواعد في أجزاء القافية ، فضلاً عن تفاعل البحر الذي ينظم فيه وهو ما لا تجده في عروض كثير من اللغات الأخرى" .

وفي الإصطلاح^٢ : آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله وهو قول الخليل .

وعن الأخفش : إنها آخر كلمة في البيت .

وقيل : إنها حرف الروي .

والقافية في البيت الآتي^٣ :

أهابك إجلالاً وما بك قدرة علي ولكن ملء عين

حبيبها

عند الخليل : كلمة " بيبها " .

عند الأخفش : كلمة " حبيبها" .

^١ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق: حسن عبد الله العمري مطهر ابن علي الأرياني ، يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ودار الفكر ، دمشق - سوريا ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الباب : قفا .

^٢ المرشد الوافي في العروض ، محمد بن حسن بن عثمان - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ - ص ١٥٢ . " بيبها " .

^٣ فن التقطيع الشعري والقافية العربية ، محمد بن فلاح المطيري ، ص ١٠٤ - ١٠٨ .

حروف القافية^١ : وهي ستة :

وهي إن دخلت أول القصيدة لزمّت سائر أبياتها .

۲۲۵

٤- الردف : وهو حرف مد ولين يقع مباشرة قبل حرف الروي وهو لازم إن كان ألفاً مثل :

وما من شدة إلا سيأتى لها من بعد شدتها رخاء

٥- التأسيس : وهو ألف بينها وبين حرف الروي حرف متحرك .

قال الشاعر :

إذا بلغ الأمر المشورة فاستعن برأي حكيم أو نصيحة حازم

٦- الدخيل : وهو الحرف الذي بين ألف التأسيس وحرف الروي ، ولا يلزم وإنما تلزم حركته كهزمة " زائل " :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة

زائِل

ب: أنواع القوافي :

قسمت القوافي أقسام كثيرة منها :

القوافي المقيدة^١ :

وهي التي يكون حرف الروي فيها ساكناً . كقول سويد اليشكري^٢ :

بسطت رابعة الحبل

لنا _____

فوصلنا الحبل منها ما اتس _____ع

ومنه قول الشاعر^٣ :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما _____ وهل أنا إلا من

ربيعة أو مض _____ر

إذا حان يوما أن يموت أبوكم _____ فلا تخمشا وجهها

ولا تحلقا شع _____ر

وقولا هو المرء الذي لا حريم _____ه أضاع ، ولا

خان الصديق ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما _____ ومن يبك حولاً كاملاً فقد

اعت _____ذر

^١ المرشد ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ .

^٢ ديوان سويد بن أبي كهل اليشكري ، تحقيق: شاعر العاشور ، مراجعة : محمد جبار المعيدي ، ط ١ ، ١٩٧٢ م ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة - العراق ، ص ٢٣ .

^٣ المرشد ، ج ١ ، ص ٥٥ .

وهي الباء ، والdal ، والراء ، والعين ، والميم ، والياء المتبوعة بألف الإطلاق والنون في غير تشديد أسهلها جميعا . والنونيات الجياد تكاد تعد على الأصابع ، والتاء قريبة من النون في السهولة إذا جاءت مكسورة .

القوافي النفر :

هي الصاد ، والزاي ، والضاد ، والطاء ، والهاء الأصلية ، والواو . أما الزاي فجاءت فيها كلمات نادرة كزائية الخنساء في صخر^٢ :

تعرقني الدهر نهسا وحرًا
وأوجعني الدهر قرعًا وغمًا

وهي جيدة جداً . كقول الشاعر :

لا درّ دري إذا أطعمت زائرکم قرف حتی وعندي البر مكنوز

القوافي الحوش^٣ :

هي " الثاء ، والحاء ، والشين ، والظاء ، والغين ، وكلها قد ركبها الشعراء فلم يجيئوا إلا بالغث ، فالثاء كريهة ، والحاء ما دخلت شعرا إلا أفسدته وقد رويت منها أشياء كريهة، والذال مع قبحها فقد استعملت كثيرا ولم أجد في الشين شيئا يستحق الرواية إلا بيتا واحدا في قطعة أتائم من روايته ، والظاء فظيعة ، والغين مثلها ... " .

^١ السابق نفسه ، ص ٧٥ (بتصرف) .

^٢ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٦٩

٣ المرشد ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، ص ٧٩ .

عيوب القافي :

الشاعر لابد أن يلتزم في القافية حروفا معينة ، وحركات معينة ، إذا أخل بها وقع في عيب من عيوب القافية وهذه العيوب كثيرة أهمها أربعة :

١- التضمين : وهو ألا يستقل البيت بمعناه بل يكون المعنى مجزئاً بين بيتين وبعبارة أخرى يكون البيت الثاني مكماً للبيت الأول في معناه وذلك كأن يرد المبتدأ أو الفعل في البيت الأول ثم يأتي الخبر أو الفاعل أو المفعول به أو ما شابهه في البيت الثاني . ومثال ذلك ٢ :

وهم ورودوا الجفار على تميم وهم اصحاب يوم عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صادقــــــــــــات شهدن لهم بصدق الود مني

٢- الإيطاء : وهو إعادة كلمة الروي بلفظها ومعناها بعد بيتين أو ثلاثة إلى سبعة أبيات ، وهذا يدل على قلة إلمام الشاعر بمفردات اللغة ، وكلما بعدت المسافة كان أفضل .. وقيل : (يتحقق الإيطاء بتكرار الكلمة ولو بلفظها فقط) ومثال الإيطاء ، قول الشاعر:

ووضع البيت في خرساء مظلمة تقيد العير لا يسري بها الساري

لايخفض الزر عن أرض ألمَّ بها ولا يضل على مصباحه الساري

ومن ذلك أيضا قول النمر^٣ :

رأت أمنا كيف يلف وطبه
إلى الأنس البادين وهو

مزمـل

^١ علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ج١، ص ١٦٦

^٢ أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، محمود مصطفى ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

^٣ ديوان النمر ، ص ١٠٢ .

فلما رأت أمنا هان وجدهـ _____
وقالت : أبونا
هكذا سوف يفعل

أرى أمنا أضحت علينا كأنما _____
تجللها من نافض الورد
أفكـ _____

يود الفتى بعد اعتدال وصحة _____
ينوء إذا رام القيام
ويحمـ _____

يود الفتى طول السلامة والغنى _____
فكيف ترى طول السلامة يفعل
فالإيطاء بين " يفعل " و " يفعل " .

٣- الإقواء : وهو اختلاف المجرى الذي هو حركة الروي المطلق بكسر وضم ،
كقول النابغة^١ :

أمن آل مية رائح أو مغتدي _____
عجلان ذا زاد وغير
مـ _____زود؟

إلى أن يقول :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا _____
وبذاك خبرنا الغراب الأسود
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بـ _____
إن كان تفريق الأحبة في غد
فالروي هنا " الدال " والمجري الذي هو حركة الروي المطلق هنا هو الكسرة في
جميع أبيات القصيدة عدا البيت المنتهي بكلمة " الأسود " .

٤- الإسناد : وهو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات ، كقول
النمر^١ :

^١ ديوان النابغة الذبياني ، اعتنى به حمدي طماس ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ،
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص ٣٨ .

۲۳۳

جداول توضح تفاصيل القوافي لديهما

أولاً : حاتم :

الرقم	حرف القافية	عدد استخدامه	النسبة المئوية
١	الباء	٣	%5.7
٢	التاء	٢	%3.8
٣	الحاء	٢	%3.8
٤	الدال	٩	%17.0
٥	الراء	١٤	%26.4
٦	السين	٢	%3.8
٧	العين	٤	%7.5
٨	الفاء	٢	%3.8
٩	اللام	٥	%9.4
١٠	الميم	٨	%15.1
١١	النون	٢	%3.8
	المجموع	٥٣	%١٠٠

ثانياً : النمر :

الرقم	حرف القافية	عدد استخدامه	النسبة المئوية
١	الهمزة	٢	%3.6
٢	الباء	١٠	%18.2
٣	الجيم	١	%1.8
٤	الحاء	٢	%3.6
٥	الدال	٣	%5.5
٦	الراء	١٠	%18.2
٧	الضاد	١	%1.8
٨	العين	٤	%7.3
٩	الفاء	١	%1.8
١٠	القاف	٣	%5.5
١١	اللام	٦	%10.9
١٢	الميم	٨	%14.5
١٣	النون	٤	%7.3
	المجموع	٥٥	%١٠٠

المبحث الثاني

الموسيقى الداخلية

ونقصد بعض الألوان البلاغية المستخدمة لدى الشعراء ، والموسيقى الصوتية ، والأجراس ، والترانيم التي اعترت الأبيات ، فأضفت النغم على المعنى ، وسنتحدث أولاً عن الألوان البديعية في أبيات الشعراء ، ولكن لنعرفه أولاً :

البديع^١ لغة : من البدع : وهو إحداث شيء لم يكن من قبل خلق ، ولا ذكر ولا معرفة ، والله بديع السماوات والأرض ابتدعهما ولم يكونا قبل ذلك شيئاً يتوهمهما متوهم .

وسقاء بديع^٢ : جديد .

هو علم^٣ يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد إحراره لمعاني البلاغة ، وأنواع الفصاحة ووضوح دلالاته ، وجودة مطابقته .

واصطلاحاً^٤ : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . وعلم البديع كما يقال^١ : (محاولة للكشف عما في الأسلوب من جمال أسر ، وحسن ساحر) .

^١ العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، الباب : باب العين والبدال والباء معهما ع ب د .

^٢ المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هندائي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، الباب : باب العين والبدال والميم .

^٣ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة علي بن إبراهيم الحسين العلوي الطالب (المؤيد بالله) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣ ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

^٤ بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، ج ٤ ، المطبعة النموذجية ، ط ؟ ، ص ٢ .

وتنقسم المحسنات إلى نوعين^١ :

لفظية ومعنوية .

المحسنات اللفظية :

تفيد تحسين اللفظ أما المعنوية تفيد تحسين المعنى ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون اللفظ في ذاته من غير نظر إلى المعنى ، ولهذا استقبح في قول أبي تمام :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسن في قول أبي الفتح البستي :

ناظره فيما جنت ناظره _____ راه أودعاني
أمت بما أودعاني _____

لأنه في الأول لم يزدك على أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها

والمحسنات اللفظية^٢ : هي التي تفيد تحسين اللفظ أولاً ويجيء بها تحسين المعنى تبعاً ولأن هذه المحسنات لفظية يشترط فيها بقاء هيئة الكلام كما هي دون تغيير، فإن تغيرت هيئة الكلام زالت المحسنات اللفظية .

والمحسنات اللفظية كثيرة نأخذ منها الجنس ورد العجز على الصدر .

^١ البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : أحمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد ، راجعه : إبراهيم مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، عام ؟ - ص ٥ .

^٢ دراسات في البلاغة العربية ، عبد العاطي غريب علام ، منشورات جامعة بنغازي ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠٥ .

أولاً: الجناس :

ويقال له المجانسة والتجانس ، وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ، ويختلفان في المعنى .

وسنقسم الجناس إلى قسمين رئيسيين هما^١ :

١- الجناس التام :

وشرطه أن تتفق حروف اللفظين في عددها ، وترتيبها ، ونوعها ، وضبطها وهو أفضل أنواع الجناس ومثله قول حاتم^٢ :

هما سألاني ما فعلت وإنني
كذلك مما أحدثا أنا سائل

فقلت : ألا كيف الزمان عليكما؟ فقالا : بخير كل أرضك سائل

فكلمة " سائل " الأولى مراد منها السؤال والاستفهام ، أما الثانية فالمراد منها المسيل أو الجريان ، أي : سائل بالماء .

ومنه قول النمر :

ولا أخون ابن عمي في حليلته ولا البعيد نوى مني ولا جاري

حتى يقال إذا وريت في جدثي لقد مضى نمر عار من العار

فالمراد من " عار " الأولى الخلو والتجرد ، أما الثانية فالمراد منها " الصفة المذمومة " .

ولم يتطرق الشاعران لهذا النوع من الجناس إلا في المثالين السابقين .

^١ علم البديع ، محمود أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص ١١٠ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٧٧ .

وقوله^١ :

أبيت كئيباً أراعي النجــــــــــــــــوم وأوجع من ساعدي
الحديــــــــــــــــدا

أرجي فواضل ذي بهجــــــــــــــــة من الناس يجمع حزما
وجودا

نمته أمامه والحادثــــــــــــــــان ان
حتى تمهل سبقا جديــــــــــــــــدا

كسبق الجواد غداة الرهان أربي على السن شأوا
بعيــــــــــــــــدا

فالجnas واضح بين " حديدا ، وجديدا " .

ويقول أيضاً^٢ :

أرى أجاً وراء الشقيــــــــــــــــق والصهو زوجها عامر
وقد زوجها وقد عنست وقد أيقنوا أنها عاقــــــــــــــــر

فالجnas بين " عامر ، وعافر " فالأحرف المختلفة وقعت وسطاً .

ومن أمثلة هذا النوع عند النمر قوله^٣ :

شديد وهص قليل الرهص معتدل بصفحتيه من الأنساع أندابُ

فالجnas بين " وهص ، ورهص " ، والوهص : شدة وطء الأرض ، والرهص :
الغمز ، والعثار .

^١ السابق نفسه ، ص ٣٩ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٥٨ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٣٦ .

أودي الشباب وحب الخالة الخلبة وقد برئت فما بالصدر من قلبه

والخلبة : الخبال والجنون ، ما به قلبه : ما به وجع ولا مكروه .

وقال ' :

وقد تتلم أنيابي وأدركني
 قرن علي شديد فاحش الغلبة

فالجnas بين " القلبة " في البيت السابق و" الغلبة " في الأخير .

وفاحش الغلبة ، أي شديد الوطء بغلبته .

وقال ٢ :

أعذرني ربّ من حصر وعــــي
 ومن نفس أعالجها
 علاجــــا

ومن حاجات نفسي فاعصمني
 فإن لمضمرات النفس حاجا

وأنت وليها وبرئت منه

إليك وما قضيت فلا خلاجا

فالجnas بين " علاجا ، وخلاجا " وهناك جناس في القصيدة نفسها بين كلمة " دجاجة ، وشجاجة " وذلك في قوله ٣ :

وتأمرني ربّيعه كل

يَوْمَ _____

لأُشْرِيهَا وَأَقْتَتِي الدَّجَاجَ _____

^١ السابق نفسه ، ص ٣٩ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٥٠ - ٥١ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٥١ .

وما تغني الدجاجُ الضيفَ عني وليس بِنافعي إلا
نضاج_____

أأهلكها وقد لاقيت

فيهِ _____ مرار
الطعن والضرب الشجاجة

وهناك جناس في آخر القصيدة مع أيّ من الكلمات السابقة وذلك في قوله^١:

وشدي في الكريهة كل ي_____وم إذا الأصوات
خالطت العجاجة _____

فكلمة " العجاجة " تجانس أي " من الكلمات " دجاجة " و " شجاجة " .
ومنه قوله النمر^٢ :

لقد غدوت بصهب وهي ملهبة إلهابها كضرام النار في الشيح
جاءت لتسنحني يسراً فقلت لها: على يمينك إني غير مسن_____وح
ثم استمرت تريد الريح مصعدة نحو الجنوب فعزّتْها على الريح
فالجناس بين " الشيح ، والريح " .
وقال^٣ :

أشأقتك أطلالُ دوارس من د_____د خلاء مغانيها كحاشية
ال_____رد

^١ السابق نفسه ، ص ٥٢ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٥٤ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٥٧ .

أهيم بدعد ما حبيت فإن أمـــــــت
فواكبدا مما لقيت
على دعوـــــــد

على إنها قالت -عشية زرتها- : هبّت ألم ينبت لذا حلمه بعدي

أَلَسْتُ بِشَيْخٍ قَدْ خَطَمْتُ بِإِحْدَى _____
الْغُرَانِقَةِ الْمُرْدِ

فالجناس هنا بين " البرد ، والمرد " ، والبرد : الثوب الموشى ، والمرد : جمع أمرد وهو الشاب الذي بلغ خروج لحيته ، وطراً شاربته .

ويقول^١ :

أَبْقِ الحَوَادِثَ وَالْأَيَّامَ مِنْ نَمَرٍ ————— أَسْبَادِ سَيْفٍ قَدِيمٍ إِثْرِهِ

وتقول^٢ :

بأغن طفل لاتصاحب غير _____ ره
فله عفاقه در ها و غ _____ رارها

هل تذكرين جزيت أحسن صالح

فهرست

فالجناح بين " غرارها ، وهرارها " ، والغرار : ارتفاع اللبن بعد الدرة .
والهرار : اسم موضوع .

^١ السابق نفسه ، ص ٥٨ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٧١ .

ويقول :

أَجَزْتُ إِلَيْهِ سُهوبَ الْفَلَاحِ وَرَحَلِي عَلَى جَمَلٍ مُسَفَّرٍ

طويل الذراع قصير الكراع يواشك بالسبب الأغبر

فالجناس بين " الذراع ، والكراع " .

والاختلاف الثاني يكون في عدد الحروف ، وهذا النوع لم يورده الشاعران كثيراً وما جاء فيه قول حاتم^٢ :

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الضعيف عقورها

فالجناس في لفظتي " الضيف ، والضعيف" والزيادة كانت في الوسط بحرف العين وهذا جناس ناقص .

والاختلاف الثالث والرابع "هيئة الحروف وترتيبها" ولم يوردهما الشاعران .

ثانيا : رد العجز عن الصدر^٣ :

وهذا النوع من المحسنات اللفظية ، سماه ابن المعتز " رد أعجاز الكلام على صدورها " ، وهو يتناول موضوع لفظين بينهما علاقة خاصة في الشعر يكون أحد اللفظين في آخر البيت ، واللفظ الثاني يكون إما في صدر المصراع الأول ، أو في حشوه أو في آخره ، أو في صدر المصراع الثاني .

هذا من حيث موقع اللفظين في الشعر . أما من حيث العلاقة بين اللفظين فهي إما أن يكون اللفظين " المكررين " متفقين لفظاً ومعنى ، أو يكونا " ملحقين بالمتجانسين " أي يجمعهما الاشتقاق أو شبهه . إذن هو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول .

^١ ديوان النمر ، ص ٧٥ .

^۲ دیوان حاتم ، ص ۶۲ .

^٣ علم البديع ، أحمد حسن المراغي ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

٢- ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول .

٣- ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه .

وأمثلة الأول قول حاتم^١ :

فقلت : دعيني إنما تلك عادتي لكل كريم عادة

يستعيدها _____

وآخر كلمة في البيت " يستعيدها " ، وافقت آخر كلمة في صدر البيت " عادتي " ، وهذا من نوع الملحقين . وقال^٢ :

لم ينسني أطلال ماوية ناسي _____ ولا أكثر الماضي الذي مثله ينسى
ومن ذلك قال النمر^٣ :

وقريت في مقرى قلائص أربعا وقريت بعد قرى قلائص

أرب _____

وقال - أيضاً -^٤ :

نعاها بالنداء لنا _____ زام أحق ما يقول لنا
_____ زام

وأمثلة الثاني قول حاتم^٥ :

أشاور نفس الجود حتى تطيعني وأترك نفس البخل لا أستشيرها

^١ ديوان حاتم ، ص ٤٤ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٦٦ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٨٤ .

^٤ السابق نفسه ، ص ١١٣ .

^٥ ديوان حاتم ، ص ٦٣ .

فالكلمة الأخيرة في البيت " أستشيرها " ، والكلمة التي جاءت في أول النص الأول هي " أشاور " .

ويقول^١ :

وسادي بها جفن السلاح وتارة إلى عدواء الجنب غير موسد

ومنه قول النمر^٢ :

لا تجزعي إن منفسا أهلكت _____
فاجزعي

وأمثلة الثالث والأخير قول حاتم^٣ :

هما سألاني ما فعلت وإنني _____
سأ _____
ل

ويقول^٤ :

وليس على ناري حجاب يكنها لمستوبص ليلا ولكن أنيرها _____

ويقول^٥ :

لعمرك ما أضاع بنو زي _____
يضي _____
ع

^١ ديوان حاتم ، ص ٣٧ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٨٢ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٧٧ .

^٤ السابق نفسه ، ص ٦٣ .

^٥ السابق نفسه ، ص ٦٧ .

وقال^١:

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلفي لك الدهر مكرما

وقال^٢:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما فيَّ إلا تلك من شيم العبد

وقال^٣:

وإن كلابي قد أهرت وعودت قليل على من يعتريني هريرها

ويقول النمر^٤:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا كبدا مما لقيت على دعد

ويقول^٥:

ومن حاجات نفسي فاعصمني فإن لمضمرات النفس

حاجا

ويقول^٦:

ثم استمرت تريد الريح مصعدة نحو الجنوب فعزتها على الريح

^١ السابق نفسه ، ص ٨٠ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٤٤ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٦٣ .

^٤ ديوان النمر ، ص ٥٧ .

^٥ السابق نفسه ، ص ٥٠ .

^٦ السابق نفسه ، ص ٥٤ .

ويقول^١ :

إذا كنت في سعد وأمك منهم غريبا فلا يغررك خالك من سعد

ويقول^٢ :

ففي جسم راعيها هزال وشحبة وضر وما من قلة اللحم يهـزل

ويقول^٣ :

فإني قد لبست العيش حتى مللت من الحياة فقلت : قدني

وهذا الأخير من نوع الملحقين بالمتجانسين ، أي اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبه
الاشتقاق . وهنا شبه اشتقاق بين " قدني " في آخر البيت و " قد " في حشوه .

وأحيانا يأتي " رد العجز على الصدر " وتكون الكلمة في آخر البيت ، والأخرى
في صدر المصراع الأول من البيت ، ومن هذا قول حاتم^٤ :

الله يعلم أني ذو محافظة مالم يخني خليلي يبتغي بدلا

فإن تبدل ألفاني أختا ثقة عف الخليفة لا نكسا ولا وكلا

ويقول^٥ :

وإني لعف الفقر مشترك الغنى وودك شكل لا يوافقه

شكا

^١ السابق نفسه ، ص ٦٠ .

^٢ السابق نفسه ، ص ١٠٥ .

^٣ ديوان النمر ، ص ١٣٣ .

^٤ ديوان حاتم ، ص ٧٤ .

^٥ السابق نفسه ، ص ٧٥ .

وشكلي شكل لا يقوم لمثله _____
من الناس إلا كل ذي
نيقة مثلي

ويقول^١ :

وعاذلتين هبتا بعد هجع _____
تلومان متلافا مفيدا

تلومان لما غور النجم ضلة فتى لا يرى الإتلاف في الحمد مغرما

ويقول^٢ :

تنادي إلى جاراتها أن حاتم _____
أراه لعمرى بعدنا قد
تغير _____ را

تغيرت إني غير آت لريية _____
ولا قائل يوما لذي
العرف منك _____ را

ويقول النمر^٣ :

وحمر تراها بالفناء كأنه _____
ذرى
كتب قد مسحها الطل من عل

عليها من الدهنا عتيق ومورة من الحزن كلا بالمربع
تأك _____ ل

وهذا من نوع شبه الاشتقاق بين " عل " و " عليها " في صدر البيت الثاني .

ولم يكثر النمر من هذا النوع ، ولحاتم النصيب الأكبر في كل أنواعه .

^١ السابق نفسه ، ص ٨٠ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٤٨ .

^٣ ديوان النمر ، ص ١٠٤ .

المحسنات المعنوية^١ :

وهي التي يكون التحسين بها راجع إلى المعنى أولاً أو بالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً . وهي كثيرة نأخذ منها نوعاً واحداً وهو " الطباق " لكثرة وروده ، ووجوده عن شاعرينا .

والطباق : ويسمى المطابقة ، والتكافؤ ، والتضاد .

في اللغة : وضع طبق على طبق ، كوضع غطاء القدر منكفئاً على فم القدر حتى يغطيه بإحكام .

واصطلاحاً : هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى ، وهما قد يكونا اسمين ، أو فعلين ، أو حرفين ، أو مختلفين .

والطباق ينقسم إلى قسمين :

طباق ايجاب وطباق سلب .

ومن الأول قول حاتم^٢ :

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر

ويقول^٣ :

أماوي ! إما مانع فمبـيـن ————— ن وإما عطاء لا ينهنهه

الزج ————— ر

فالتباق بين " غاد ، ورائح " ، و " مانع ، وعطاء " . ويقول :

^١ دراسات في البلاغة العربية ، عبد العاطي غريب علام ، ص ١٦٠ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٥٠ .

عنينا زمانا بالتصعلك والغنى _____
في أيامه العسر واليسر

كسينا صروف الدهر لينا وغلظة وكلا سقناه بكأسيهما

الدهر _____

طابق بين " التصعلك ، والغنى " و " العسر ، واليسر " و " اللين ، والغلظة " .

ومن طباق الإيجاب عند النمر قوله^١ :

ترى أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذي أمضيت كان نصيبي

ويقول^٢ :

وتأمرني ربيعة كل يوم _____

لأشريها وأقتني

الدجاج _____

ويقول^٣ :

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيح

فالمال فيه تجلة

ومهاب _____

والفقر فيه مذلة وقبح _____

والطباق فيما سبق بين " أبقيت ، وأمضيت " و " أشريها ، وأقتني " و " تجلة ،

ومذلة " .

^١ ديوان النمر ، ص ٤٤ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٥١ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٥٣ .

وَقَوْلُهُ ٢ :

وحتى تركت العائدات يعدنه ينادين لا تبعد وقلت له : ابعد

ومن أمثلته عند النمر قوله^٣ :

لا تجزعي إن منفسا أهلكته وإذا هلك فعد ذلك فاجزعي

فالطابق بين " لا تجزعي ، واجزعي " . ويقول^٤ - أيضاً - :

وقد كنت لا تشوى سهامى رمية فقد جعت تشوى سهامى وتتصل

فالطباق بين " لا تشوى ، وتشوى " . والطباق من أكثر أبواب البديع وروداً عندهما ولا سيما حاتم ، فذكراه بأنواعه المختلفة ، وأوردنا أكثرها عند الشاعرين .

^١ دیوان حاتم ، ص ٣١ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٣٧ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٨٤ .

^٤ السابق نفسه ، ص ١٠١ .

الفصل الثاني

الصورة الشعرية

يعبر الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره في صور حقيقية واقعية أو خيالية وهمية ،
وإما أن تكون صورة واحدة يجمع فيها إحساسه ، أو صوراً متفرقة تتحد في تكوين
صورة كاملة . ولما عني علم البيان بدراسة الصورة أردنا التمهيد له وعرضه بشيء
من التعريف.

فكلمة^١ " البيان " تدل في معناها اللغوي على الوضوح ، والإبانة سواء في القول الملفوظ
أو المكتوب أو الإشارة أو الهيئة التي يبدو عليها الشيء ، وقد ظل مصطلح " البيان "
لفترة طويلة من الزمان متسعاً لمعانٍ كثيرة منها الإعراب عما في النفس من خواطر
وأفكار ، ومنها مضاهاة معنى الفصاحة والبلاغة في جمال التعبير ، وتمام الدلالة . ثم
تطور البحث البلاغي فأصبح " البيان " علماً من علوم البلاغة .

^١ علم البيان ، محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠٩هـ -
١٩٨٩م ، ص ١٣ .

المبحث الأول

التشبيه

نبدأ بالتشبيه إذ إنه من أكثر كلام الناس نثرا وشعرا ، وقيل^١ : " .. إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه ولا بغيره من كل الجهات ، إذا كان الشئان تشابها من جميع الوجوه ، ولم يقع بينهما تغاير ألينة اتحدا فصار الإثنين واحداً . فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ، ويوصفان بها ، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد " .

وللعلماء والباحثين في علوم العربية اهتمامات كبيرة بهذا العلم لما فيه من سعة ومتعة ، ومن أبرزهم الجاحظ الذي تنبه إلى طرفي التشبيه ، وإلى ما في التشبيه من تأثير وجداني ، وأنه عرف التشبيه المقلوب ، وأن وجه الشبه يكون في أظهر الصفات في المشبه به ، وعرف من أدوات التشبيه " الكاف ، وكأن ، ومثل وغيرها " .

قال أبو العباس المبرد^٢ : العرب تشبه على أربعة أضرب :

تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه : وهو أخشن الكلام .

ومن طريف التشبيه قول حاتم^٣ :

يقمص دهاق البضيع كأنه
القطا الكدر الدقاق الحناجر

رؤوس

^١ نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، الباب : نعت التشبيه .

^٢ الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الباب : حديث أبي النجم العجلي مع هشام .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٥٣ .

كأن ضلوع الجنب في فورانه _____
أيدي نساء حواس _____
إذا استحمشت

إذا استنزلت كانت هدايا وطعمة _____
النواظ _____
ولم تختزن دون العيون

كأن رياح اللحم حين تغطمط _____
العواط _____
رياح عبير بين أيدي

والشاعر الجاهلي يفترض أن الشعر ليس مجرد القدرة على نظم كلمات موزونة مقفاه بقدر ما هو قدرة على دقة الوصف والتشبيه . والوصف يعني القدرة على تصوير الأشياء في هيئة تشبيهات دقيقة قادرة على تقديمها للمتلقى^١ . ومن أجمل صور التشبيه عند حاتم قوله^٢ :

وعرجلة شعث الرؤوس كأنه _____
تطبخ بقدر ج _____
بنو الجن لم زورها

فشبه أولئك الرجال في شدتهم ، وتأهبهم ، وبأسهم بالجن ، والتشبيه هنا ليس " بليغاً" ، إذ إنه مكتمل الأركان ، إلا أن وصفه هنا وصف بليغ بل في غاية البلاغة ومنتهاها ، لماذا ؟ لا أظن أحداً يأتي بوصف لهيأة أولئك الأقوام أبلغ من وصفه لهم بالجن في تأهبهم وهيأتهم ، وشعثهم ، وغبرتهم ، وتجردهم ، وتفردهم ، وشراستهم ، وعدم القدرة على الإتيان بمثلهم ، فإن شبههم بأناس أيّاً كانوا فهم أقل من الجن الذين يتمتعون بقدرات أعلى من كل البشر .

^١ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، ط ٣ ، ١٩٩٢م ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ص ١٠٤ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٦٤ .

وأمثلة التشبيه كثيرة عند النمر وأبرزها وأجملها التي شبه فيها زوجته ومحبوبته " جمرة " بروضة غناء ، وحديقة وارفة الظلال .. شبه فأمّتع ، ووصف فأبدع ، ومن ذلك قوله ' :

فصدت كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل : هو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، وأخذه عنه قيس بن الخطيم وزاد فيه قائلاً :

وأمثلة التشبيه لا تفصيل فيها ومنها نأتي لما حذف في الأداة ، ووجه الشبه ألا وهو " التشبيه البليغ " ، ومنه قول حاتم - مادحاً بني زياد - أبيات بمعنى قوله السابق "عر اجلة .."^٢ :

بنو جنية ولدت سيوفــــــــــــــــــــــا

صوارم كلها ذكر صنيعُ

وشبه النمر سابقاً الفتية بالسيوف ، وفي نفس القصيدة أتى بالتشبيه البليغ قائلاً -
بعد تلك الأبيات مباشرة -٣ :

^٣ ديوان النمر ، ص ١٤٧ .

أو زيادة اهتمت لها دون غيره فيتترك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع')

ومن أصحاب المعنى السابق امرؤ القيس الذي يقول^٢ :

لمن طلل أبصرته فشحج _____ اني كخط
زبور في عسيب يمانى

ولكن حاتماً في بيته التالي يقول ٣ :

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها
شهوراً وأياماً وحولاً
مجرماً

الترتيب في العجز غير سليم ، كيف تأتني الشهور قبل الأيام ؟ كان أجدر به أن يقول :

إذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً أياً صحبي وحولاً مجرماً
دائه عن خطأ يؤاخذ عليه النقاد والعامّة .

أما النمر فصاغ من الحكم شواهد وأوصافاً كأنما هي صور متحركة صاغها بكل تفاصيلها الدقيقة ويظهر ذلك في (قصة الوعل) التي صورَ فيها ملاحقة القدر للمرء أني ذهب ، قائلاً :

فلو أن من حقه ناجي _____
الأعصم _____
لألفيته الصدع

١ الوساطة بين المتتبي وخصومه ، أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضي الجرحاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الباب: السرقات الشعرية .

٢ الوساطة بين المتتبي وخصومه ، الباب : السرقات الشعرية .

^۳ دیوان حاتم ، ص ۷۹ .

^٤ ديوان النمر ، ص ١١٨ - ١١٩ .

بِإِسْمِ اللَّهِ أَقَاتُ بِهِ أُمُّهُ عَلَى

رأس ذي حباك أيهما

إذا شاء طالع مسجـــــــــــــورة ترى حولها النبع

والساسة

يكون لأعدائه مجه _____ مضلا

وكانت له معلم _____

سقتها الرواعد من صيف وإن من خريف فلن يعدما

أَتَاكَ لَهُ الدَّهْرُ ذَا وَفَضْلَةٍ يَقْلَبُ فِي كَفِّهِ

أُسْمُهُ

فراقبه وهو في قرة

وما كان يريهب أن يكلمها

فأرسل سهما له أهنرعا فشك نواهنه

والفم

فريغ الغرار على قـدرة وما كان يرهـب أن

بکام

فضل يشب كأن الولا _____ و ع كان بصحبته

مغرم _____

المبحث الثانى

الاستعارة

هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه . وتريد أن تقول : (رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء) فتدع ذلك وتقول : (رأيت أسداً)^١ ، ومن ذلك وقول حاتم^٢ :

قطعتُ بمرداةٍ كأن نسوعها
تشدُّ على قرمٍ علندي مخاطر

"و المرداة " الصخرة ، يريد قطعت بناقة شديدة كالمرداة . وقال النمر :

قطعت بسمحة كالफल عجلي مواشكة اذا جنح

الأصل _____ بل

سمحت الناقة : أى انقادت فأسرعت فحذف الناقة و استعار صفتها " سمحت " .

وقال ابن جني^٣ : " الاستعارة لا تكون إلّا للمبالغة وإلا فهي حقيقة " . وعقب على هذا الكلام صاحب العمدة قائلاً : " وكلام ابن جني حسن في موضعه ، لأن الشيء إذا أعطى وصف نفسه لم يسم استعارة ، فإذا أعطى وصف غيره سمي استعارة ، لأنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ، ولا يقربها كثيراً حتى يحقق ، ولكن خير الأمور أوسطها " . ومن المبالغات قول حاتم^٤ :

يامال ! جاءت حياض الموت واردة من بين غمر فحضناه وضحضاح

^١ دلائل الإعجاز ، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ص ٦٧ .

^۲ دیوان حاتم ، ص ۵۳ .

٣ العمدة ، ابن رشيق ، ج ١ ، الباب : ذكر المعاظلة والتشجيع .

^٤ دیوان حاتم ، ص ۳۳ .

إذ جعل للموت حياض ماء يردّها الناس . وقال الجرجاني^١ : " الاستعمارة أن يريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه ، ومن ذلك استعارة لفظ القمر للنبي " صلى الله عليه وسلم " في قول النمر^٢ :

اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ هَذَا الْقَمَرُ

أراد النبي " صلى الله عليه وسلم " فحذف المشبه وأتى بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية .

ومن قوله ^٣ :

رأت أمنا كيساً يلفف وطبة على الأنس البادين وهو مزمل

ومما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا إلى أن يلحق الشكل بالشكل وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد .

ومن ذلك استعارة السحاب للوعد ، استعار السحاب للوعد وشبه الوعد بالضباب واستعار " الصحو " للإخلاف وانتهاء الوعد كما استعار " هطول الغيم وجوده " للإيفاء ، والضباب للإخلاف والصحو للإيفاء .

فالاستعارة وإعمال الفكر هنا أضفى على المعنى جمالاً آخر. وذلك في قول حاتم

ألا أخلفت سوداء منك المواعد ودون الذي أملت منها

الف _____ ر ا ق د

١ العمدة ، ابن رشيق ، ج ١ ، الباب : ذكر المعازلة والتشجيع .

^٢ ديوان النمر ، ص ٧٧ .

^٣ السابق نفسه ، ١٠٢ .

تمنيننا غدوا وغيمكم غدا

ضباب فلا صحو ولا الغيم جائد

ولم تكن الاستعارة عندهم أكثر من الكناية ، فأكثرها منها بأنواعها .

المبحث الثالث

الكناية

الكناية مصدر كنى يكنى ، وكنيته تكنية حسنة ، ولامها واو وياء ، يقال : كناه يكنيه ويكنوه ، والكناية بالأب أو بالأم وفلان يكنى بأبي عبد الله وفلانة تكنى بأم فلان^١ : والكناية مقوله على ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره وقال الشاعر :

وإني لأكنو عن قدور بغيرها وأعرب أحيانا بها وأصارح

والكناية^٢ : هي الإرداف بعينه - عند علماء البيان - ، والكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى ردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه .

مثال ذلك قولهم " طويل النجاد كثير الرماد " يعنون بذلك أنه طويل القامة ، كثير القرى .

^١ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالباني الملقب بالمؤيد بالله ، الناشر : المكتبة العنصرية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢٣هـ ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

^٢ خزانة الأدب وغاية الإرب ، ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي ، تحقيق : عصام شيقو ، دار مكتبة هلال ، بيروت - لبنان ، دار البحار ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤م ، الباب : ذكر الكناية .

تنقسم الكناية إلى ثلاثة أنواع باعتبار المكنى عنه^١ :

النوع الأول : يكون المكنى عنه صفة من الصفات كالكرم أو الشجاعة أو العفة
ومن هذا عند حاتم قوله^٢ :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها لتشرب مافي الحوض قبل الركائب
والكناية هنا عن صفة ألا وهي " الإيثار " .
ومن قول النمر^٣ :

سواء عليها الشيخ لم تدر ما الصبّا إذا ما رأته والألوف
المقتـل

كناية عن أدبها وعفتها .

النوع الثاني : يكون المكنى عنه نسبة يزداد بها إثبات الصفة للشيء بإثباتها لما
يلابسه ويعد جزءاً منه . ومن ذلك قول الشاعر :

يبيت بمنجاة عن اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامة
حـا

فقد نفى اللوم عن بيتها وهو نفى اللوم عن شخصها ، فهي تتجنب كل ما يسيء
إلى بيتها ويوجه إليه اللوم . ومن ذلك قول حاتم^٤ :

بلاد امرئ لا يعرف الذمُ بيته له المشرب الصافي وليس له الكدرُ

النوع الثالث^١ : لا يكون المكنى عنه صفة أو نسبة بل هي كناية الموصوف
بشرط أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ، كقول الشاعر :

^١ علم البيان ، مصطفى هدارة ، ص ٨٣ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٢٩ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٩٧ .

^٤ ديوان حاتم ، ص ٥٦ .

الضاربين بكل أبيض مخدم والطاعنين مجامع الأضغان

فقد كنى بمجامع الأضغان عن القلوب وهي الموصوف ، ولا تكون الأضغان أو عاطفة الكره إلا بها .

وتنقسم الكناية إلى ^٢ :

١- كناية قريبة : فهي الكناية التي قلت لوازمها الذهنية أو كانت فيها العلاقة أو الملازمة بين المكنى به والمكنى عنه أمراً لا تتدخل فيه وسائط عدد ، وهذه الكناية تكون في العادة واضحة ظاهرة ، يسهل على معظم الناس إدراك المقصود منها ، ومن ذلك قول حاتم ^٣ :

وإني وإن طال الثواء لميت ويعطمني ماوي بيت مثقف

كناية عن " القبر " . وكثيراً ما يكنى عن القبر ومن ذلك قوله ^٤ :

ولا تشقين فيه فيسع

وارث به حين تخشى أغبر اللون مظلماً

يقسمه غنماً ويشري

كراماً

وقد صرت في خط

من الأرض أعظماً

في قوله : " أغبر اللون " أراد " القبر " ، والنمر كنى عن القبر ببيت واحد قائلاً ^٥

:

^١ علم البيان ، هدارة ، ٨٤ .

^٢ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ج ١ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٧١ .

^٤ السابق نفسه ، ص ٨٠ .

^٥ ديوان النمر ، ص ٤٤ .

قالب

۲۷.

وقوله^١ :

ولستُ إذا ما أحدث الدهر نكبة بأخضع ولأج بيوت
الأقارب _____

وفي عجر البيت كناية عن " الشجاعة " وربما العفة ، والطهر ، وحفظ الأقارب
في غيبتهم لأن هذا المعنى كثيراً ما يتناوله حاتم في ثنايا قصائده .

وقال^٢ :

فما رمته حتى أزحت عويصه وحتى علاه حالك اللون أسودُ

وقوله : " حالك اللون أسود " كناية عن الدم .

وقال^٣ :

ينام الضحى حتى إذا ليله استوى تنبه مثلوج الفؤاد
مورم _____

وقوله : " مثلوج الفؤاد " كناية عن الكسل وعدم الهمة .

وغير هذه الأمثلة كثير أما النمر فقال " من الكنايات القريبة " :^٤

وكل خليلٍ عليه الرع _____
والحبلات كذوب م _____

فقوله : " عليه الرعاث والحبلات " كناية عن النساء .

^١ السابق نفسه ، ص ٣٠ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٣٥ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٨٢ .

^٤ ديوان النمر ، ص ٩١ .

وقوله :

لا يعلم اللامعات اللامحات ضحى ما تحت كشي ولا يعلمن
أســــــــــــــراري

حاتم يکنى عن عفته بأن النساء لا يعرفنه ، ولا يعرفن أسرارہ .

وقال^٢ :

وقد كنت لا تشوى سهامى رمية فقد جعلت تشوى سهامى وتتصل

كناية عن الكبر ، والضعف ، والوهن الذي أصابه بعد صحة وعافية .

وهناك كنايات بعيدة كثيرة الوسائط بين المكنى به والمكنى عنه إلا أنها واضحة غير خفية لتداولها أو لوضوح الوسائط فيها . ومن ذلك قول حاتم^٣ :

إذا ما بخیل الناس هرت کلابه و شقَّ علی الضیف الضعیف عقورها

فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ بَيْتِي مَوْطُـــــــأُ أَجُودُ إِذَا مَا النِّفْسُ شَحَـ

ضَمُّـــــــرْهَا

وإن كلابي قد أهرت وع_____ودت
هر ي_____رها

فقد كنى عن جوده وكثرة قراه للأضياف بجبن الكلب ، ونباحه الزوار ، أمر هو طبيعة في الكلاب ولكن لما كثر الزوار اعتادهم الكلب . وربما سئم وتعب فتخلى عن عادته ، وكثرة هؤلاء الزوار دلالة على أن صاحب الدار قبلة للقاصي والداني ، ومن هذا إلى أنه يقرى الأضياف ، ومنه إلى صفة الجود .

^١ السابق نفسه ، ص ٧٤ .

^٢ السابق نفسه ، ص ١٠١ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٦٢ - ٦٣ .

ومن قول حاتم^١ :

نعمًا محلّ الضيف لو تعلمينه بليل إذا ما استشرفته

النوابـحُ

إذن الكلب ينبح كدليل على مكان صاحبه ، ولكن لا ينبح الزوار ليطردهم .

وقال حاتم - أيضاً^٢ :

لما رأيت الناس هرت كلابهم ضربت بسيفي ساق أفعى فخرت

وقوله : " هرت كلابهم " كناية عن البخل ، أي ينبح الكلب الزوار ومن ثم يبتعد الزوار خوفاً على أنفسهم فينقطع عنهم الزائر فيصيرون بأنفسهم في الدار لا يطعمون ولا يسقون ومن هنا نصل إلى صفة البخل .

وإن كان النمر حسن التشبيهات ، عميق الأوصاف ، والاستعارات فحاتم له حظ من الكناية فاقه فيه قليلاً ، وما عرضنا عليه إنما نماذج ترينا جوانب من استخدامهما لتلك الفنون البلاغية .

^١ ديوان حاتم ، ص ٣٣ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٣٢ .

الفصل الثالث

بناء القصيدة

القصيدة العربية :

من المؤكد أن القصيدة العربية مرت بأطوار عديدة إلى أن وصلتنا بهذه الطريقة المهذبة ، المنمقة ، المتزنة ، ولا نسلم بأن امرأ القيس ، و المهلهل من ابتكراها - وأفاض في هذا الأمر النقاد قديمهم وحديثهم^١ - .

كما لا يمكننا تحديد مبتكر لها ، ولكن نقول إن القصيدة العربية استوت عند هؤلاء وفي عصرهم ، فعدت فترتهم البداية الأساسية الناضجة للقصيدة العربية ، ونرجع هذا لعوامل عديدة منها ما كان متصلاً باللغات ، أو المعاني ، أو الديانات وقيل^٢ : (.. وجدت في الشعر عوامل أسرعت به إلى الإتقان ، والنضوج . فقد تغلبت لهجة قريش على اللهجات الأخرى ، وأصبحت لغة الشعراء من جميع القبائل ، واهتدى العرب إلى تفاعيل ، وأعاريض كثيرة نظموا منها أشعارهم . ذلك من حيث اللغة ، أما من حيث المعاني فقد حدثت في شبه جزيرة العرب أحداث سياسية عند العرب ، وكثرت رحلاتهم إلى البلاد المتاخمة ، وكثرت تبعاً لذلك مشاهداتهم ، وتسربت إلى داخل شبه الجزيرة الوثنية ، وتعاليم مسيحية ، ويهودية " ، وارتقت حياة العرب المادية بعض الشيء واشتعلت الحروب .. فمن مجموع هذه العوامل ولد الشاعر الناضج صاحب الكلمات المتزنة ، والأخيلة الواسعة ، والمدارك المتفتحة ، والمقدرات الكبيرة ، وكان الرجز ثم القصيدة بل المعلقات ، أو المطولات التي تحمل نظاماً معيناً من المعاني والموضوعات .

^١ انظر تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي " ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٢٢ ، القاهرة - مصر ، ص ١٨٦ .

^٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه أحمد إبراهيم ، ط ؟ ، ١٩٣٧ ، ص ١٦ .

(ونرى^١ أصحاب هذه القصائد يفتتحونها غالباً بوصف الأطلال ، وبكاء آثار الديار ثم يصفون رحلاتهم في الصحراء ، وما يركبونه من إبل ، وخيل ويمضون في تصويراتهم ثم يخرجون إلى الغرض من قصيدتهم مديحاً أو هجاءً ، أو فخراً أو عتاباً ، واعتذاراً أو رثاءً) .

كما أن القصيدة العربية اتسمت بالتعدد في أغراضها ، وموضوعاتها ، وفنونها واتفق في هذا كل الشعراء الجاهليين وأغلب من أتى بعدهم .

وإذا نظرنا إلى القصيدة العربية ككل لوجدناها مجموعة من القواعد ، والقوانين الإنسانية مرتبة ترتيباً تعرفه العرب جيلاً تلو جيل حتى صار ديدناً ذمُّ كل من خرج عنه . ومنهم من شبه القصيدة العربية بالإنسان في اتصال أجزائه ببعض ، وقيل^٢ : (.. إذا قدمت مؤخراً ثم أخرت مقدماً أفسدت الصورة وغيّرت المعنى كما لو حول الرأس موضع اليد أو اليد موضع الرجل) . إذن هي ثلاثة أجزاء رئيسة : مبدأ ، وخروج ، وخاتمة .

^١ تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي " ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، دار المعارف ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

^٢ فن التحرير العربي - ضوابطه وأنماطه - ، محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر و التوزيع ، حائل - السعودية ، ط ٥ ، عام ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م ، ج ١ ، ص ١١١ .

المبحث الأول

المطلع

وهو أول المبدأ وأول المقدمة وهو البداية ، والمفتتح ، والواجهة للبيت يعكس فيه الشاعر مقدراته ، ومستواه ، ودرجته من النظم ومع ضرورته " المعنوية " ، فهو وسيلة لجذب السامع ، وترغيبه على السمع ، والإضغاء ، وهو تهيئة ، وتمهيد به يستقطب القراء ، والسامعين فيطلعهم على ما يريد " حكماً ووصايا ، ومدحاً ، وفخراً ، وحماسة ..) ، وبه يصل إلى ما يصبو في أرقى أسلوب ، وأكمل صورة ، ويكون القارئ أو السامع في غاية البسطة والهدوء .

ولما للمطلع من مكانة مُمَيِّز وأطلقت عليه الآراء والأحكام فمنها ما هو موضوعي ومنها ما دون ذلك .

ووضعوا له القواعد والقوانين ، ومنهم من قال^١ : (فينبغي للشاعر أن يحترز في مفتتح أشعاره مما يُتَطَيَّرُ به ، أو ما يستجفى من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ، ووصف إفقار الديار ، وتشئت الألف ، ونعي الشباب ، ودم الزمان ، ولاسيما في القصائد التي تتضمن التهاني ، وتستعمل هذه المعاني في المراثي ، ووصف الخطوب الحادثة حذراً أن يتطير السامع ، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه) .

ومنهم من لخص وعلق على قول ابن قتيبة - في هذا الموضوع - قائلاً^٢ : (.. ولكن لا بد للشاعر قبل الدخول في الموضوع المقصود من التمهيد للطلب لهذا بذكر الديار والآثار ..) إذن ينبغي أن يكون المطلع ، والمقدمة بأكملهما مناسبين للمهد له والمراد التحدث عنه .

^١ من النقد والأدب ، أحمد أحمد بدوي (المجموعة الخامسة) ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٥ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ص ١٥٦ .

^٢ مفاهيم في الأدب والنقد ، حكمت علي الألوسي ، مطبعة دار التأليف ، بغداد - العراق ، عام ١٩٧٦م - ١٩٧٧م ، ص ٩٦ - ٩٧ .

وينبغي أن تكون حدود المطلع " رقة اللفظ وعذوبته ، وقوته ، وصدقه " ، وكل من ذلك في موضعه الذي يليق به ، ويتأتى معه . ومن المعايير التي وضعت للمطلع^١ :

١- أن يكون المطلع مطابقاً ومناسباً للموقف ، ولذلك عاب النقاد على الشاعر ذي الرمة* مطلع قصيدته التي مدح بها الخليفة إذ قال :

مأبال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كل مفرية سرب

واتهموه بفساد الذوق ، لأن المقام مقام مدح ، ومثل هذا المعيار ينبغي أن يكون في القصيدة كلها ، وليس مقتصرًا على المطلع .

٢- أن يكون قويًا وله روعة ، كقول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقولنا فيه كقولنا في المعيار السابق ، وينبغي أن يضيفوا عنصراً أهم مع القوة والروعة وهو أن يكون " جذاباً " فهذه الصفة تميزه كمطلع ومفتتح للكلام .

٣- أن يكون المطلع خالياً من التعقيد ، فقد عاب النقاد قول المتنبي^٢ :

أرق على أرق ومثلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

والتعقيد مذموم في كل الكلام منشوره ومنظومه ، وليس هذا مختصاً بالمطلع وحده ، فمن النقاد من أخذ على التعقيد حتى داخل القصيدة وهم أكثر ، والأمثلة أكثر، ومنها ما هو عند أبي الطيب نفسه حينما قال^١ :

^١ قضايا النقد القديم ، محمد صايل حمدان و عبد المعطي نمر موسى و معاذ السرطاوي ، ط ١ ، عام ١٤٠٤ - ١٩٩٠م ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد - الأردن ، ص ٧١ - ٧٢ .
* غيلان بن عقبة .

^٢ ديوان المتنبي ، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي ، ج ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦م ، ص ٧٣ .

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل

٤- أن يكون المطلع خالياً من الأخطاء النحوية ، وعابوا على المتنبي قوله ^٢ :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وماشفت نسيسا

٥- أن يكون المطلع نادراً انفرد الشاعر باختراعه كقول المتنبي ^٣ :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

ومن العناصر السابقة ما هو " حكم عام " ولا نخص به المطلع فحسب ، فينبغي أن يكون المقال مناسباً المقام ، وأن تكون أبيات القصيدة قوية ورائعة ، وغير معقدة ولا تحوي أخطاءً نحوية أو صرفية أو لغوية .. ، وتكون الألفاظ والمعاني مبتكرة قدر المستطاع ، كل هذا مسلّم به لكن أحسب أنه ليس بمقدورنا أن نضع قواعد محددة ونحصرها لتمكن الشاعر من الإتيان بمطلع مستوف للشروط .

وربما استوفى مطلع الشاعر كل ما سبق من شروط ومع هذا يُحكم له بالجودة ، إذن هذه المسألة مع ما سبق ذكره منوطة بالقلب ، والذوق المحض ليس إلا ، وما ذكر أساسيات عامة وليست معايير خاصة بالمطلع - مثلاً - أخذ على المتنبي يقوله :

أرق على أرق ومتلي يــــأرق
تترقــــرق

وأرى فيه جمالاً أخاذاً ، ورقة متناهية ، وإحساساً عذباً يخترق شغاف القلوب ، مع حلاوة الجرس ، ورقة النغم ، وليس المطلع وحده بل القصيدة بأكملها ، وصدق من قال : " لولا اشتعال النار فيما جاورت .. " .

^٢ السابق نفسه ، ص ٢٩٣ .

^٢ ديوان المتنبي ، البرقوقي ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٣٠٧ .

والمتنبى أحسن في المقدمة بأكملها وجعل لها قدراً وبسطة في النسيب ، وانتقل إلى غير هذا من الموضوعات بطريقة رائعة لائقة .

وهناك من قال^١ : (.. فإن الشعر قفل أوله مفتاحه ، ينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة ، وليتجنب " ألا " و " خليلي " و " قد " ، فلا يستكثر منها في ابتدائه ، فإنها من علامات الضعف والتكلان ، لا للقدماء الذين جروا على عرفه وعملوا على شاكلة ..) .

كيف لحروف كـ " ألا " و " قد " وكلمة كـ " خليلي " أن تكون مقياساً لجودة بيت بأكمله بيت له حظه من المعاني والصور والايحاءات ؟ وكيف نحكم على بيت كامل وما حوى من أفكار ومعانٍ بالضعف والتكلان لمجرد كلمة أو حرف أتيا في أوله ؟ .

لا عقل ولا منطق يرتضي هذا من جهة المعنى ، أما إذا نظرنا إلى جانب محاكاة الأقدمين وما إلى ذلك ، فهذا أمر خاض فيه من خاض فلأقدمين نصيب من الأنصار وللمحدثين نصيب . والعمل الأدبي قديمه وحديثه له قواعده وأحكامه ، والحكم الأول والأخير هو " الذوق " فربما خرج إلى أشياء خالف فيها القواعد والقوانين العامة ، وانفرد المتذوق بقانونه الخاص ونظرته الفردية وذوقه الذاتي .

لم تكن للقصيدة عندهما أجزاء كما في القصيدة العربية القديمة لأن الغالب على شعريهما المقطوعات القصيرة ، ولكن أحياناً يبدآن بعض قصائدهما بـ " الوقوف على الأطلال ، ووصف الديار ، وذكر الشيب والكبر ، ووصف الدهر " ومن أمثلة ابتدائهما بالوقوف على الأطلال ووصفها والحنين إليها قول حاتم^٢ :

أُتْعِرَفْ أَطْلَالاً وَنَوِيّاً مُهْمَماً
كخُطْكَ فِي رِقِّ كِتَابِ مَنْمَمَا

^١ العمدة ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٧٩ .

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً وأياماً وحولاً
مجرماً _____

وقال^١ :

أرسماً جديداً من نوار تعرف تسائله إذ ليس بالدار موقفُ
وقال النمر^٢ :

أشافتك أطلال دوراس من دعد خلاء مغانيها كحاشية البردِ
وقال^٣ :

تأبد من أطلال جمرة مأس_____ل وقد أقفرت منها
شراء فيذب_____ل
وفي عذل العاذلات والرد على لومهن يقول حاتم^٤ :

وعاذلة هبت بليل تلومن_____ي وقد غاب
عيوق الثريا فع_____ردا

تلوم على إعطائي المال ضلة إذا ضن بالمال البخيل وص_____ردا
تقول : ألا أمسك عليك فإنني أرى المال عند الممسكين معبدا
ذريني وحالي إن مالك واف_____ر وكل امرئ جاري على
ما تعودا

^١ السابق نفسه ، ص ٤٧ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٥٦ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٩٤ .

^٤ ديوان حاتم ، ص ٤١ .

وقال حاتم - أيضاً^١ - :

مهلاً نوار أقلّي اللوم والعـ _____ ذلاً _____ ولا تقولي لشيء
فات ما فعـ _____ لـ _____

ولا تقولي لمال كنت مهلك _____ مهلاً وإن
كنت أعطي الجن والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة _____ إن الجواد يرى في ماله
سبـ _____ لا

وقال - أيضاً^٢ - :

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة _____ بعيداً نأني صاحبي
وقريبـ _____ يـ _____

ترى أن ما أبقيت لم أك ربـ _____ وأن الذي أمضيت كان
نصيبـ _____ يـ _____

وقال^٣ :

قالت لتعذلي من الليل اسمع _____ سفها تبيتك الملامة فاهجعي
لا تعجلي لغد وأمر غد لـ _____ أتعجلين الشر ما
لم تمنعـ _____ يـ _____

وقال حاتم أيضاً - في الغزل والتشبيب -^٤ :

أماوي! قد طال التجنب والهجر _____ وقد عذرتني من طلابكم العذر

^١ السابق نفسه ، ص ٧٣ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٤٣ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٨٢ .

^٤ ديوان حاتم ، ص ٥٠ .

وقال^١ :

صحا القلب من سلمى ومن أم عامر وكنت أراني عنهما غير صابر

وقال النمر^٢ :

صرمتك جمره واستبد بداره _____
عوادي الحرب دون مزارها

وقال أيضاً^٣ :

ألم بصحبتني وهم هجـ _____
خـيال طارق من أم _____
حـصـ _____
نـ _____

وعن ذكر الكبر يقول النمر^٤ :

تصابى وأمسى علاه الكبـ _____
وأمسى لجمرة _____
حـبـ _____
لـ _____
رـ _____
رـ _____

وعن وصف الدهر يقول حاتم^٥ :

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد كذاك الزمان بيننا
يـتـ _____
رـدـ _____

^١ السابق نفسه ، ص ٥٢ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٦٧ .

^٣ السابق نفسه ، ص ١٣١ .

^٤ السابق نفسه ، ص ١١٤ .

^٥ ديوان حاتم ، ص ٦٣ .

يرد علينا ليلة بعد

يومه

أ فلا نحن ما نبقي ولا الدهر ينفد

وما سبق إحصاء لمقدماتهما وتفصيل من الأكثر ، إلى القليل ، فالأقل . وامتازت مقدماتهما بالجودة إلا أنها قليلة وها نحن قد حصرناها فيما سبق .

إني لأعلم أنني سوف يدركني
يومي وأصبح عن دنياي مشتغلاً

فليت شعري وليت غير مدرك _____
أضحى بنو ثعلب _____

وهذه الأبيات الأخيرة كانت أبيات انتقال ، انتقل فيها الشاعر من مقدمته " العذلية الوصفية " إلى وصيته لقومه وعشيرته " بنو ثعل " وأحسبه أحسن التخلص في هذه الأبيات .

من التخلص قول النمر^١ :

قالت لتعذلي من الليل اسمع سفهاً تبيتك الملامة فاهجعي
لا تعجلي لغدٍ وأمر غد _____
لم تمنعني _____
قامت تبكي أن سبأت لفيت _____
مقط _____

واستمر في حوارهِ مع زوجته في بقية الأبيات .

ولكن حاتماً لم يجد التخلص وقفز قفزة واضحة من المطلع إلى بيت الحكمة فهو يقول^٢ :

أرسماً جديداً من نوار تع _____
بالدار _____

تبغ ابن عم الصدق حيث لقيته فإن ابن عم السوء إن سر يخلفُ

^١ ديوان النمر ، ص ٨٢ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٧٠ .

وإني لأقري الضيف قبل سؤاله وأطعن قدماً والألسنة
ترعُفُ

وقيل^١ : " من حسن الخروج عن بكاء الطلل ، وصف الإبل ، وتحمل الأظعان
وفراق الجيران - بغير دع ذا ، وعد عن ذا ، واذكر كذا ، بل من صدر إلى عجز لا
يتعده إلى سواه ولا يقرنه بغيره " ، ومما استشهدوا به قول حاتم الطائي - يمدح بني
بدر^٢ :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتي فحلي في بني بدر

والقصيدة العربية القديمة تحمل عدداً من الموضوعات والأغراض الشعرية فخراً
ومدحاً ، ورثاءً وغير ذلك " حيث كانوا يروحون عن أنفسهم ، وسامعيهم بهذا
الاستطراد الجميل ، وبتعداد نواحي القصيدة ومراميها تكون أشد أثراً وسحراً^٣ . إذن
القصيدة طويلة، فحاتم له تسع قصائد فوق الخمسة عشر بيتاً ، أما النمر فله ست قصائد
طويلة " فوق الخمسة عشر بيتاً " وما دون ذلك قصائد ومقطوعات ، ومنهجها في هذه
القصائد :

- يتبدآن - أحياناً - بالبدايات التقليدية القديمة .

- لا ينتقلان بين موضوعاتهما بـ " دع عنك ، واترك ذا ، ودع ذا .. " .

- غلب على أشعارهما الموضوع أو الغرض الواحد ولا سيما حاتم .

- يتخلصان بطريقة سلسلة بين موضوعاتهما وأفكارهما داخل القصيدة .

^١ قواعد الشعر ، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، أبو العباس ، المعروف بـ " ثعلب " ،
تحقيق: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة - مصر ، ط ٢ ، عام ١٩٩٥م ، الباب :
حسن الخروج .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٥٤ .

^٣ العمدة ، لابن رشيق ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

وحدثت للقصيدة تطورات عديدة ، وصار الشعراء ينظمون في غرض واحد ، ولكن احتفظوا ببعض ملامح القصيدة القديمة ولا سيما المطالع والبدايات ، ومن هذا ينبغي أن يحدث تطور دلالي لمصطلح " التخلص " وأرى أنه من الدقة أن نعيد تعريفه قائلين عنه - مثلاً - : " هو التنقل بين الأفكار المختلفة داخل الغرض الواحد " ، أو أي تعريف آخر يناسب مفهوم التخلص الحديث .

المبحث الثالث

الخاتمة

والشاعر يلّمح بأفكاره أو يصرّح بها داخل قصيدته ، ويأتي في الخاتمة بخلاصة ما يريد مع مراعاة الإنسياب بين الأول والأخير، وعلى الشاعر أن يعطي الخاتمة حظاً من الإهتمام ، فكما قلنا إن للمطلع أهميته وأثره في نفس السامع كذلك الخاتمة لا تنقص من ذلك شيئاً إذ أنها آخر شيء يبقى في الأذان ، وآخر الكلام ألصق بالجنان ، وذلك لأن الشاعر الحاذق يأتي فيها بالحكم الشافية ، والعبارات الكافية ، والكلمات المقدرة على المعاني .

ومنهم من عرف الإنتهاء قائلاً^١ : (هو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه) . والنمر يحسن ختم قصائده ومن ذلك قصيدته " سلا عن تذكره تكتما .. " وقصيدته " ألمّ بصحبتني وهم هجود .. " .

كل ذلك رغبة في أخذ العفو ، وإسقاط الكلفة ، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله - يصف السيل عند شدة المطر -^٢ :

كأن السباع فيه غرقى غديّة بأرجائه القصوى أنابيش عُصلٍ

ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها رغبة مشتهية ، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يعتمد جعله خاتمة ، ونجد مثل هذا في قصيدة " ظل عفاتي مكرمين " والتي يقول حاتم في آخرها^٣ :

ألا ليت أن الموت كان حمامه ليالي حل الحي أكناف حابر

^١ العمدة ، لابن رشيق ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٥٣ .

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه _____
حشيتا ولا أرى إلى
قول زاجرٍ

ودوية قفر تعاوى سباعه _____
اليتامى في حذار التراتر

قطعت بمرداة كأن نسوعه _____
تشد على قرم
علندي مخاطر

ومن ذلك قول النمر متحدثاً مع زوجته التي تعذله على العطاء قائلاً^١ :

لا تطرديهم عن فراشي إنَّ _____
أن سيخلو مضجع _____
ي

هلا سألت بعادياء

وبيت _____
والخل والخمر التي لم
تمن _____
ع

وفتاتهم عنز عشية أنس _____
ت من
بعد مرأى في الفضاء ومسمع

قالت أرى رجلاً يقلب نعل _____
أصلاً
وجو آمن لم ي _____
فزع

فكأن صالح أهل جو ع _____
دوة صبحوا
بذيفان السمام المنق _____
ع

كانوا كأنهم من رأيت فأصبحوا يلوون زاد الراكب
المتمة _____
ع

^١ ديوان النمر ، ص ٨٥ - ٨٧ .

ورأت مقدمة الخميس وقبلاً _____ه رقص

الركاب إلى الصباح بتبع

قالت يمامة املوني قائماً _____اً إن تبعثوه

باركاً بي أض _____رع

والغالب على أشعارهم القطع ، والمقطوعات القصيرة والتي لا يحتاجون فيها
لأجزاء وأقسام .

القصيدة ، فأى إخلال بترتيب الأبيات أو حذف يوهم أو يفسد أحياناً فتختل المعاني
المرجوة ، ومثل هذا وجدناه عند حاتم إذ يقول^١ :

إن عدياً إذا ملكت جانبه _____
أمر غوث على مرأى ومستمع

ثم قال :

أتبع بني عبد شمس أمر صاحبهم أهلي فداؤك إن ضرروا وإن
نفعوا

فجواب " إذا " محذوف ، وربما يكون مفقوداً سقط كما سقط الكثير من أشعار
العرب ، وكذلك النمر لم يسلم فهو يقول - مخاطباً من يحب^٢ - :

على أنها قالت - عشية زرتها - : هبلت ألم ينبت لذا حلمه
ب_____

أُست بشيخ قد خطمت بلحية _____
فيقصر عن جهل الغرائقة المرد

وإني كما قد تعلمين
لأنق _____ تقاي
وأعطي من تلادي للحمد

فهناك جواب غير موجود بين البيتين الثاني والثالث وكان عليه أن يقول - مثلاً -
:

أُست بشيخ قد خطمت بلحية فيقصر عن جهل الغرائقة المرد

^١ ديوان حاتم ، ص ٦٩ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٥٧ .

بلى إنني شيخ سبته يدُ الهوى فبات يعاني جاهداً جمرة

البعد

وللخروج من مثل هذه القواعد المحكمة دعا البعض إلى وحدة البيت الواحد في القصيدة " وهذا يعني استقلاله استقلالاً تاماً في تركيبه ، وبنائه عن سابقه وعن لاحقه ، وهذا لايعين الذاكرة على حفظ القصيدة بأكملها بل ربما كان سبباً في حدوث شيء من الخلط في نظام القصيدة ، ومواضع الأبيات فيها مما يظهر القصيدة في بعض الأحيان مختلطة مضطربة في الترتيب والنظام ، ومن المعلوم أنه كلما تماسكت أجزاء القصيدة .. كانت أشد بناءً وأحكم نسجاً فتجيء القصيدة كلاً واحداً كالسلسلة الواحدة المتصلة الحلقات ^١ " .

ولكن هناك من نادى بوحدة البيت وقيل : (من العيب الواضح عند قدماء الناقدين احتياج البيت إلى آخر ليتم معناه ، فالمعنى يطول عن أن تحتل العروض تمامه في بيت واحد ، فيقطعه الشاعر بالقافية ويتمه في البيت الذي يليه ^٢) .

ونجد مثل هذا عند حاتم إذ إن جل موضوعاته واحدة معروفة ينتقل من طريقة إلى أخرى ، ولكن المعاني العامة مشتركة إلا أن كل بيت يمثل وحدة بذاتها ^٣ :

إذا مات منا سيدٌ قام بعده _____
يغني غناه ويخلفُ

وإني لأقري الضيف قبل سؤاله وأطعن قدماً والألسنة ترعفُ

وإني لأخزي أن ترى بي بطنة وجارات بيتي طاويات ونحفُ

^١ في تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، طبعة دار التراث الأول ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

^٢ في النقد الأدبي ، علي علي مصطفى صبح ، د ط ؟ ، ط ؟ ، ج ١ ، ص ٤٨ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٧٠ .

هـ هـلا سألت بعاديا وبيت

تما

ع

من بعد مرأى في الفضاء ومسمع

أصلاً وجو آمن لم

ف

ز ع

بذیفان السمام المنقة

المنة

ويقول^١ :

إذا الريح جاءت من أمام أخائف وألوت بأطناب البيوت
صدورها _____

فإننا نهين المال في غير ظنة _____ وما تشتكينا في
السنين ضريرها _____

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه _____ وشق على الضيف
الضعيف عقورها

فإنني جبان الكلب بيتي موطن _____ أجد إذا ما النفس
شحّ ضميرها _____

أما النمر فأكثر منها^٢ كذلك ولكن أغراضه أكثر تنوعاً ، فهو يقول^٣ :

فإذا أتاني إخوتي فدعهم يتعللوا في العيش أو يلهوا معي

ويقول^٤ :

إذا كنت في سعد وأمك منهم غريباً فلا يغررك خالك من سعد

ويقول^٥ :

وخرق إذا مانام طافت حوله طوف الكعاب على جنوب دوارها

^١ ديوان حاتم ، ص ٦٢ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٣٨ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٨ - ٦١ - ٧٢ - ٨٧ - ٩٩ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١٢٢ - ١٣٢ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٤٨ .

^٣ السابق نفسه ، ٨٤ .

^٤ السابق نفسه ، ٦٠ .

^٥ السابق نفسه ، ص ٧٠ .

ويقول :

ألا إنّ شيب الرأس ليس بأفة تضيرك إلا في النساء
الجواهر

كما لهما العديد من الألفاظ والأساليب كثيرة التكرار ، مشتركة بينهما ، كاستخدامهما واو ربّ^٢، والترخيم^٣ وذكر الخمر^٤ .

وأحياناً يكرر عبارات كاملة كقوله ° :

فلا تسأليني واسالي أي فـ_____ارس
الكنيف المستـ_____را

ولا تسأليني واسألي أي فــــــــــــــارس إذا الخيل
جالت في قنا قد تكسرا

فلا هي ما ترعى جميعا عشارها ويصبح ضيفي ساهم الوجه أغبرا

متى ترني أمشي بسيفي وسطها تخفي وتضمر بينها أن
تجـزأ

وإني لأغشى أبعد الحي جفنتي إذا ورق الطلح الطوال
تحسرا

فلا تسأليني واسألي بي صحبتي إذا ما المطي بالفلاة
تضــــــــــــــوِّرا

^١ السابق نفسه ، ص ١٠٩ .

^٢ ديوان حاتم ، ص ٢٩ - ٣٦ - ٣٧ - ٤٠ - ٤٤ - ٤٤ - ٦٣ - ٦٤ - ٨٢ - ٨٤ ، وديوان النمر ص ٤٤ - ٦٦ .

^٣ السابق نفسه ، ص ٣٣ - ٥٠ - ٥١ ، وديوان النمر ص ٤٦ - ١٤٤ .

^٤ السابق نفسه ، ص ٤٥ - ٥٠ - ٥١ ، وديوان النمر ص ٨٣ - ٨٥ - ٨٩ - ١٤٤ .

^٥ السابق نفسه ، ص ٤٨ - ٤٩ .

وإني لو هاب قطوعي وناقته _____ ي إذا ما

انتشيت والكميت المصدرا

وإني كأشلاء اللجام ولن

ت

_____ ري أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبراً

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمريت عن ساقها الحرب شمرا

وإني إذا الموت لم يك

دون

_____ قدى الشبر أحمي الأنف أن أتأخرا

ففي هذه القطعة كثير من الكلمات والعبارات المكررة كقوله: (فلا تسأليني) وقوله : (ساهم الوجه أغبراً) وقوله : (أخو الحرب) و(وإني) و(إذا) ، والتكرار قد يكون عظيم الأهمية في تبصيرنا بنفسية الشاعر ، أو مثله العليا كما يدل على إعجابه ببعض الصور الفنية ، وقد يكون وسيلة لمعرفة بعض صفات الممدوحين الحقيقية (وإن كان هو نفسه) .

وتكرار الشاعر لبعض المعاني قد يدل على امتلائه بها ، وانشغاله بأمرها ، حتى لتستطيع أن ترى فيها أفكاره الأساسية^١ .

وفي هذه الأبيات يبصرنا حاتم شجاعته ، ويفخر ببسالته ، وعطائه ، وإكرامه الأضياف .

ولهما الكثير من الألفاظ ، والصيغ المكررة ، والمشاركة بينهما ، وهذه تنبئ عن مشاعر مشتركة ، ونفسية واحدة ، نفسية العربي الأصيل الحامي لقبيلته ، المدافع عند قيمه ، وموروثاته الأخلاقية ، والرامي بكل أسهمه في سبيل الحفاظ على الأعراف

^١ النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٩٦م ، ص

والتقاليد الخيرة ، الباني لنفسه مكانة بين سراة القوم وساداتهم بلا تواكل ، ولا تخاذل ، ولا اتكاء على مجد الآباء ، والأجداد .

المطلب الثاني : الأبيات التي استشهد بها لكلا الشاعرين :

كان النحاة واللغويون من أشدّ العالمين غيرة على ما يخصهم ويعنيهم من أشياء " الأقربون ، القبيلة ، الأصدقاء ، العادات ، التقاليد والأعراف " ، واللغة من أولى تلك الأشياء فوجهوا تلك الطاقة والمشاعر الدفاقة إلى التباهي ، والتفاخر بها لأن وضع القواعد والقوانين أمر صعب يحتاج جهوداً (مادية ، ومعنوية) مضنية .

وهي لغة واسعة الأبواب كثيرة الدروس عميقة التفاصيل ، تفهمها إن ما سمعتها وتبحر في أقصى أفاصيحها إن ما أردت تفسير حرف فيها دعك من كلمة ، ولم تدون بادئ الأمر وحينما اختصها الله وعاء لكتابه الحكيم زاد العرب أنفةً على أنفة ، وفخراً على فخر ، وحباً على حُب ، ومن ثم وضعت القوانين ، ودونت ، وبوبت ، ورتبت ، وأفاض بعض الناس في علومها كثيراً فاتفقوا في بعض الأشياء واختلفوا في أخرى ومن هذه الاختلافات كانت المدارس النحوية (البصرية ، الكوفية) ولازال الناس يغرفون من ذاك البحر الذي لا ينضب .

إن المرحلة الأولى كانت تدويناً لقواعد اللغة ، وما بعد ذلك دراسة واستقصاء واكتشاف إلى يومنا هذا ، وكلما عرضت لهم مسألة تخالفوا وتنازعوا فيها رجعوا إلى ديوان العرب ، ومخبأ أسرارهم ، وأخبارهم ألا وهو (الشعر العربي) يردهم إلى صوابهم ، ويرجح كفة احتجاجهم ، ولما كان شاعرانا أهل عروبة ، وقدم ، وسليقة ، وفطره سليمة ، رجعوا لهما ، واستشهدوا بأشعارهما ، ومما استشهدوا به قول حاتم^١ :

وأغفر عوراء الكريم إدخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

^١ ديوان حاتم ، ص ١٨ .

أي^١ : لإدخاره .

وبعضهم قال^٢ : أي أدخره إدخاراً . وكذلك في قولك (تكرماً) أي : اتكرم تكرماً .

وقال النمر^٣ :

هلا سألت بعاديا وبيته _____
والخل والخمر التي لم تمنع

هلاً سألت بعاديا وبيته ؛ أي هلاً سألت عنه - الباء في موضع عن - والخل والخمر التي لم تمنع .

وقال : يجوز حذف الشرط ، والجزاء معاً وإبقاء الأداة ، واستشهدوا بقول النمر ابن تولب^٤ :

فإن المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما

أي : أينما يذهب تصادفه .

^١ الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، أبو بشر ، الملقب ب سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ط٣ ، عام ١٤٠٨ - ١٩٨٨ ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

^٢ الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرد " أبو العباس " ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

^٣ ديوان النمر ، ص ٨٥ .

^٤ شرح التصريح علي التوضيح ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى زين الدين المصري ، وكان يعرف بـ (الوقاد) دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

ومن أبيات النمر التي استشهد بها سيبويه^١ قوله :

لا تجزعي إن منفساً أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

على أن الكوفيين أضمرُوا فعلاً رافعاً لـ (منفس) ، أي إن هلك منفسٌ ، أو هلك منفسٌ ، أورده في باب الإشتغال أيضاً كذا ، وأما البصريون فقد روه : (لا تجزعي إن منفساً أهلكته ، وكذا أورده سيبويه بنصب منفس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره (إن أهلكت منفساً أهلكته) ، فأهلكته المذكور مفسر للمحذوف .

وهناك أبيات استخدمها اللغويون ليفسروا بها بعض الأشياء ، من ذلك استشهدهم بقول حاتم في تفسير كلمة الريان ، وقيل : الريان جبل بين بلاد طي والأسد ، قال حاتم :

لشعب من الريان أملك بابه أنادي به آل الكبير وجعفر

وقال النمر^٢ :

ولا أسقي ولا يسقى تشريبي وأمنعه إذا أوردت مائي

قال : شريبه الذي يشرب معه ، والمعنى : لا أسقي حتى يسقى شريبي ، كما تقول : لا آكل ولا يأكل أخي ، أي لا آكل حتى يأكل أخي ، وأمنعه : أراد ولا أمنعه .

وقوله^٣ :

فلا الجارة الدنيا لها تلحينها ولا الضيف فيها إن أناخ محول

^١ خزانة الأدب ، البغدادي ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

^٢ ديوان النمر ، ص ٣٥ .

^٣ المعاني الكبير في أبيات المعاني ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : سالم الكركلوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، ط ١ ، ١٣٦٨ - ١٩٤٩ ، الباب الأبيات في مكارم الاخلاق .

وقالوا أخذ من قول النمر:

فصدت كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقالوا في بيت النمر^١:

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فواكبدا مما لقيت علي دعد

ما له هم إلا من يعشقها بعده ؟ ألا قال^٢:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

المبحث الثاني

المعجم الشعري

لكل منّا كلمات وأساليب يكثر استخدامها ، وتتكرر في كلامه ويعتبرها وسيلة أسهل وأداة أيسر للتعبير عن ذاته فيظل يرددها في عامة كلامه أو نثره أو شعره .

وإن تفرد النمر بالقصص والحاكايات والسرد ، وامتاز حاتم عن صاحبه بأسلوب الحوار سواء كان هذا الحوار حقيقياً كما في حديثه مع ماوية ، أو العاذلة أو غير حقيقي متكلف يفترضه في خياله بغية الفخر وتوسعة لأساليبه .

ومع اختلاف الأساليب الكلامية وتنوعها ، فقد علقت بأذهانهما كلمات معينة فجرت على لسان كل منهما ، وباتا يكررانها بين الفينة والأخرى ، ويتضح ذلك جلياً في قول حاتم^١:

^١ ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، دار الجيل - بيروت ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

^٢ التذكرة الحمدونية ، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤١٧هـ ، ج ٧ ، ص ٢٩١ .

أماوي ! قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني عن طلابكم
العذر

أماوي ! إن المال غادٍ ورائه ح ويبقى
من المال الأحاديث والذكر

أماوي ! إني لا أقول لسائ ل
إذا جاء يوماً حل في مالنا نزر

أماوي ! إما مانع

فمبدي

وإما عطاء لا ينهنهه

الزج

ر

أماوي ! إما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر
والتكرار ظاهرة قديمة استعملها الشعراء كثيراً لأسباب نفسية كثيرة كالشوق ،
والحنين مثلاً^٢ وما سبق ذكره درج تحت التكرار الملفوظ .

ومن الألفاظ التي تكررت عنده لفظ المال وفي الأبيات السابقة تكرر مرتين وفيما
عداه أكثر من خمس عشرة مرة ومن ذلك قوله^٣ :

^١ ديوان حاتم ، ص ٥٠ - ٦٦ - ٤٥ - ٧١ - ٩٠ .

^٢ انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، دار الآثار الإسلامية ،
ط ٣ ، الكويت ، ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ ، ص ٨٨ - ١٤٩ .

^٣ ديوان حاتم ، ص ٤٠ - ٤١ - وكذلك ذكره في - ص ٣٥ - ٥٠ - ٥١ - ٥٩ - ٦٢ - ٧٣ - ٨٠ -
٨١ .

وعاذلة هبت بليل تلومني _____ وقد
غاب عيوق الثريا فع_____ردا

تلوم على إعطائي المال ضلّة إذا ضن بالمال البخيل
وص_____ردا

تقول : ألا أمسك عليك فإنني أرى المال عند المسكين
معب_____دا

ذريني وحالي إن مالك واف_____ر وكل امرئ جار على
ما تع_____ودا

أعاذل لا آلوك إلا خليقة _____ي فلا تجعلي
فوقي لسانك مب_____ردا

ذريني يكن مالي لعرضي جنة يقي المال عرضي قبل أن يتبددا
ويقول بعد تلك الأبيات :

يقولون لي: أهلك مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سي_____دا
ثم يقول :

سأذخر من مالي دلاصا وسابحا وأسمر خطيا وعضبا
مه_____دا

وذلك يكفيني من المال كل_____ه
مصونا إذا ما كان عندي متلدا

أي أورد كلمة " المال " في هذه القصيدة وحدها تسع مرات وهذا في الرد على
عاذلته والمال هو الموضوع الأساس في هذه القصيدة ، بل في أغلب موضوعات حاتم
أيا كان هذا المال . فإما يكون في موضع فخر ببذله ووهبه أو رداً على من يلوم أو
منعاً من بخيل تأديباً وتأنيباً ، وتحدثنا عن ذلك في الموضوعات آنفة الذكر .

ومما يُخزي منه ويُتخرج البطننة ، فهي شيء يكرهه حاتم وذلك في قوله ^١ :

وإني لأخزي أن ترى بي بطننة _____
بيتي طاويات ونح _____^٢ف

وقال مفتخرًا ^٣ :

لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهى مخافة يوماً أن يقال

لئني _____م

وفسر ما سبق بقوله ^٤ :

وإنك مهما تعط بطنك

سؤال _____ه

وفرجك نالا منتهى الذم أجمع _____ا

أبيت خميص البطن مضطر الحشا حياء أخاف الذم أن

أضلع _____ا

كما كرر لفظ " الصعاليك " ، والليل ^٦ ، والفقر ^٧ ، وثعل ^٨ ، والضيف ^٩ ، والسيف ^{١٠} ،
وكل هذه الألفاظ استخدمها في تعبيره عن الفخر سواء بنفسه أو بقبيلته . ودارت كلها
حول هذه المعاني .

^١ ديوان حاتم ، ص ٧٠ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٧٠ .

^٣ السابق نفسه ، ٨٦ .

^٤ السابق نفسه ، ٦٨ .

^٥ السابق نفسه ، ص ٣٠ - ٥٠ - ٣٥ - ٨٢ .

^٦ السابق نفسه ، ص ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٥٩ - ٦٣ - ٧٦ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٦ .

^٧ السابق نفسه ، ص ٤٦ - ٥٤ - ٦٤ .

^٨ السابق نفسه ، ص ٢٨ - ٧٣ - ٧٤ - ٦٤ - ٣٤ - ٤٢ .

أما النمر فأكثر من ذكر جمرة ولاغرو في ذلك لأنها ملكت عليه أقطار نفسه فهو يقول^٣ :

تصابي وأمسي علاه الكبير وأمسي لجمرة حبل

رر _____ غ

وشاب ولا مرحبا بالبيــــــــــــــــــــا

من غائب ينتظر

فَلَوْ أَنْ جَمْرَةً تَدْنُو لِمَا هُوَ

جمرة منه

ر _____ سف

وقال^٤ :

جزى الله عنا جمره ابنة نوفل جزاء مغل بالأمانة

اذب

لهان عليها أمس موقف راكب إلى جانب السرحات أخيب خائب

وعاش النمر عمراً جنى منه الكثير من الحكم التي ضمنها شعره ، وشكا العجز والضعف والوهن الذي اعتراه بعد شدة وقوة وصحة وشباب فعبر عن ذلك مكرراً كلمة الشيب التي تدل على مشاعر سلبية تعتريه بين وقت وآخر نسبة لابتعاد الناس عنه وعزل الأقربين له أي ليس الكبر وحده بل مواقف من حوله هي التي جعلته يشكو ويقول ° :

^١ السابق نفسه ، ص ٣٢- ٣٣- ٤٠- ٤٤- ٥٩- ٧٠ ٧٢ .

^٢ السابق نفسه ، ص ٣٥ - ٣٧ - ٦٤ - ٧١ - ٨٨ .

^٣ ديو ان النمر ، ص ٦٣ - ٦٤ .

^٤ السابق نفسه ، ص ٤١ - ٤٢ ، وذكرها ص ٦٤ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١٢٦ .

^٥ السابق نفسه ، ص ٩٨ - ١٠١ . كما ذكر الشيب في ص ٦٨ ، ١٠٩ ، ١٢٨ .

لعمري لقد أنكرت نفسي ورأيتني مع الشيب أبدالي التي
أُتْبِـدُ _____ دل

فصول أراها في أديمي بعدم_____ا
أُفْضِـلُ _____

كأن محطا من يدي حارثية _____ة
صناع علت
مني به الجلد من عل

وقولي إذا ما غاب يوما بعيرهم تلاقونه حتى يؤوب
المنخ _____ل

فيضحي قريبا غير ذاهب غربة وأرسل إيماني ولا

أُتَحـ

_____لل

وظلعي ولم أكسر وأن ظعنيتني تلف بنيتها في البجاد
وأع _____زل

ودهري فيكفيني القليل وأنني _____ي
أؤوب إذا ما شبت لا

أُتَعـ _____لل

وكنت صفي النفس لا شيء دونه فقد صرت من إقصا حبيبي أذهل

وبطءٍ عن الداعي فلست بأخذ إليه سلاحي مثل ما كنت
أُفَعـ _____ل

تدارك ما بعد الشباب

وقبلا _____ه حوادث أيام تمر

وأغف

_____ل

يود الفتى طول السلامة والغنى _____
فكيف ترى طول
السلامة يفع _____

دعاني العذاري عمّهن وخلتني _____ لي اسم
فلا أدعى به وهـ _____ و أول

وقد كنت لا تشوى سهامى رميـة _____
فقد جعلت تشوى سهامى
وتتصل _____

كما كرر ذكر " المال " فقال^١ :

يلوم أخي على إهلاك مالي وما إن غاله ظهري وبطني
ولا ضيعته فألام

في _____
فإن ضياع مالك
غير معني

ثم قال - آخر القصيدة - :

رأيت المانعين المال يوم _____
مصيرهم
لإلقاء فدف _____ ن

إذن هما لا يضعان للمال وزنا ، ولا قيمة ، ويحسبان أن الآخرين أولى به .

^١ ديوان النمر ، ص ١٣٣ - ١٣٤ . وذكره في ص ٤٨ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ١٣٨ .

كما اهتم بعامل الزمن في أشعاره كالغدوة ، والصباح ، والأصيل . ومن ذلك قوله^{١١}:

هـ _____ هـ
والخل والخمر
التي لم تمنع _____ مع
وفتاتهم عنز عشية أنسـ _____ ت
من بعد مرأى في الفضاء
ومسمع

١١ السابق نفسه ، ص ٨٢ ، ٨٥ - ٨٧ .

يف _____ زع

المنة

المتمة

الركاب إلى الصباح يتبع

فلا يخلو بيت من " زمن " ما عدا البيت الأول منها .

ويبدو أن بيئة النمر أقل قسوة من حاتم فهو يذكر المواضع الخصبة ، وأماكن المياه والآبار ، كما يشبه بالحدائق الغناء ، والبساتين وارفة الظلال ، ذات الروائح الطيبة ، وهذا لا يأتي إلا من عين شاهدة ، وأذن سامعة ، ونفس متمتعة إلى مثل هذه المشاهد الغنية الرائعة الجمال .

وجل تلك الألفاظ آنفة الذكر تفسر جوانب حياة الشاعرين ونفسيتهما ، فهي خير ترجمان لها .

الخاتمة

أهم النتائج :

أولاً: النتائج العامة :

١- اتفقا في صفات " الكرم ، الشجاعة ، المروءة ، الأمانة ، حفظ الجوار ، نصرة الأهل والأقربين، تلبية المستغيث ، وحسن المعاشرة " ، والكثير من مكارم الأخلاق.

٢- اتفقا في أن جعلاً من الشعر وسيلة لنشر الفضيلة ، وذبم الرذيلة بين الناس ، والتبشيع بفاعلها ردعاً وتخويفاً .

٣- اتفقا في أن شعرهما مؤثر وأسلوبهما سهل رائق ، ومن شعر حاتم ما فكّ الأسارى الضعاف ، ومن شعر النمر ما صار حكمة يفيد منها الناس إلى يومنا هذا .

٤- حاتم يظل يكرر معاني معينة في قصائده ، ولا عيب إن كانت تملكته وظل ينادي بها ، ولكن من البراعة أن يلبسها كل فينةٍ وأخرى ثياباً جديدة ، وحلاً زاهية فريدة ، فتكون أحلى نغماً ، وأوقع فهماً ، فحينما يعيش الشاعر كثيراً من نواحي الحياة ينبغي عليه أن يتوقف حتى يضيف لنفسه قدراً آخر من الثقافات يحفز به قريحته حتى تنتج جديداً ، وحتى لا يكون شعره مجرد تكرار للمعاني والثقافات والأفكار ذاتها .

٥- يبدو أن حاتم كان يعيش حياة استقرار مادي ومعنوي ، فلم يكثر من الترحال والحروب ، لذلك دار شعره في أفكاره ورؤاه الذاتية ، والقبلية في بعض الأحيان ؛ ولهذا أن يكون إيجابياً فحاتم نظم على السليقة والبديهة ، ولم يلتفت كثيراً إلى الجوانب الفنية والألوان الكلامية .

٦- لم يتحدث عن وضعه في القبيلة كثيراً ، ووضع قبيلته الاقتصادي ، والسياسي والأدبي وما هو سائد من هذه الأشياء عندهم .

٧- أغلب شعره ذاتي يصف نفسه ويفخر بخلقه ، ويرد على العاذلات ، ونراه يورد قليلاً من أبيات المدح رداً على ما يقدم له فقط ، ويورد من الحكم ألواناً ، ولم يكثر من الوصف ، ولم يمدح عدا القليل ، ولم يرث أحداً .

٨- امتاز بأسلوب الحوار الحقيقي ، وغير الحقيقي الذي يخاطب فيه خياله وشخصياته الافتراضية .

٩- ربما عايش النمر بيئتين مختلفتين فعاش في البادية زمناً أثر عليه ، وعلى قدرته على الإفصاح وقوته في الوصف وإجادته له ، وعاش بين خصب وظلال فعذبت ألفاظه ، ورقت معانيه ، وتعطرت قصائده باليلنجوج والأهضام .

١٠- إمتاز شعر النمر بالتزامين :

أولهما : الالتزام الأخلاقي والذي شاركه فيه حاتم فناديا بما ذكرناه من الفضائل والقيم .

وثانيهما : الالتزام الأخلاقي الديني الذي تفرد به دون حاتم .

١١- وكان له من الاقتباس - من القرآن والسنة - ما يجعله أهلاً للاهتمام ، فهو مثال للمخضرم المثالي ، والحكيم المجرب .

١٢- النمر يريد السيرة المثلى والذكر الحسن حياً وميتاً لذلك التزم تلك الصفات ، وصرح بذلك قائلاً :

حتى يقال إذا وريت في جدثي * لقد مضى نمر عارٍ من العار

١٣- وحاتم التزمه بها أيضاً ووظفها للغرض الذي ناله فيما بعد ، فعن عدي ابن حاتم قال : قلت : يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا . قال : " إن أباك أراد أمراً فأدركه " - يعني الذكر - .

ثانياً: النتائج الخاصة بالموضوعات :

- ١- وجه حاتم شعره للفخر فتفوق فيه بنوعيه .
- ٢- لحاتم مدح قليل يشكر ويرد فيه على من تفضلوا عليه ، وليس للنمر مدح ما خلا مقطوعته التي امتدح فيها رسول الله " صلى الله عليه وسلم " .
- ٣- لهما اسهامات في الحكمة ولكن النمر فاق في ذلك حاتماً الطائي لعوامل كثيرة أوردتها في " فصل الحكمة " .
- ٤- كلاهما أحبَّ حباً صادقاً ، وكتباً غزلاً عذرياً عفيفاً ، ولكن لم يتعد مطالع أبياتهما.
- ٥- لحاتم مقطوعة واحدة في الهجاء ، وأسلوبه فيها مباشر ، والذم عنده كان لصفات بعينها بات ينتبذها كلما سنحت له الفرصة ، أما النمر فله ثلاث مقطوعات امتاز فيها بالتعريض والإيحاء ، وترفع من التصريح بالسباب والشتم .
- ٦- أما الرثاء فانفرد به النمر دون حاتم ، فرثى زوجه ، وأخاه ، وأخوة له .
- ٧- اعتذر حاتم واستعطف مرة واحدة حينما أسر قومه عند النعمان ، وأطلقوا إكراماً له ، ولم يكن لحاتم غيرها . كما له أبيات شكر فيها النعمان . أما النمر فليس له فيه حظ .
- ٨- ولهما في الوصف باع كبير ، فأجاد حاتم ، وتفوق النمر لقدرته الفائقة على الوصف ، والتصوير .
- ٩- أما الموسيقى الخارجية فموازنتها مجدولة آخر الفصل ، وجلُّ أبياتهما في الطويل ، والبسيط ، والوافر ، والكامل .
- ١٠- ونظماً في أنواع القوافي المختلفة ، في " اللام والنون والباء " ، ونظماً في الراء كثيراً لحلاوتها ، وجرسها ، كما نظماً في الميم ، والعين ، ولم ينظماً في " الصاد ، والزاي ، والضاد ، والطاء ، والهاء الأصلية ، والواو " ، وهذا شأن كثير من الشعراء .
- ١١- والموسيقى الداخلية ، كان الجناس ، والطباق ، ورد العجز على الصدر من أكثر الألوان البديعية عند شاعرينا .

١٢- ومن الصور الشعرية كان النمر حسن التشبيهات ، عميق الأوصاف والاستعارات، ولحاتم حظ من الكناية فاق فيه النمر .

١٣- التزما ببناء القصيدة القديمة في بعض قصائدهما ليس كلها ، لأن الغالب على أشعارهما المقطوعات ، والقصائد القصيرة . ولهما نماذج حسنة في التخلص أوردناها عنهما ، وامتاز حاتم بوحدة البيت ، والنمر بالوحدة الموضوعية في القصيدة بأكملها ، والتماسك في موضوعاتها ، فهو يجيد أسلوب القصص والسرد .

١٤- ولهما العديد من الألفاظ المشتركة ، وهذا ينبئ عن نفسية واحدة ، ومشاعر مشتركة. واستشهد النحاة ، واللغويون بأبيات لكلا الشاعرين ، وفي هذا دلالة على جودة وفصاحة لغتهما .

١٥- وينفرد كلُّ منهما بكلمات يكرر ذكرها في أبياته وربما يكون لهذه الألفاظ مؤشرات ودلالاتها النفسية . وبيئة النمر أقل قسوة من حاتم فنراه يكرر ذكر المياه ، والخصب ، والأشجار ، والحدائق الغناء ، والبساتين وارفة الظلال ، وغير ذلك مما له أثر عليه .

التوصيات :

- ١- استخدام نصوصهما الأدبية لكافة الطلاب بمختلف مراحلهم غرساً للقيم ، والأخلاق الفاضلة لما عندهما من حكمة ، ولما تمتعا به من اعتزاز بالفضيلة والتسابق عليها .
- ٢- التوجه لدراسات مختلفة لـ " ديوان حاتم الطائي " الذي صار أسطورة زمانه والأزمنة اللاحقة فاشتهر بالكرم ، ولم يُتناول ديوانه بالكثير من الدراسات " على الأقل في وطننا السودان " .
- ٣- دراسة هذه الجوانب من حياة الصحابة ؛ ففي هذا كشف لجوانبهم المرهفة وإبراز لأحاسيسهم العميقة بأنفسهم وما حولهم وبهذا يكون ماقدموه إضافة للمكتبة العربية بل أنموذجاً للشعر القيم الملتزم ، والذي خدم أغراضاً مختلفة فعد تنفيذاً ، وكان وسيلة زود ، ودفاع أخرى تهيئها الناس وخشوها .
- وفي دراستنا ، وكشفنا ، وجمعنا لأدب تلك الفترة الإنتقالية إبرازاً لجوانب القوة الإسلامية التي قدمت كل ما لديها في كل الظروف ، ورغم كل المشاغل ، والمخاوف .

فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة
١٨٣	٣٦	سورة الإسراء
١٨٣	٢٧	سورة الحديد
٤٢	٣٦	سورة النساء

فهرس المصادر والمراجع

١. الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار بن عبد الله بن القرشي الأسدي المكي ، تحقيق : سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت- لبنان ، ط٢ ، عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ج ١ .
٢. الاختيارين - المفضليات والأصمعيات - ، أبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل - الأخفش الصغير- تحقيق فخر الدين قبارة ، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ج ١ .
٣. أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد المجيد ، ط ٤ ، المكتبة التجارية ، مصر - القاهرة، ١٩٦٣ م ، ج ١ .
٤. أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، دار مارون عبود ، بيروت - لبنان ، طبعة جديدة منقحة ، عام ١٩٧٩ م .
٥. الاستيعاب في معرفة الصحابة ، أبو عمر يوسف ، بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، المحقق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت- لبنان- ط ١ ، عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ٤ .
٦. أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٠ ، عام ١٩٩٤ م .
٧. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، يناير ١٩٧٩ م .
٨. الأغاني ، أبو فرج الأصفهاني ، دار صعب عن طبعة بولاق الدكرور الأصلية ، بيروت - لبنان ، ج ١٥ - ١٦ .
٩. الأمالي ، أبو علي إسماعيل ابن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، عنى بوضعها وتعريبها : محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٤٤ - ١٩٢٦ م ، ج ١ .

١٠. أمثال العرب ، المفضل بن محمد بن علي بن سالم الضبيّ ، تحقيق : احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
١١. أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، محمود مصطفى ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ج ١ .
١٢. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ، الأنصاري ، المصري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المجلد الرابع ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .
١٣. الأوئل ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، الناشر دار البشير ، طنطا - مصر ، ط ١ ، عام ١٤٠٨هـ ، ج ١ .
١٤. البديع في البديع ، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباس ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
١٥. البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : أحمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد ، راجعه : إبراهيم مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، عام ؟ .
١٦. البرصان والعرجان والعميان والحولان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، دار الجيل بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤١٠هـ ، ج ١ .
١٧. بعض الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي ، تحقيق : سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ج ١ .
١٨. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، ج ٤ ، المطبعة النموذجية ، ط ؟ .
١٩. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ج ١ ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، الدار الشامية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .

٢٠. بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٢١. البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة - مصر ، ط٧ ، عام ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م ، مطبعة المدني - السعودية .
٢٢. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية. "
٢٣. تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي " ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢٢ ، القاهرة - مصر .
٢٤. تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤م .
٢٥. تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ط٧ ، ج ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧م .
٢٦. تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، توزيع دار القومية الغربية للثقافة والنشر ، ج ١ ، نقله إلى المكتبة العربية عبد الحليم النجار ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، عام ١٩٥٩م .
٢٧. تاريخ الشعوب الإسلامية نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ١٩٦٨م .
٢٨. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه أحمد إبراهيم ، ط؟ ، ١٩٣٧م .
٢٩. التذكرة الحمدونية ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، ج ٧ .
٣٠. تفسير القرآن العزيز ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز ، الناشر : الفاروق الحديثة ، ج ٢ .

٣١. تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، الناشر : الفاروق الحديثة ، ج ٢ .
٣٢. تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٣٣. تهذيب الكمال - يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي - الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان - ط ١ - عام ١٤٠١ - ١٩٨٠ - تحقيق : د. بشار عواد معروف ، ج ٣ .
٣٤. تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠١م ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط ١ ، ج ١٤ .
٣٥. تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسين بن هبة الدين الشافعي " ابن عساكر " ، هذبه ورتبه : عبد القادر بدران ، ج ٣ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٣٦. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثر بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ج ١٦ .
٣٧. الجامع الصحيح " سنن الترمزي " ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمزي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاعر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت - لبنان ، الباب .
٣٨. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة - مصر ، ج ١٧ .
٣٩. الجبال والأمكنة والمياه ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، تحقيق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ١٣١٩هـ - ١٩٩٩م .

٤٠. جمهرة أشعار العرب ، في الجاهلية والإسلام ، أبو زيد محمد بن أبي خطاب القرشي ، حققه : د. محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق-سوريا ، ج ١ ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٤١. جمهورية الحكمة في نهج البلاغة ، نصر الله حسن عباس ، دار القارئ ، بيروت- لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
٤٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق : يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، ج ١ .
٤٣. الجيم أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، راجعه : محمد خلف أحمد ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة - مصر ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ج ٢ .
٤٤. الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٤٥. الحيوان ، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانب بالولاء الليثي ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ ، ج ٣ .
٤٦. خزانة الأدب وغاية الإرب ، ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي ، تحقيق : عصام شيقو ، دار مكتبة هلال ، بيروت - لبنان ، دار البحار ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤م .
٤٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ط ٤ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ج ١ .
٤٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، المجلد الأول ، ط ١ ، المطبعة الأميرية ببولاق .
٤٩. دراسات في الأدب والنقد ، أبو القاسم محمد كرو ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة - تونس ، ١٩٨٩م .
٥٠. دراسات في البلاغة العربية ، عبد العاطي غريب علام ، منشورات جامعة بنغازي ، ط ١ ، ١٩٩٧م .

٥١. دراسات في العصر الجاهلي ، أحمد أبو الفضل عوض الله ، ط : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة - مصر ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٩م .
٥٢. دلائل الإعجاز ، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٥٣. الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم ، العوفي السرقسطي أبو محمد، تحقيق : محمد عبد الله القناص ، مكتبة العبيكان ، الرياض - السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ - ٢٠٠١م، ج ٣ .
٥٤. ديوان الخنساء ، شرح حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
٥٥. ديوان المتنبي ، وضعه : عبد الرحمن البرقوقي ، ج ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
٥٦. ديوان المعاني ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكري ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ج ٢ .
٥٧. ديوان النابغة الذبياني ، اعتنى به حمدي طماس ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٥٨. ديوان النمر بن تولب العكلي ، تحقيق: محمد نبيل طريفي ، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٩٩٥م .
٥٩. ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان، ط ٢ ، عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٦٠. ديوان سويد بن أبي كهل اليشكري ، جمع شاكر العاشور ، مراجعة محمد جبار المعيدي ، ط ١ ، ١٩٧٢م ، المكتبة الوطنية (دار الطباعة الحديثة) ، البصرة - العراق .
٦١. ديوان عمر بن أبي ربيعة ، قدم : له فائز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٦٢. ديوان مختارات شعراء العرب ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسيني، طبعة مصر ، ١٨٨٢م .
٦٣. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني . المحقق : إحسان عباس ، الناشر : الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ط ١ ، ج ١ .
٦٤. الرثاء في الشعر العربي القديم واتجاهاته ، محمد شرفبياني " طالب الدكتوراة في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية ، فرع علوم وتحقيقات طهران " الأستاذ المشرف : فيروز حريرجي ، الأستاذ المساعد : إبراهيم ديباجي ، ٨ آيار - مايو ٢٠١٠م .
٦٥. رسائل ابن حزم الاندلسي ، ابن حزم ، الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت - لبنان ، الباب : ٨ ، فصل في مداولة ذوي الأخلاق الفاسدة ، ج ١ .
٦٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ج ٢٢ .
٦٧. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، تحقيق : عمر عبد السلام السلامي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٢ .
٦٨. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، تحقيق : عبد العزيز الميمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج ١ .
٦٩. السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري ، دراسة وتحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ج ١ .
٧٠. شرح أدب الكاتب ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن أبو منصور بن الجواليقي ، قدم له : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ج ١ .

٧١. شرح التصريح علي التوضيح ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى زين الدين المصري ، وكان يعرف ب (الوقاد) دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ج ٢ .
٧٢. شرح المعلقات السبع ، الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٧٣. شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، تحقيق : فريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ج ١ .
٧٤. شرح ديوان المتنبي ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ج ١ .
٧٥. شرح ديوان حاتم الطائي ، تحقيق: عباس إبراهيم ، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٥م .
٧٦. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة - مصر ، ج ١ ، ط ٢ ، عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
٧٧. شعراء إسلاميون ، نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .
٧٨. شعراء النصرانية في الجاهلية ، الأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ط ؟ ، ج ١ ، عام ١٩٢٦م .
٧٩. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق: حسن عبد الله العمري مطهر ابن علي الأرياني ، يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ودار الفكر ، دمشق - سوريا ، ط ١ ، عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٨٠. الصحاح تاج اللغة وعروس العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق : أحمد بن عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت-لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٨١. صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت- لبنان ، ط ٢ ، عام ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط .
٨٢. صفة جزيرة العرب ، ابن الحائك ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داؤود الهمداني ، مطبعة بريل - ليدن ، عام ١٨٨٦م ، ج ١ .
٨٣. الصنائع ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، عام ١٤١٩هـ ، ج ١ .
٨٤. الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، ط ٣ ، ١٩٩٢م ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان .
٨٥. طبقات الشعراء ، محمد بن سلام البصري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ؟ ، عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٨٦. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله ، الناشر : المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٢٣هـ ، ج ١ .
٨٧. العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه ، فوزي سعد عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، مكتبة الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٨م .
٨٨. العقد الفريد ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ١٤١٧هـ .
٨٩. علم البديع ، أحمد حسن المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت- لبنان ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٩٠. علم البيان ، محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤٠٩ - ١٩٨٩م .
٩١. علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت- لبنان ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م .

٩٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط٥، عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ج ٢ .
٩٣. العين ، عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، ج ٨ .
٩٤. غريب الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المحقق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد - العراق ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ ، الباب : حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ج ٢ .
٩٥. الفاضل ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، المعروف بالمبرد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة - مصر ، ط ٣ ، عام ١٤٢١هـ ، ج ١ .
٩٦. الفائق في غريب الحديث والأثر ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢، الباب : حرف الميم ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ .
٩٧. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكري ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ١ ، عام ١٩٧١م ، بيروت - لبنان ، ج ١ .
٩٨. فن التحرير العربي - ضوابطه وأنماطه- ، محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل - السعودية ، ط ٥ ، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ج ١ .
٩٩. فن التقطيع الشعري والقافية ، صفاء خلوصي ، مطبعة الزعيم ، بغداد - العراق ، ١٩٦٢م ، ج ٢ .
١٠٠. فن الغزل ، محمد سامي الدهان ، ج ١ ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر .
١٠١. في النقد الأدبي ، علي علي مصطفى صبح ، د.ط : ؟ ، ط؟ ، ج ١ .
١٠٢. في تاريخ الأدب العربي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، طبعة دار التراث الأول ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ج ١ .

١٠٣. القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٨ ، عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ج ١ .
١٠٤. قضايا النقد القديم ، محمد صايل حمدان وعبد المعطي نمر موسى ومعاذ السرطاوي ، ط ١ ، عام ١٤٠٤ - ١٩٩٠م ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد - الأردن .
١٠٥. قواعد الشعر ، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ، أبو العباس ، المعروف بـ "ثعلب" ، تحقيق : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة - مصر ، ط ٢ ، عام ١٩٩٥م .
١٠٦. القواعد العروضية وأحكام القافية العربية ، محمد بن فلاح المطيري ، تقديم : سعد بن عبد العزيز مصلوح و عبد اللطيف بن محمد الخطيب ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، غراس للنشر و التوزيع ، مكتبة أهل الأثر ، الكويت .
١٠٧. الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ط ٣ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
١٠٨. الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر ، ط ٣ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
١٠٩. الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، أبو بشر ، الملقب بـ سيبيويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، ط ٣ ، عام ١٤٠٨ - ١٩٨٨ ، ج ٣ .
١١٠. كشف المشكل في حديثالصحيحين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : علي حسب البواب ، دار الوطن ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ج ٢ .
١١١. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، عام ١٤١٤هـ .

١١٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، نصر الله بن محمد ، تحقيق : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ج ٣ .

١١٣. المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي ، دار النشر : دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ج ١ .

١١٤. مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ج ١ .

١١٥. المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى ، تحقيق: عبد الحميد هندواوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

١١٦. المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، الباب : القوية الشداد . "

١١٧. المرشد الوافي في العروض والقوافي ، محمد بن حسن بن عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

١١٨. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ج ١ ، دار الآثار الإسلامية ، ط ٣ ، الكويت ، ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ .

١١٩. المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ج ٢ .

١٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل بن عبد الله الشيباني ، الناشر: مؤسسة قرطبة ، القاهرة - مصر .

١٢١. مصادر الشعر الجاهلي ، دراسة وتحقيق : ناصر الدين الأسد ، دار المعارف - مصر ، ط ٧ ، عام ١٩٨٨م .

١٢٢. مصنف عبد الرازق ، أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، عام ١٤٠٣هـ ، ج ٤ .

١٢٣. المعاني الكبير، في أبيات المعاني ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق : سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند ، ط ١ ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ، ج ١ .

١٢٤. المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين ، القاهرة - مصر ، عام ١٤١٥هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .

١٢٥. معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .

١٢٦. معجم السفر ، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي، الناشر: المكتبة التجارية - مكة المكرمة، ج ١ .

١٢٧. المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ، إميل بديع يعقوب ، ط ١ ، ١٩٩١ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

١٢٨. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتاب ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ ، ج ٤ .

١٢٩. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٥ - ١٩٧٩ ، ج ٤ .

١٣٠. المعمرون والوصايا من العرب وطرف من أخبارهم ومأقواله في منتهى أعمارهم ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري ، تحقيق : محمد أمين الخانجي ، ط ١ ، عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥ م ، مطبعة السعادة ، مصر .

١٣١. المغازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، المحقق : مارسن جونس ، بيروت - لبنان ، عالم الكتب ، ج ١ .

١٣٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقق : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ط ٦ ، ١٩٨٥م ، ج ١ .
١٣٣. مفاهيم في الأدب والنقد ، حكمت علي الألوسي ، مطبعة دار التأليف ، بغداد - العراق ، عام ١٩٧٦م-١٩٧٧م .
١٣٤. مفردات ألفاظ القرآن - نسخة وحقة - الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، ج ١ .
١٣٥. المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر ، عدنان حقي ، دار الرشيد ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٣٦. من النقد والأدب ، أحمد أحمد بدوي (المجموعة الخامسة) ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٥م ، مطبعة لجنة البيان العربي .
١٣٧. الموازنة بين الشعراء ، محمد زكي عبد السلام مبارك ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٣٨. موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٥٢م .
١٣٩. موسيقى الشعر العربي قديمة وحديثة ، عبد الرضا علي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، عمان - الأردن .
١٤٠. ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، أحمد الهاشمي ، تحقيق : حسين عبد الجليل يوسف - مكتبة الداب (علي حسن) ، القاهرة - مصر ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٤١. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ج ٤ .
١٤٢. النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة - مصر ، دار ومطابع الشعب ، عام ١٩٦٣م .

١٤٣. نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

١٤٤. النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٩٦ م .

١٤٥. الهجاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت - لبنان ، ط ٢ .

١٤٦. الورد الصافي من علمي العروض والقوافي ، حسن إبراهيم عمري ، الدار الفنية ، القاهرة - مصر ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م .

١٤٧. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرحاني، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي .

١٤٨. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرحاني، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي .

١٤٩. الوصف في الشعر العربي ، الوصف في العصر الجاهلي ، عبد العظيم علي قناوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م ، ج ١ .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
ت	الآية
ث	الإهداء
ج	الشكر والعرفان
ح	المقدمة
٩	التمهيد
٣٦	الباب الأول - الأغراض الشعرية
٤٠	الفصل الأول - الفخر
٤٠	المبحث الأول - الفخر الذاتي
٩٢	المبحث الثاني - الفخر القبلي
٩٦	الفصل الثاني - المدح
١٠٣	الفصل الثالث - الحكمة
١١١	الفصل الرابع - أغراض أخرى
١١١	المبحث الأول - الغزل
١٢٥	المبحث الثاني - الهجاء
١٢٩	المبحث الثالث - الرثاء
١٣٢	المبحث الرابع - الاعتذار والإستعطاف والشكر
١٣٧	المبحث الخامس - الوصف
١٦١	الباب الثاني - الدراسة الفنية
١٦٢	الفصل الأول - الموسيقى
١٦٢	المبحث الأول - الموسيقى الخارجية
١٩٨	المبحث الثاني - الموسيقى الداخلية
٢١٣	الفصل الثاني - الصورة الشعرية
٢١٤	المبحث الأول - التشبيه

٢٢١		المبحث الثاني - الإستعارة
٢٢٣		المبحث الثالث - الكناية
٢٢٩		الفصل الثالث - بناء القصيدة
٢٣١		المبحث الأول - المطلع
٢٣٨		المبحث الثاني - الخروج
٢٤١		المبحث الثالث - الخاتمة
٢٤٣		المبحث الرابع - وحدة القصيدة
٢٤٦		الفصل الرابع - اللغة والمعجم الشعري
٢٤٦		المبحث الأول - اللغة
٢٤٦		المطلب الأول: الظواهر اللغوية
٢٥٢		المطلب الثاني: الأبيات التي استشهد بها لكلا الشاعرين
٢٥٦		المبحث الثاني - المعجم الشعري
٢٦٣		الخاتمة
٢٦٣		أهم النتائج والتوصيات
٢٦٨		الفهارس
٢٦٩		فهرس الآيات
٢٧٠		فهرس المصادر والمراجع